

# ملحة سيد الخواتم



## الجزء الأول الهوبيت



# الهوبيت

تأليف جي آر تولكين  
ترجمة د/محمد الدواخلي



## بسم الله الرحمن الرحيم ملحمة سيد الخواتم الجزء الأول الهوبيت

تأليف (تولكن جي آر آر)  
ترجمة د/محمد أحمد الدواخلي  
نبذة عن المؤلف وأعماله

جون رونالد رويل تولكين (John Ronald Reuel Tolkien) -  
٣ يناير ١٨٩٢: ٢ سبتمبر ١٩٧٣ - كان عالما لغويا إنجليزيا وكاتباً  
روائياً وشاعراً وأستاذاً جامعياً.  
عمل أستاذاً للغات الأنجلوساكسونية في جامعة أوكسفورد من ١٩٢٥:  
١٩٤٥ وللغة الإنجليزية والأدب ١٩٤٥: ١٩٥٩  
اشتهر بأهم رواياته وهي: الهوبيت وثلاثية سيد الخواتم اللذان يشكلان  
ملحمة حرب الخواتم وتخصص في الرواية الأسطورية متميزاً بخلق  
عوالم متكاملة تجد لها قدرة سحرية على الإقناع بابتكاره عمقا تاريخيا  
وماضي حي لروايته وترابطها مع بعضها في الأحداث حتى لو كانت  
بأبطال مختلفين تماما.



أسس مع صديقه سي أس لويس (C. S. Lewis) رابطة للأدب الخيالي (the Inklings)  
وتتميز كلاهما بابتكار تقنية أدبية جديدة عرفت باسم العوالم الكامنة أو العوالم التولكينية حيث  
يخترع المؤلف عالما مختفيا خلف عالمنا المعروف يسير بنفس قوانينه ومنطقه باستثناء ما يضعه  
المؤلف من كائنات وقدرات أسطورية فنلاحظ تأثيريهما الشديد على الكثير من مؤلفي الخيال  
العلمي الذين يستخدمون هذه التقنية كما نراها واضحة في روايات هاري بوتر ل جي كي رولينج  
لذا فيعرف بأبي الأدب الخيالي.

كما أنه تميز بابتكارات فريدة مثل اختراعه للغة كاملة هي لغة الجن والتي كتبها بالحروف  
الرونية القديمة وذكر كلماتها بل وضع لها قاموسا ليساعد القراء؟!  
ينتمي تولكين لأصول ساكسونية (ألمانية) قديمة ولد في جنوب أفريقيا وتعرض هناك للدغة  
عنكبوت سام مما نرى أثره في روايته حيث تكاد تكون العناكب أشد المخلوقات إرعاها وسط  
حشد الكائنات العجيبة التي يتكلم عنها وهناك لاقى عناية طيبة من طبيب بريطاني يدعى كويمبي  
ذكر أنه من تحول لشخصية جاندلف الرمادي في رواياته.  
تعلم اللغات وبالذات اللاتينية منذ سن مبكرة جدا (٤ سنوات!) على يد والدته وكانت تشجعه على  
القراءة بروايات مثل أليس في بلاد العجائب ليقع في عشق الأدب الخيالي ويصبح من أهم رواده  
فيما بعد.

شارك في شبابه في الحرب العالمية الأولى وهو ما نجد أثره في بعض رواياته وخصوصا  
الأكوانتا أو السليمارية (Silmarillion) وأثناء علاجه من إصابته أثناء الحرب في فرنسا كتب  
أول محاولة أدبية أسماها كتاب الحكايات المفقودة (The Book of Lost Tales)  
بعد الحرب عمل بجامعة أوكسفورد ضمن فريق القاموس الشهير ليصبح فيما بعد أستاذا في نفس  
الجامعة وألف عدة كتب جامعية لا تتعد كثيرا عن عشقه الأدبي فنجد كتابا عن قصص الجنيات  
١٩٣٩ (On Fairy-Stories ١٩٣٩) ومقال بعنوان خيول عربية الشيطان (The Devil's Coach Horses ١٩٢٥)

كان تولكين يعشق بشدة أساطير السلت (قبائل الاسكتلنديين القديمة) فحاول جمع بعضها في  
صورة ملحمة على غرار الأساطير اليونانية فكتب الأكوانتا التي عرفت فيما بعد باسم  
السليمارية وهي رواية لها قصة غريبة فقد حاول نشرها فرفض الناشر ووصفها ب(سلتية أكثر  
من اللازم!! Too much Celtic) وطلب منه رواية أكثر بساطة ليقوم بإعادة كتابة قصة



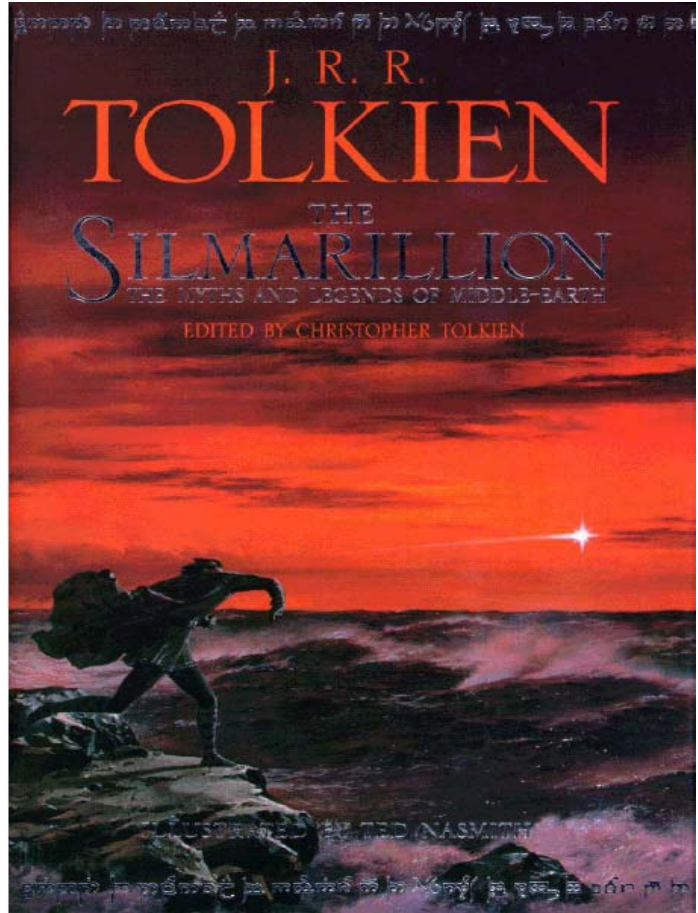


الهوبيت (الرواية التي بين أيدينا) التي ألفها لتسلية أولاده الثلاثة كحدوتة قبل النوم. مشيرا فيها لأحداث وقعت في السليمارية واعتبرها التاريخ السابق لباقي روايته التي تلتها وهو الأمر الذي أصبح طباعا مميزا لرواياته فيما بعد وإذا بالهوبيت عند نشرها ١٩٣٧ تحقق نجاحا كاسحا شجعه على محاولة نشر السليمارية مرة أخرى لكنه شجع الناشر أكثر على طلب رواية مماثلة للهوبيت لتتبع السليمارية في الأدراج لتستخدم كتاريخ لأهم أعماله على الإطلاق وأكثرها شهرة ثلاثية سيد الخواتم (The Lord of the Rings) التي استغرق في كتابتها عشر سنوات شهدت الحرب العالمية الثانية وتأثر بها بشدة حتى نكاد نشير لبعض أحداثها في الرواية مثل سقوط الروهان حتى تحررها على يد قائد جيوشها الذي طرده الوزير الخائن مقارنة بسقوط فرنسا حتى تحررها على يد الجنرال ديغول الذي نفاه بوتان المتعاون مع الألمان. ومثل ذلك من المواقف المشابهة. والرواية عموما ممتلئة بالرموز التي كتب في تفسيرها المقالات والأبحاث.

نشرت رواية سيد الخواتم على ثلاثة أجزاء رفقة الخاتم ١٩٥٤ (The Fellowship of the Ring) والبرجان ١٩٥٤ (The Two Towers) وعودة الملك ١٩٥٥ (The Return of the King) لتحقيق نجاحا تاريخيا ويعتبرها الكثيرون أهم حدث أدبي على الإطلاق في القرن العشرين.

بعدها رأى تولكين أن السليمارية تحتاج للكثير من المرجعة والتصحيح لتوافق ما نشر بعدها ويبدو أن ثقل هذه المهمة جعله يتكاسل عن إتمامها فبقيت حبيسة أدراج حنى وفاته وقام بنشر عدد آخر من المؤلفات بعضها يدور في الأرض الوسطى أو الأردا (arda) العالم الذي اخترعه تولكين مثل ملحمة شعرية باسم مغامرات توم بومباديل (١٩٦٢ The Adventures of Tom Bombadil) وقصص قصيرة مثل الشجرة والأوراق (١٩٦٤ On Tree and Leaf) وقصص قصيرة مثل الشجرة والأوراق (١٩٦٤) Fairy-Stories) كما ألف عدد من الكتب التي تشرح وتعلق على سيد الخواتم مثل شروح الأسماء وأصولها اللغوية سواء في اللغات العادية أو في لغة الجن التي اخترعها.

قبل وفاته أوصى ابنه الأوسط كريستوفر الذي عمل كمحرر أدبي (EDITOR) يقوم بتنسيق وتهذيب الكتب والروايات بمثل ما يقوم به المحرر الصحفي للجريدة وهي مهنة لا تكاد توجد في عالمنا العربي) كما أنه كان لصيقا بأعمال أبيه وحين كان في الخامسة عشر من عمره قام برسم الأماكن التي وصفها والده في شكل خرائط ألحقت بعد ذلك بالطبعات الأحدث فاختره الأب ليوصيه بنشر الأكوان التي سميت حين النشر على اسم أحجار القوة الثلاثة (السليمرات) التي يدور حولها الصراع فعرفت بالسليمارية على غرار تسمية الملحمة السابقة باسم الخاتم الذي يتصارع عليه الجميع. بذل كريستوفر تولكين مجهودا هائلا لإصلاح الرواية وجعلها متوافقة مع ما نشر بعدها والأهم من ذلك ملاً ما بها من فجوات وتهذيب فوضى الأسماء فقد كان المؤلف يعطي لكل





شخصية أكثر من اسم ثم يغير هذه الأسماء فجأة وهي المشكلة التي كانت أصعب في ما نشر بعد السليمارية.

حققت السليمارية آخر أجزاء ملحمة حرب الخواتم (لأنها تحوي في نهايتها ظهور صاحب الخاتم والحروب الأولى ضده فتعد جزءا خامسا سابقا للملحمة) نجاحا عندما نشرت بعد وفاة مؤلفها بأربعة أعوام ١٩٧٧ مما شجع كريستوفر على نشر أعمال أخرى لأبيه مثل القصص غير التامة (١٩٨٠ Unfinished Tales of Númenor and Middle-earth) وهي تسبق السليمارية في الترتيب الزمني وسميت غير التامة لأن مؤلفها لم يكملها أبدا فنجح جزئيا نجاحا كبيرا فقام الابن بجمع كل ما كتبه والده من روايات ومسودات وأوراق تتعلق بالأرض الوسطى وقام بتركها على حالها مع شرح مستفيض منه وأصدرها في موسوعة كبيرة من اثنا عشر جزءا بعد الاكتفاء بالإشارة فقط لأحداث السليمارية ورباعية سيد الخواتم من ١٩٨٣ إلى ١٩٩٦ تبدأ بكتاب الحكايات المفقودة الذي كتبه المؤلف أثناء الحرب العالمية الثانية وتنتهي بشعوب الأرض الوسطى.

### مقدمة المترجم للرواية:

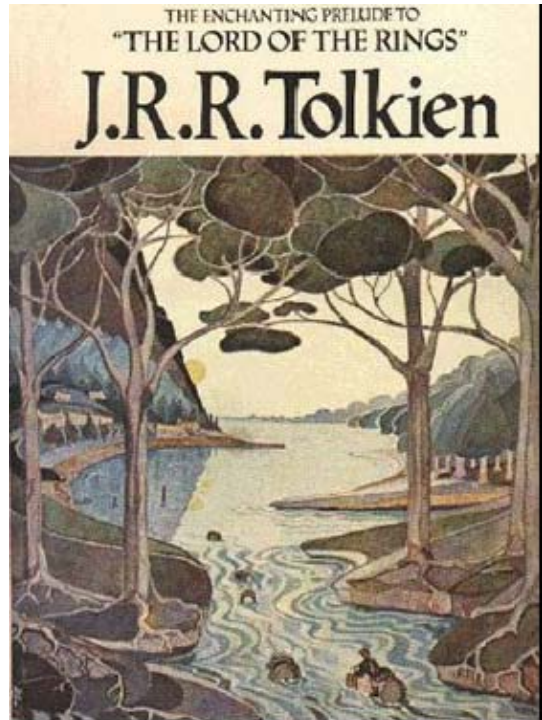
من هم الهوبيت؟ إنهم كائنات طيبة قصيرة بعضها هاديء مثل آل باجينز والآخر مشاغب مثل آل توك يحبون الطعام والمرح والتنزه في المروج على أي شيء آخر وليست لهم لحية مقارنة بغيرهم من القصار مثل الأقزام.

إنهم أطفالنا! فوصف الهوبيت يماثل وصف طفل طيب يمتلك نضج سنيا يسمح له بحرية القرار مع احتفاظه ببراءة ونقاء الطفولة وهو ما أكده المؤلف على لسان ثورين في نهاية الرواية "يا طفل الغرب الطيب" المؤلف يراهن على ما في الأطفال من قوة وعزيمة كامتنتين قوة لا تستمد بطشها من أي مصدر ملوث كالمال أو العلم أو السحر أو العضلات وغيرها من المصادر التي يستطيع الشر أن ينهل منها مثله مثل الخير فالقوة الكامنة في الأطفال وإدراكهم لحقائق واضحة قد تغيبها الشهوات عن أعين الكبار تنبع من البراءة وحب الخير والجمال وهي منابع لا يستطيع الشر أن يذوقها.

نجد أن بيلبو في هذه الرواية يدرك القيمة الحقيقية للذهب الذي يتصارعون من أجله ولذا يكون أفضل الرابحين في النهاية وفي الثلاثية الشهيرة يدرك فرودو الضعيف أهمية عدم الاستسلام للشر بينما سارومان القوي الحكيم ذو العلم يندفع في محيط الشر بحثا عن القوة لأن الطفل حتى لو أعجبه شكل الذهب وبريقه كما حدث لبيلبو فإنه يحتفظ ببساطة تنقذ رأسه سريعا من سكرته.

والهوبيت يملكون الشجاعة ليست شجاعة المعركة التي لا يقوون عليها وإنما شجاعة اتخاذ القرار الصحيح والإصرار على تحمل نتائجها وهي شجاعة لم يمتلكها بعض من اندفعوا يتحدون الموت في المعركة أثناء بحث بيلبو عن مكان أمين ينجو فيه! هذه الرواية هي أول ما نشر من سيد الخواتم وثانيها في قدر الشهرة وهي أبسط كثيرا من أحداث الثلاثية وموجهة بالذات للأطفال فنجد لغتها بسيطة والراوي يبدو كوالد يخاطب ابنه قبل النوم وهو بالفعل ما كان يفعله تولكين لأطفاله الثلاثة حيث كان يقص عليهم تلك القصة.

لكن هذا لا ينفي أنها تصلح لكل الأعمار وخاصة بين من يتذوقون الأدب الخيالي فالصراع فيها محتدم خاصة قرب النهاية ونلاحظ فيها التغير التدريجي





في شخصية بطلنا بيلبو باجينز أثناء مروره بالمتاعب والكوارث المتتالية ثم خروجه منها بفضل فطنته وحظه ثم شجاعته التي نمت على مهل.

بعض الملاحظات قبل بدأ في الترجمة

أولا شخصيات الرواية: يتحدث المؤلف عن عالم أسطوري تتواجد شخصياته بكثرة في الأساطير الإنجليزية باستثناء الهوبيت الذين هم من اختراع المؤلف ومن قرأ هاري بوتر سيجد الأجناس مألوفة مع استثناءات بسيطة بالذات فيما يتعلق بالجن.

الأجناس الطيبة: الجن (elves) طوال القامة يعمرن آلاف السنين والسحرة (wizards) مثل جاندلف ويعيشون بضع مئات والهوبيت يعيشون ما يقرب من قرن وخمسون عاما عمر بيلبو تعد مرحلة شباب. والأقزام (dwarves) بعضهم ليس طبيبا لكن جميعهم يعشقون الذهب ويقومون بكل ما يتعلق بالمعادن والتعدين و أخيرا البشر (men) نجدهم إما محاربين أو زراع أو تجار.

الكائنات الشريرة متنوعة والواقع أن هناك ثراء في الفولكلور الإنجليزي في مختلف المخلوقات الشريرة فنجد ( trolls ) وترجمتها كعمالقة أما ( giants ) فترجمتها مرده جمع مارذ و ( goblins ) وترجمتها غيلان وهم المقابل الشرير للجن وقد تكون ترجمتها بالعفاريت أدق لغويا لكنني فضلت الغيلان لأنها أولا أكثر شيوعا في الترجمات العربية المختلفة وثانيا لأنها أكثر ارتباطا بالعنف والقسوة اللذان يتميز بهما تلك المخلوقات. والعناكب (spiders).

والغيلان هم الشر السائد في تلك الفترة وسادوا على غيرهم من قوى الشر باستثناء الساحر الأسود سارون (Necromancer) قبل أن يقضى عليهم ويصبح دورهم محدودا للغاية في باقي أجزاء الملحمة ليفسحوا المجال للأوركهاي وقد سمي الغيلان في الأجزاء التالية باسم الأورك وهو الاسم المقابل لل goblins في لغة الجن.

بالنسبة للنتين الهدف الرئيسي من المغامرة فيسمى أيضا بالدودة البرية ( wild worm ) وهو اسم شائع مثلما سميت رواية برام ستوكر عرين الدودة البيضاء أي عرين التنينة البيضاء وقد ترجمتها أحيانا دودة وأحيانا زواحف حسب الموقف.

معظم أسماء الأماكن والشخصيات تركتها كما هي دون ترجمة مع الإشارة لذلك في الهامش.

ألقاب الحكام ( lord ) ترجمتها سيد بينما (master) ترجمتها زعيم وكذلك (chief) ونلاحظ أن مدينة دال كانت خاضعة لملك ما تحت الجبل لكن كان لها سيدها الخاص من البشر.

نلاحظ أن بعض المواقع تتحدث عن الكتاب الأحمر للمسيرة في الغرب ويستمارش ( red book of westmarsh ) كما أن المؤلف يذكره في مقدمة الطبعة التي تمت ترجمتها وهو كتاب خيالي ذكره المؤلف في مقدمة الطبعات الأولى ذكر أن قوم الهوبيت توارثوا مذكرات بيلبو وفرودو معا في كتاب ذو غلاف أحمر يمثل مجدهم التاريخي وقد وصلت نسخة منه للمؤلف فقام بترجمته.

ملاحظة أخرى أسماء المدن والأماكن قد تتعدد للمكان الواحد فمثلا الجبل الوحيد يسمى بعرين التنين وأيضا إربور ولذا نجد أن الخرائط التي تصف الأماكن قد تختلف أسماؤها عن الأسماء الشائعة في أحداث الرواية.

وصف الجبل الوحيد مهم لفهم الأحداث فالجبل الوحيد يشبه النجمة الخماسية: كتلة كبيرة في الوسط تعلوها القمة وينبع منها النهر الجاري وتمتد منها كتل أصغر تشبه أذرع النجم تسمى نتوات الجبل والسهل الواقع عند السفح بين كل نتوتين يسمى بين ذراعي الجبل أما كتف الجبل فهو المرتفع الذي يصل بين الكتلة الرئيسية وقمم النتوات

أخيرا منعا للألتباس مع من قرأ أو شاهد فيلم سيد الخواتم فالأماكن مختلفة في المغامرتين فمغامرة بيلبو كانت تتجه نحو الشمال حيث يقع الجبل الوحيد الذي فر له ثراين الجد مؤسس مملكة ما تحت الجبل بعد طرده من الجبال الرمادية إلى أن طرد أحفاده ثرور و ثراين و ثورين على يد آخر نتين في الأرض الوسطى سماوج. بينما مغامرة فرودو تتجه نحو الجنوب عبر مناجم موريا ومملكة الروهان وباستثناء بداية كليهما من إقليم الشاير حيث تقع مقاطعة هوبيتون التي يعيشون فيها فلا يوجد تشابه بين أماكن المغامرتين.

< تولكن جي آر آر -- الهوبيت >





في هذه الطبعة تم تصحيح بعد الأخطاء البسيطة التي لاحظ أكثرها القراء، على سبيل المثال، النصّ في صفحات الفصل الثالث والحادي عشر يماثل الآن الحروف الرونيّة على خريطة ثرور الأكثر أهمية مسألة" الفصل الخامس ". هناك قصة النهاية الحقيقية للعبة الأحاجي، كما اعترف بها بيلبو أخيرا (مكرها) لجاندلف توافق الآن الكتاب الأحمر، في المكان الذي أعطى فيه بيلبو الإصدار الأول لأصدقاءه، والحقيقة التي ذكرت في مفكرته. هذا يغيّر حقيقة كونه أكثر الهوبيت أمانة وشرفاً وأعجوبة عظيم. ومع ذلك، هذا لا يخصّ القصة الحاضرة، وأولئك الذين لهم بهذه الطبعة أول معرفة للهوبيت لا يحتاجونها. إيضاحها يقع في تاريخ الخاتم وحذف من سجلات الكتاب الأحمر من ويستمارش ويُخبرُ الآن داخل \*\*سيد الخواتم\*\* \*ملحوظة نهائية، النقطة التي رفعها طلاب لترات الفترة. على خريطة ثرور مكتوب هنا لقديم كان الملك ثراين تحت الجبل؛ ومع ذلك كان ثراين ابن ثرور الملك الأخير أسفل الجبل قبل مجيء النينين. الخريطة لم تكن، مع ذلك، مخطأة. تُكرّرُ أسماء غالباً في السلالة، و يعرضُ علم الأنساب أنّ سلف ثرور يصل إلى، ثراين الأول، الهارب من موريا الذي كان أول من اكتشفَ الجبل الوحيد (lonely mountain)، إربور وحكمَ هناك لمدة، قبل توجّه شُعبه إلى جبال أكثر بعدا في الشمال.

تولكن جي آر آر

## الهوبيت أو لهنالك ثم العودة مرة أخرى

### فصل (١) حفلة مفاجئة

في جحر بالساحة عاش أحد الهوبيت ليس لأنه جحر فيكون رطب كريبه وسبخ ملىء بالديدان وترشح رائحته أو يكون مجرد تجويف جاف اجرد رملي لا شيء يجلس فوقه أو يأكل عليه كان جحر هوبيت مما يعني الرفاهة كان بابيه مُستدير تماماً كالقوة مدهون بالأخضر وفي وسطه تماماً مقبض نحاسي أصفر لامع ويُفتح الباب على ردهة أنبوبية كالنفق: نفق مريح جداً بلا دخان زينت جدرانها. أرضياتها مبطنة مفروشة مزودة بكراسي مصفولة والكثير من المشاجب للقبعات





والمعاطف فقد كَانَ هوبيت مولع بالزُّورِ. وقد شق النفق متصلاً يَذْهَبُ لكن ليس باستقامة تامة لجانب التلّ-يسمى التل كما يفعل كل من حوله لأميال عديدة- وتفتح العديد من الأبواب المُستديرة الصغيرة عليه واحد على جانب ثم على آخر. (لا يصعد الهوبيت سلالم فغرف النوم والحمامات والأقبية ومخازن المؤن (الكثير منها) والدواليب (غرف كاملة للملابس) والمطابخ وغرف طعام كلها في نفس الطابق. بل على نفس الممر. كانتُ الغرفة المفضلة على اليسار (بالنسبة للداخلين) فهي الوحيدة التي لها نوافذ. نوافذ عريضة مُستديرة تطل على حدائقه و مرج وراءه منحدر يصل للمجرى.

كَانَ هذا الهوبيت حسناً جداً اسمه باجينز كَانَ آل باجينز عَاشُوا جوار التلّ لعهد أبعد من أن يذكر وإعْتَبَرَهُم الناس جديرين بالاحترام، ليس فقط لأن أكثرهم أغنياء لكن أيضاً لأنه لم يصدر منهم أبداً أي مُغامرات أو فَعَلُوا أي شيء مفاجئ تُقَدِّرُ أن تخمن ما سيَقُولُ احدهم رداً على أي سؤال بدون إزعاج نفسك بالسؤال. هذه قصة لكيف حصل واحد من الباجينز على مغامرة ووجد نفسه يقول ويفعل أشياء غير متوقعة إطلاقاً. ربّما خَسِرُ إحترام الجيران لكن ربح تماماً وربما ترى في النهاية إن كان ربح أي شيء. والدة الهوبيت الذي نتحدث عنه..... ما هو الهوبيت أو لا؟ أَتَصَوَّرُ الحاجة لبعض الوصف للهوبيت هذه الأيام فقد أَصْبَحُوا نادرين خجولين من الشُّعُوبِ الكبيرة كما يسموننا. هم (أو كَانُوا) أناس قصار حوالي نصف ارتفاعنا أصغر من الأقزام المُلتحين ليس للهوبيت لحي ولا يوجد عندهم الكثير من السحر باستثناء السحر اليومي المعتاد الذي يُسَاعِدُهُمْ لِيَحْتَفُوا بهدوء وسرعة عندما يأتي غيبي كبير مثلك صانعا ضجّة كالقنبلة تسمع على بعد ميل. يحبون ملاء المعدة ويرتدون ألوان ساطعة (بشكل رئيسي أخضر وأصفر) لا يرتدون أحذية لأن لهم أقدام تنمو طبيعياً كالنعال الجلديّة وشعر بُنيّ دافئ سميك مجعد كالقماش على رؤوسهم وأصابع بُنيّة ماهرة طويلة ووجوه طبيعية حسنة وضحكة عميقة كالفاكهة (لا سيّما بعد العشاء الذي يتناولوه مرتين يومياً عندما يستطيعون!) الآن نعرفُ بايكفي لأن نتابع. كُنْتُ أَقُولُ كَانَتْ أم هذا الهوبيت بيلبو باجينز\* -وهذا هو- الرائعة بيلادونا\* تووك إحدى البنات الثلاث الجميلات لتووك الكبير زعيم الهوبيت الذي يعيش عبر النهر الصغير الذي يجري قرب التلّ. عادة يقال (في العائلات الأخرى) منذ زمن بعيد احد أسلاف التووك اتخذ زوجة من الجنيات. كان هذا بالطبع سخيفاً لكن بالتأكيد كان هناك شيء ليس هوبيتياً تماماً متعلق بهم وأحياناً كان أفراد من عشيرة التووك يذهبون للمغامرات هؤلاء أخفوا بحكمة وأسكنتهم العائلة لكن الحقيقة بقيت أن التووك لم يَكُونُوا في إحترام الباجينز ولو أنهم كانوا يقيناً أغنى. لم تقم بيلادونا تووك أبداً بأي مُغامرات حين أَصْبَحَتْ السيدة بنجو باجينز. بنجو ذلك كَانَ والد بيلبو بنى لها اخبر جحر هوبيت (وجزئياً من نقودها) سواء في أسفل التلّ أو أعلاه أو عبر النهر وهناك بقوا لنهاية أيامهم.

مع ذلك من المحتمل أن بيلبو ابنها الوحيد بالرغم من أن شكله ومسلكه كانا كنسخة ثانية من والده المريح الصلب حصلاً على شيء ما غريب جزء من تَرَكِيبة آل تووك شيء ما يَنْتَظِرُ فقط فرصة ليخْرُجَ. الفرصة التي لم تأت أبداً إلى أن كبر بيلبو باجينز و أصبح في الخمسين تقريباً و يعيش داخل جحر الهوبيت الجميل الذي بناه والده، هذا الذي وصفته الآن لك، إلى أن



كَانَ قد استَقَرَّ فعلاً على ما هو عليه بدون حراك .

بصدفة مشوقة ذات صباح منذ عهد بعيد في هدوء العالم عندما كَانَتْ هناك ضجّة اقل وخضرة أكثر والهوبيت كثيرون مزدهرون، كان بيلبو باجينز على بابهِ بعد الفطور يُدَحِّخُ غليون خشبي طويل ضخم نزل تقريباً لإصبع قدمه الصوفي (المنظف بأناقة) جاء جاندالف. جاندالف إذا كُنْتُ سَمِعْتُ ربع ما قد سَمِعْتُهُ عنه وقد سَمِعْتُ فقط قليل جداً من كل ما يحكى عنه فستستعد لقصة رائعة. حكايات مُغامرات بكلّ مكان حيثما ذهب، بأغرب الأنماط. ربما لا يَكُونُ أتى هنا أسفل التلّ من عقود وعقود، ليس منذ مات صديقه القديم تووك، في الحقيقة كاد الهوبيت ينسون شكله.

\* (Bilbo)=الأصفاذ التي تكبل السجناء أو السيف Baggins=من bagging=حقيبة السفر أو علبه الطعام والاسم له مغزى فيبيلبو في أعماقه يرغب في السفر والمغامرة لكن مكبل بأراء الآخرين)  
\*\* (Belladonna=ست الحسن)





فقد كان قد إنتهى من أعماله الخاصة عبر النهر وفوق التل منذ أن كانوا جميعا صغارا .  
لكن إليكم ما شاهدته بيلبو خالي الذهن ذاك الصباح : رجل عجوز يحمل متاعا يرتدي قبعة طويلة  
مدببة زرقاء وعباءة طويلة رمادية ووشاح فضي يعلوه لحية بيضاء ممتدة إلى جذعه وحذاء  
ضخم أسود برقبة.



قال بيلبو "صباح جميل" وكان يعني ما قاله [صباح الخير/ صباح جميل=good morning] كانت الشمس لامعة والعشب شديد الخضرة لكن جاندلف نظر إليه من تحت حواجبه الطويلة الكثيفة الممتدة وراء حواف قبعته الداكنة .

رد عليه "ماذا تعني هل تتمنى لي صباحا جميلا أم تقصد أن هذا الصباح جميل سواء أردت أنا هذا أم لا أم أنك تشعر بالجمال هذا الصباح أم أن هذا صباح مناسب لأن يكون جميلا؟"  
قال بيلبو "كل هذا معا وأيضا انه يوم مناسب جدا لتدخين غليون من التبغ في الخارج. وبالمناسبة إن كنت تحمل غليوننا فاجلس واحظ بما أشعر به لا داعي للعجلة أمامنا اليوم بطوله."  
ثم جلس بيلبو على مقعد جوار بابيه واضعا ساق على ساق ونفث حلقة جميلة من الدخان الرمادي حلقت في الهواء دون أن تنكسر وطارت عبر التل.

قال جاندلف "ظريف جدا لكن ليس عندي وقت لنفث حلقات الدخان هذا الصباح. أنا أبحث عن شخص ما ليشاركني المغامرة التي أعد لها ومن الصعب للغاية أن أجد أي أحد."  
قال بيلبو "أظن ذلك في هذه الأنحاء نحن قوم هادئون تماما ولا نجد أي فائدة للمغامرات. الأشياء السخيفة المرهقة! تؤخرك عن العشاء! لا أستطيع أن أعرف ماذا يجد فيها أي شخص؟"

ووضع إبهامه على حمالته وناقشا دخانا أكثر ثم تناول خطاباته الصباحية وبدأ في قراءتها متظاهرا انه لم يعد يلاحظ هذا الرجل العجوز. وقد قرر أنه ليس من النوع الذي يروق له ويريده أن يذهب. لكن الرجل العجوز لم يحرك ساكنا، مستندا على عصاه محققا في الهوبيت بدون أن ينطق شيئا حتى أصبح بيلبو منزعا تماما وربما محتدا بعض الشيء.

"صباح جميل!" قالها أخيرا "نحن لا نريد أي مغامرات هنا، شكرا لك! ربما تريد المحاولة في أعلى التل أو عبر النهر" بهذا كان يريد وضع نهاية لهذه المحادثة.  
قال جاندلف "ما أكثر استخداماتك لكلمة صباح جميل الآن أنت تعني بها أنك تريد التخلص مني وان النهار لن يكون جميلا حتى ارحل من هنا!"

"لا على الإطلاق، لا على الإطلاق يا سيدي العزيز! دعني أرى، أعتقد أنني لا اعرف اسمك؟"  
"آه، آه سيدي العزيز وأنا أعرف اسمك سيد بيلبو باجينز. وأنت تعرف اسمي رغم أنك لا تذكر أنني صاحبه. أنا جاندلف وجاندلف هو أنا! من المثير أن أعيش حتى يحيني ابن بيلادونا تووك كما كانت حين كنت أبيع البراعم على هذا الباب."







"جاندلف، جاندلف! يالني من مهذب! ألسـت السـاحـر المـذهـل الـذي أـعـطى تـووك الـكـبـير هـذا الـزـوج من الـأزـرار الـمـاسـية الـسـحـريـة الـتي تـغـلق نـفـسـها ولا تـفـتـح أبـدا حـتى تـؤمـر بـهـذا؟ ألسـت الـنـديـم الـذي كان يـحـكي قـصـصـا رـائـعة في الـحـفـلات عـن الـتـنـينـات والـغـيـلان والـمـرـدة وإنـفاذ الـأمـيرـات والـحـظ الـغـريـب لأبـنـاء الـأرـامل؟ ألسـت الـرـجـل الـذي تـخـصـص بالذات في صـنـع الـعـاب نارـية رـائـعة! أنا أذـكـر هـا! تـووك الـكـبـير اعـتاد جـلبـها في عـيد مـنـتـصـف الـصـيـف مـذهـلة! كـانـت تـرتـفـع لأـعلى مـثـل زـنـبـق عـمـلاق وتـنـين زـاحـف وشـجـر أبـنـوس نارـي ثم تـظـل مـعـلـقة في خـبـو هـا طـوـال الـلـيـل".

تـسـتـطـيع أن تـلـاحـظ أن الـسـيد باجـينـز لم يـكـن على درـجـة الـوقـار الـتي يـظـنـها في نـفـسـه حـتى مع حـبه الـشـديـد للزـهـور.

"عـزـيـزي!" ثم أكـمـل قائـلا "ألسـت جانـدلف الـذي كان مـسـؤـلا عـن ذهـاب الـعـديـد من الـصـبـيـة والـفـتـيات عـبر الأفـق من أجـل الـمـغـامـرات الـمـجـنـونة أي شـيء من تـسـلق الأشـجار إلـي زيارـة الجـن أو الإبحـار في سـفن إلـي شـواطـيء أـخرى! رحـمـني الله الـحـياة كـانـت تـبـدو كـالمـقـبـرة – أعـني أنـك اعـتـدت جـعـل الأشـياء في هـذه الـأنـحاء مـحـبـطة بشـدة في فـتـرة ما. أرجـو مـعـذرتـك لـكنـي لم أعـرف انـك مـازلت تـعـمـل حـتى الـآن."

"وأين يـمـكـن أن أـكـون إذـا؟" رد الـسـاحـر "كـل شـيء كـما هو وأنا سـعـيد أنـك مـازلت تـذـكـر عـني بـعض الأشـياء يـبـدو أنـك تـذـكـر الـعـابـي الـنارـية بـلـطف عـلى أي حـال هـذه الأـرض لـيـسـت خـالـية من الـأـمـل في الـحـقيـقة لأجـل جـدك الـأكـبر تـووك، وأمـك الـمـسـكـينة بـيـلادونا سـأعـطـيك ما طـلـبت".

"أرجـو مـعـذرتـك لـكنـي لم أـطـلب شـيئا."

"بل فـعـلت مرـتـان حـتى الـآن مـعـذرتـي سـأعـطـيها لك. في الـواقـع سـأذـهب بـعـيدا لأرسلـك لهـذه الـمـغـامـرة مـمـتعة للـغـاية لي وطـيـبة للـغـاية لك ومـربـحة أـيضا لو أنـك فـقـط ذهـبت إلـيها"

"آسـف أنا لا أريد الـذهـاب في مـغـامـرات، شـكـرا لك لـيـس الـيـوم صـباح جـمـيل! لـكن أرجـو أن تـأتـي لتـناوـل الشـاي في أي وقـت تـريد! ماـذا عـن الـغـد؟ تعال غـدا! إلـي الـلقـاء."

هنا استدار الـهـوبـيـت ودخـل عـبر بابـه الـمـسـتـديـر وأغـلقـه بأسـرع ما جـرؤ عـليه حـتى لا يـبـدو له وقـحا فـهـذا في جـمـيع الأحوال سـاحـر!

ثم حـدث نـفـسـه "بأي عـقل دعوته لتناوـل الشـاي" بيـنـما هو ذاهـب لغـرفة المـؤن. كان قد تناوـل الإفـطار منذ قـليل لـكنـه فـكر أن قـطـعة كـيك أو اثنتان والقـليل من الشـراب ربـما تـصـلح حالـه بـعد هـذا الخـوف. جانـدلف في هـذا الـوقـت مـازال واقفا خارج الباب ويضحك كثيرا لكن بهـدوء. بـعد برهة تحرك وبمسار من متاعه حفر علامة مميـزة عـلى باب الـهـوبـيـت الأـخـضر الـجـمـيل ثم حث الخـطـي بـعـيدا في نـفـس الـوقـت الـذي كان يـبـلـبو يـنـهي فيه كـعـكـته الـثـانـية وأخذ يفكر أنه هـرب من الـمـغـامـرة بـبراعة.

في الـيـوم الـتـالـي كان نـسى تقـريـبا كل شـيء عـن جانـدلف. لم يذـكـر إلا انه وضعه في جـدول مـواعـيده كـالـآتي – جانـدلف إلى الأربـعـاء. البارحة كان مرتبكا جدا ليقوم بأي نوع من الترحاب.

قـبـيل وقـت الشـاي قرعة هائلة على جرس الباب الأمامي وعندها تذكروا! أسرع ووضع الغلاية، و فنجان آخر بطبقه وكعكة إضافية أو اثنتان، وهرع للباب.

"أنا متأسف جدا لجعلك تنتظر!" هذا ما كان سيقله، عندما تبين له أنه لم يكن جانـدلف إطلاقا. كان قزما بلحية زرقاء وبحزام ذهبي، وعيون ساطعة جدا تحت قطنسوته الخضراء الداكنة. وبمجرد أن فتح باب، دفع نفسه للداخل كما لو كان مجيئه متوقعا وعلق عباءته على المشجب الأقرب، و"دوالين في خدمتك!" قالها مع انحناء خفيفة.

"بـيـلـبو باجـينـز في خدمتك أيضا!" قالها الـهـوبـيـت وهو أكثر اندهاشا من أن يسأل أية أسئلة الآن. عندما أصبح الصمت بعدها غير مريح، أضاف: "سأتناول الشاي الآن؛ أرجو المجيء وتناول البعض معي." ربما كان جافا قليلا، لكنه قالها بحسن نية. وماذا ستفعل أنت إذا جاء قزم غير مدعو وعلق أشياءه في قاعتك بدون إيضاح؟

لم يجلسا طويلا على الطاولة كانا بالكاد قد بدءا في قطعة الكعك الثالثة عندما أتت رنة أعلى أخرى من الجرس.





"المعذرة!" قال الهوبيت، وذهب إلى الباب.  
"إذا أنت جئت أخيراً!" كان هذا ما سيُفوله لجاندلف هذه المرة. لكن لم يكن جاندلف عوضاً عنه  
كان هناك قزما عجوزاً جداً بلحية بيضاء وقلنسوة قرمزية؛ ووثب أكثر مما ينبغي بمجرد أن فتح  
الباب كما لو كان مدعواً.

"أرى أنهم قد بدؤوا في الحضور،" قالها عندما لمح القلنسوة الخضراء لدوالين. وعلق قلنسوته  
الحمراء بجوارها، و"بالين في خدمتك!" قالها ويده على صدره.

"شكراً!" قال بيلبو وهو يتنهد. لم يكن الشيء الصحيح ليقال، لكن قد بدء الضيوف يربكوه على  
نحو سيء. أراد زواراً، لكنه ودَّ أن يعرفهم قبل وصولهم، وفضل أن يدعوهم بنفسه. كان عنده  
فكرة مريعة أن الكعكات قد تناقصت، وبالتالي هو كمضيف: عرف ضريبتة والتزم بها ومع ذلك  
مؤلم ألا يحصل على بعضها.

"أدخل وتناول بعض الشاي!" استطاع أن يقول بعد أن أخذ نفس عميق.  
"قد يلائمني قليلاً من الجعة أفضل لو أنهما على حد سواء لك سيدي العزيز." قال بالين ذو  
الحية البيضاء. "لكن لا أمانع في بعض الكعك-كعكة بدريّة، إذا عندكم أي منها."

"الكثير!" وجد بيلبو نفسه يجيب، وبسبب مفاجئته الخاصة؛ وجد نفسه يركض بعيداً، أكثر من  
اللازم، إلى السرداب ليملاء قذح ثمن جالون بالجعة، وإلى مخزن المون ليحضّر كعكتان جميلتان  
من كعكات البذر التي كان قد خبزها بعد الظهر للقمة بعد العشاء. عندما عاد وجد بالين ودوالين  
يتكلمان على الطاولة كأصدقاء قدامى (في الواقع كانا إخوة) أسقط بيلبو فجأة الجعة والكعك  
أمامهم، عندما دوي الجرس بصوت عال مرة ثانية.

فكر وهو ينفخ طوال الممر "جاندلف بالتأكيد هذه المرة." لكنه لم يكن! كانا اثنان آخران من  
الأقزام بقلنسوة زرقاء، أحزمة فضية، ولحي صفراء؛ ويحمل كلاهما كيس أدوات ومجرف.  
وثبوا، حالما بدأ الباب يفتتح للداخل كان بيلبو بالكاد مندھش. "ماذا أقدر أن أفعل لكم، يا  
أقزامي؟"

قال احدهما. "كلي في خدمتك!" . "و فيلي!" أضاف الآخر؛ و هما معاً يخلعان قلنسوتهما  
الزرقاء و ينحنيان.

"في! في خدمتكما أنتما وعائلتكما!" ردّ بيلبو، متذكراً الآداب هذه المرة.  
قال كلي "دوالين وبالين هنا بالفعل، كما أرى دعنا ننضم إلى الحشد!"  
"حشد!" فكر السيد باجينز. "لا أحب هذا التعبير احتاج حقاً لأن أجلس لدقيقة واجمع أفكارى،  
وأخذ شراباً." جلس يرشرف في الركن، بينما جلس الأقزام الأربعة حول الطاولة، وتحدثوا عن  
المناجم والمحاجر والذهب ومشاكل مع الغيلان، وغزوات التنينات وعشرات الأشياء التي لم  
يفهمها ولم يرد أن يفعل، لأنها تبدو مغامراتية جداً عندما دانج دانج رن جرسه، كما لو كان بعض  
أطفال الهوبيت قليلي التربية يُجرب أن يخلع بعنف المقبض. "شخص ما في الباب!" قال وهو  
يرمش. قال فيلي "أربعة ماء، كما يبدو من الجرس، رأيّاهم في الجوار يأتون طوال المسافة  
وراءنا."

الهوبيت المسكين جلس في القاعة واضعاً رأسه بين يديه ويتساءل عما يحدث وماذا سيحدث وهل  
سيبقون حتى العشاء. ثم رن الجرس مرة أخرى أعلى من السابق ولم يكونوا أربعة هذه المرة  
كانوا خمسة. قزم آخر جاء بينما هو في دهشته كان بالكاد أغلق المزلاج عندما دخلوا جميعاً  
ينحنون ويقولون في خدمتك سيدي واحدا تلو الآخر دوري، نوري، أوري، أوين وجلوين وسريعا  
ما كانت قلنسوتان زرقاء وأخر رمادية وبنية وبيضاء علقت على المشجب ومشوا عبر الردهة  
وأبديهم العريضة مستندة على أحزمتهم الفضية لينضموا للباقيين. في الواقع كان الأمر قد اقترب  
من أن يصبح حشداً بالفعل بعضهم يطلب الشراب والبعض يطلب الساقى وآخر القهوة والجميع  
يطلب الكعك لهذا كان الهوبيت في منتهى الانشغال.





فنان كبير من القهوة وضع جانب الموقد كعكات البذور انتهت وتحلق الأقرام حول كعكة زبد عندما أتت دقة عالية لكن ليست رنة لكن دقات قوية متتالية على باب الهوبيت الأخضر الجميل .  
شخصا ما يدق بعضا !

هرع بيلبو عبر الممر شديد الغضب ومرتبك كلية ومرهق كان هذا أشد أيام الأربعاء التي مرت عليه في حياته فتح الباب بتشنج ودخلوا واحدا تلو الآخر أربعة أقرام أخرى وجاندلف خلفهم مستندا على عصاه ويضحك. كان قد صنع انبعاجا في الباب الجميل وبالمرّة أزال العلامة السرية التي صنعها في الصباح الماضي وقال "احذر احذر ليس مثلك يا بيلبو من يبقي أصدقاءه منتظرين على عتبته ثم يفتح الباب كالمدفع، دعني أقدم لك بيفور، بوفور، بومبر وبالذات ثورين!"

- "في خدمتك" قالها بيفور، بوفور، بومبر واقفين في صف ثم علقت قلنسوتان صفراواتان وأخرى خضراء باهتة وأخرى سماوية اللون بحافة فضية طويلة. كانت هذه لثورين الذي كان يبدو قزم شديد الأهمية في الواقع لم يكن سوى ثورين اوكينشيلد (Thorin Oakenshield) العظيم بنفسه الذي لم يكن شديد السعادة لبقائه على عتبة بيلبو مع بيفور وبوفر وبومبر أمامه. كان بومبر شديد البدانة وثقيل وثورين في الواقع شديد الغطرسة ولم يقل شيئا عن الخدمة لكن السيد بيلبو المسكين الذي كان شديد الأسف في النهاية غمغم "المعذرة لم أقصد" وتوقف عن العبوس.  
قال جاندلف "حسنا نحن هنا جميعا ناظرا لصف القلنسوات الثلاثة عشر والقبعة خاصته على المشجب" يا له من حشد جميل! أتمنى ان يكون هناك شيء متبقي لآخر القادمين للأكل أو الشرب ما هذا شاي؟ لا شكرا! قليل من النبيذ الأحمر أعتقد انه لي!"

قال ثورين "ولي أيضا" وقال بيفور "ومر بي التوت وفطير التفاح" وقال بوفور "وفطير المفروم لي مع الجبن" وقال بومبر "ولحم الخنزير مع السلطة لي" هتف باقي الأقرام "والمزيد من الكعك والجة والقهوة إذا لم تمنع"

وقال جاندلف بعدهم "ضع بعض البيض هناك صحبة طيبة" في الوقت الذي كان الهوبيت منطلقا إلى مخزن المون وأضاف "و احضر بعض الدجاج البارد والمخلل"  
فكر بيلبو "يبدو أنك تعرف عن مؤني أكثر مني." كان يخفق بشدة وبدأ يتساءل هل أخطأت أسوأ المغامرات طريقها إلى منزله؟ مع الوقت وضع كل الأطباق والشوك والسكاكين والملاعق والزجاجات والأكواب والأشياء على صواني ضخمة كان يشعر بالحرارة ووجهه محمر ومتضيق .

قال بصوت عال "هؤلاء الأقرام مثيري الضجة والتشويش" أكمل بصوت خفيض مسموع "لماذا لا يأتون ويساعدون؟" هنا وقف بالين و دوالين عند باب المطبخ وفيلي وكيلي خلفهم وقبل أن يقول سكين كانوا قد حملوا برشاقة الصواني ومنضدتين صغيرتين إلى الردهة و وضعوا كل شيء بنظام.

جلس جاندلف على رأس الحفلة وحوله الأقرام الثلاثة عشر وجلس بيلبو على كرسي بجوار المدفأة ينأى في قطعة بسكوت-كانت شهيته ذهبت تماما-محاو لا أن يظهر كما لو أن كل شيء طبيعي على الأقل ليس مغامرة. أكل الأقرام وأكلوا وتحدثوا وتحدثوا ومر الوقت وفي النهاية دفعوا كراسيهم إلى أماكنها وبدأ بيلبو يجمع الأكواب والزجاجات

قال بأكثر لهجة تهديبا وأقل خشونة استطاعها "افترض أنكم ستبقون جميعا حتى العشاء"  
"بالطبع!" قال ثورين "وبعد أيضا فلن نبدأ في العمل حتى وقت متأخر ويجب أن نستمتع لبعض الموسيقى أيضا الآن من الأفضل!"

على إثر ذلك الاثنا عشر قزما - ليس ثورين الذي كان أعلى مكانة من هذا وظل يتحدث مع جاندلف - قفزوا وصنعوا أكواما من كل شيء وتمادوا دون استخدام الصواني صانعين أعمدة متوازنة من الأطباق كل عليه زجاجة في قمته ممسكينها بيد واحدة بينما الهوبيت يجري خلفهم يكاد يصرخ رعبا

"بحذر أرجوكم — و ..... أرجوكم لا مشاكل أنا أستطيع تولي أمرها"





لكن الأقزام شرعوا في الغناء  
هشموا الأكواب حطموا الأطباق! \_\_\_\_\_  
أثلموا السكاكين وأثنوا الشوك  
هكذا ما يكرهه بيلبو باجينز! \_\_\_\_\_  
اسحقوا الزجاجات واحرقوا الفلين!  
مزقوا الملابس وادهسوا الدهن! \_\_\_\_\_  
اسكبوا اللبن بأرضية غرفة المؤن!  
اتركوا العظام على مشاة غرفة النوم! \_\_\_\_\_  
انثروا الخمر على كل الأبواب!  
ارموا الأواني بصراخ عالي! \_\_\_\_\_  
أقرعوهم بعصا الطبله!  
وإذا انتهيتم إن كان بقي شيئاً \_\_\_\_\_  
القوهم في الردهة لتتدحرج!  
هكذا ما يكرهه بيلبو باجينز! \_\_\_\_\_  
لهذا حذار حذار على الأطباق!

وبالطبع لم يفعلوا أيًا من هذه الأشياء الفظيعة وكل شيء كان نظيفا ووضع في مكانه بأمان  
بسرعة البرق بينما الهوبيت يدور ويدور حول المطبخ يحاول أن يرى ماذا يفعل هؤلاء. ثم  
عادوا ووجدوا ثورين واقفا على رف المدفأة يدخل غليوننا كان ينفث عددا هائلا من حلقات  
الدخان ومهما أمر إحداها بالذهاب لتصعد للمدخنة أو تذهب خلف الساعة على الموقد أو تحت  
المنضدة لكن أينما ذهبت لم يكن كافيا للهرب من جاندف! بوب! كان يرسل حلقة دخان أصغر  
من غليونه الفخاري تمر كل واحدة عبر حلقة ثورين كانت حلقات جاندف تذهب وتتحول  
للأخضر وتعود دوما فوق رأس الساحر كان قد كون حوله بالفعل سحابة وفي الضوء الخافت  
جعلته يبدو غريبا و سحريا .

ظل بيلبو واقفا يراقب. كان يحب حلقات الدخان وفكر بخجل كم كان فخورا أمس بحلقة الدخان  
التي حركتها الرياح عبر التل.

قال ثورين " الآن بعض الموسيقى! أحضروا الأدوات "

كيلبي وفيلي هرعا إلى حقائبهما وأحضرا كمانين صغيرين . دوري ونوري و أوري أحضرا  
الفلوت من مكان ما داخل عباءاتهم بومبر أحضر طبله من الردهة بيفور وبوفور ذهبا للخارج  
وعادا ببوقين كانا تركاهما مع العصي.



دوالين وبالين قالوا "المعذرة لقد تركت خاصتي في الرواق "

وقال ثورين " أحضرا لي آلتني معكما "

عادا مع فيولاتان ضخمتان في حجميهما ومع القيثارة الخاصة بثورين ملفوفة  
في قماش أخضر . كانت قيثارة ذهبية جميلة وعندما لمسها ثورين بدأت العزف  
على الفور شديدة الجمال حتى أن بيلبو نسي كل شيء آخر وانسحب بعيدا إلى أراض مظلمة  
تحت قمر غريب بعيدا عن الماء وشديدة البعد عن حجر الهوبيت أسفل التل. تسلس الظلام إلى  
الحجرة عبر النافذة المفتوحة على جانب التل. كان لهب المدفأة يتراقص - كان شهر إبريل -  
وظلوا يعزفون بينما ظل لحية جاندف يتراقص على الحائط.

ملا الظلام كل الحجرة وانطفأت النار واختفت الظلال وظلوا يعزفون . وفجأة واحدا تلو الآخر





بدأوا في الغناء مع العزف. غناء عميق في الأماكن العميقة لبيوتهم العتيقة وهذه قطعة من أغنيتهم إن أمكن أن تكون مثلما شدوها بدون الموسيقى .

" بعيدا فوق الجبل الضبابي البارد \_\_\_\_\_ الحصن عميق والكهف عتيق  
يجب أن نرحل بعيدا قبل طلوع النهار \_\_\_\_\_ للبحث عن الذهب الشاحب الفتان  
أقزام الماضي صنعوا ممالك عملاقة \_\_\_\_\_ بينما ضرب المطارق كرنين الأجراس  
في أماكن عميقة حيث تنام كائنات الظلام \_\_\_\_\_ في الجحور العميقة وسط الجبال  
للملك القديم وسيد الجبان \_\_\_\_\_ هناك الكثير من الذخائر الذهبية  
مشكلة ومصاغة وتخطف الأبصار \_\_\_\_\_ لزينة الجواهر في مقابض السيوف  
في القلائد الفضية هي موضوعة \_\_\_\_\_ النجوم الزاهرة في التيجان معلقة  
نيران التنين في الشرك الملوي \_\_\_\_\_ تشبك أضواء الشمس والقمر  
بعيدا فوق الجبل الضبابي البارد \_\_\_\_\_ الحصن عميق والكهف عتيق  
يجب أن نرحل بعيدا قبل طلوع النهار \_\_\_\_\_ لجمع ذهبنا المنسي طويلا  
كئوس منقوشة هناك لأجلهم \_\_\_\_\_ وقيثارات ذهبية حيث لم يحفر بشر  
يرقدون طويلا ويغنون كثيرا \_\_\_\_\_ أغاني لم تسمع من إنس أو جن  
أشجار الصنوبر تزار في الأعلى \_\_\_\_\_ والرياح تنوح في الظلام  
النيران حمراء ولهبها ينتشر \_\_\_\_\_ والأشجار كمصابيح تضيء بالنار  
الأجراس تدق في دال (dale=وادي) \_\_\_\_\_ والناس تبحث بوجوه شاحبة  
غضب التنين اشد اشتعالا من النار \_\_\_\_\_ أسقط أبرجهم وبيوتهم هشة.  
الجبل تبخر مع القمر \_\_\_\_\_ بعيدا فوق الجبل الضبابي المروع  
الحصن عميق والكهف مظلم \_\_\_\_\_ يجب أن ننهض قبل طلوع النهار \_\_\_\_\_ لنغنم قيثاراتنا وذهبنا منه"  
بينما يغنون شعر الهوبيت بحب الأشياء الجميلة المصنوعة يدويا وبالبراعة والسحر ينفذان  
خلاله وحب عنيف غيور والرغبة في قلوب الأقزام ثم ظهر شيء ما من عرق التووك استيقظ  
داخله وتمنى لو يذهب ويرى الجبال العظيمة ويسمع أشجار الصنوبر و شلالات المياه ويستكشف  
الكهوف ويمسك سيفا بدلا من عصا المشي. نظر عبر النافذة كانت النجوم في السماء المظلمة  
فوق الأشجار. وتصورها جواهر الأقزام في الكهوف المظلمة فجأة في الغابة وراء النهر قفز  
لهب إلى أعلى على الأرجح شخص يشعل نارا من الخشب وفكر في غزوات التنين تحط على  
تله الهاديء وتحوله بالكامل إلى كتلة من اللهب. ارتعد وسرعان ما عاد السيد باجينز البسيط من  
نهاية باج(Bag-End) أسفل التل مرة أخرى كان مرتعشا. كان أقل من نصف عقله يدعوه لجلب  
المصباح وأكثر من نصفه للتظاهر بذلك والاختفاء وراء براميل الجعة في المخزن وعدم العودة  
حتى يرحل كل الأقزام! وفجأة وجد الموسيقى توقفت وكانوا جميعا ينظرون إليه بأعين تلمع في  
الظلام.



قال ثورين " إلى أين أنت ذاهب؟ " بلهجة تشي أنه خمن كلا النصفين في عقل الهوبيت







ثم أدار السيد باجينز المقبض ودخل. النصف التووكي قد انتصر فجأة شعر باستعداده أن يذهب بدون سرير أو إقطار فقط ليظنوا أنه شرس. كرفيق صغير يتمايل على العتبة جعله هذا شرسا حقا بعدئذ بعد وقت طويل النصف الباجينزي ندم على ما فعله وقال لنفسه " بيلبو أيها الأحمق لقد سرت نحو الأمر وورطت نفسك "

قال لهم "اعذروني. لو أني استرقت السمع للكلمات التي قلتها الآن أنا لا أظهار بمعرفة أو فهم ما تحدثون عنه أو ما تشير إليه بالصعلوك لكن أظن أنني على حق حين أعتقد ذلك " كان هذا ما يسميه الإبقاء على كرامته "أنك تعتقد أنني غير صالح سأريك الآن لا يوجد علامات على بابي لقد دهن الأسبوع الماضي وأنا متأكد تماما أنك جئت المنزل الخطأ ومنذ أن شاهدت وجوهكم المضحكة على بابي حتى انتابنتي الشكوك لكني عاملني كما لو كان البيت الصحيح أخبرني ماذا تريدني أن أفعل وسأحاوله لو أردتني أن أمشي من هنا إلى شرق الشرق لأحارب الزواحف الشرسة القديمة في الصحراء الأخيرة لقد كان لي خال أكبر عظيم بولروارير تووك و ----"

قاطعته جلويين "نعم نعم لكن هذا كان منذ زمن بعيد أنا أتحدث عنك أنت وأنا أؤكد لك أن هناك علامة على بابك. صعلوك يريد وظيفة طيبة والكثير من الإثارة ومكافأة معقولة هذا هو ما تفسر به عادة ربما تقول صائد كنوز خبير بدلا من صعلوك لو أردت. بعضهم يفعل الكل سواء بالنسبة لنا جاندف أن خبرنا أن هناك رجل من هذا النوع في هذه الأنحاء يبحث عن وظيفة فوروية وأنه رتب مقابلة معه يوم الأربعاء هنا في وقت الشاي"

قال جاندف " بالطبع هناك علامة لقد وضعتها بنفسني هناك لأسباب جيدة جدا. لقد سألتموني إيجاد رجل رابع عشر لحملتكم، وأنا اخترت السيد باجينز فقط ليقل أي شخص أنني اخترت الرجل الخطأ أو البيت الخطأ ويمكنكم التوقف عند ثلاثة عشر وأخذ كل الحظ السيئ الذي تريدونه أو تعودون للتنقيب عن الفحم."

وعبس بغضب شديد ناظرا لجلويين حتى أن القزم انكمش على نفسه في مقعده وعندما حاول بيلبو أن يفتح فمه ليسأل سؤال استدار وتجهم له ممسكا بجفونه الكثيفة حتى أغلق بيلبو فمه تماما بعضه.

قال جاندف " هذا صحيح دعونا من الجدل أنا اخترت السيد باجينز وينبغي هذا! وهذا كاف لكم جميعا لو وصفته بأنه صعلوك فهو صعلوك أو سيكون حين يحين الوقت هناك بداخله أكثر بكثير مما تظن والكثير أكثر من أي فكرة يتصورها عن نفسه ومن المحتمل -ربما- أن تبقىوا جميعا أحياء لتشكروني. الآن صغيري بيلبو أحضر المصباح ودعنا نلقي بعض الضوء على هذا!"



على المنضدة على ضوء مصباح كبير بظل أحمر افرد رقا يبدو كالخريطة.

قال مجيبا أسئلة الأقرام المتحمسة " هذه صنعت بواسطة ثرور جدك يا ثورين إنها تصف الجبل."

قال ثورين بخيبة أمل بعد أن ألقى نظرة خاطفة " لا أرى في هذا فائدة حقيقية أنا اذكر الجبل جيدا والأراضي المحيطة به و أعرف أين ميركوود والمرج الذابل حيث مأوى التنين العظيم"

قال بالين "هناك علامة تنين حمراء على الجبل لكن من السهل العثور عليه بدون هذه! إذا ما وصلنا هناك أصلا"

قال الساحر " هناك نقطة لم تلاحظوها وهي مدخل سري أترى هذه الحروف الرونية في الجانب الغربي واليد التي تشير لها من رونيات أخرى ؟ هذه تشير لممر خفي للرداهات السفلية."

قال ثورين "ربما كان سريرا ذات يوم لكن ما أدراك أنه مازال سريرا؟ سماوج الكبير عاش هناك طويلا بما فيه الكفاية ليجد أي شيء يمكن معرفته في هذه الكهوف."

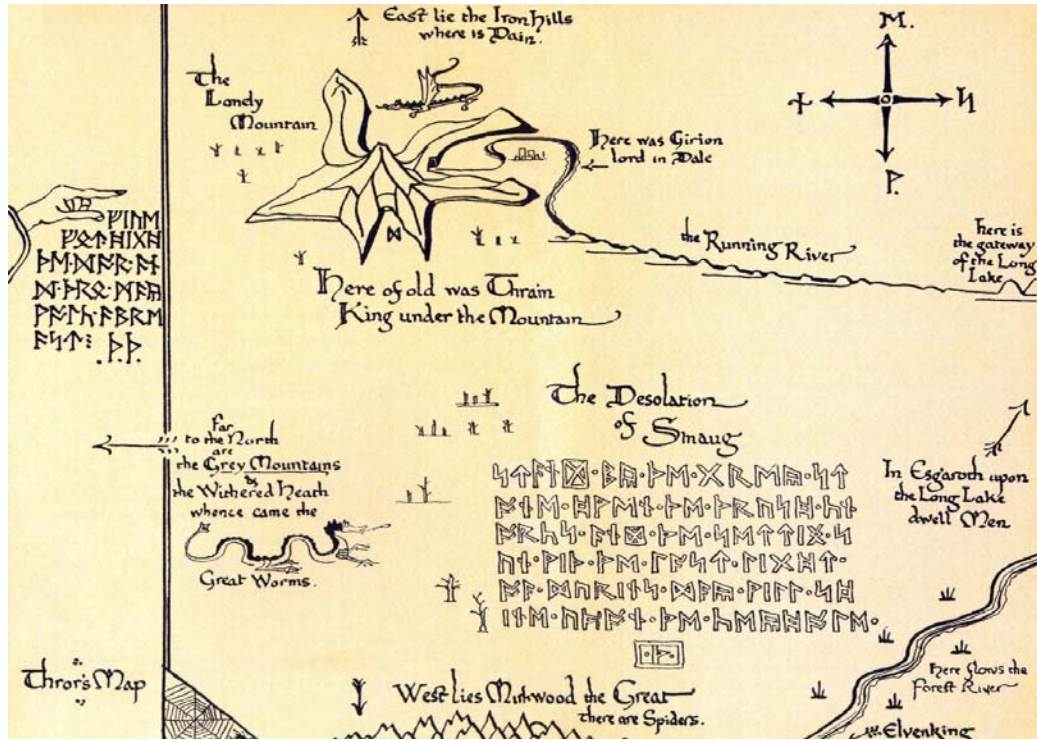
- "ربما فعل لكنه لا يستطيع استخدامه لسنوات وسنوات "

- "لماذا؟"





- "لأنه صغير جدا الباب ارتفاعه خمسة أقدام ويمكن لثلاثة المشي متجاورين كما تشير الرونية لكن سماوج لا يستطيع الزحف في حفرة بهذا الحجم ليس منذ أن كان تنينا صغيرا وبالتأكيد ليس منذ أن التهم الكثير من الأقرام والبشر في دال " صرخ بيلبو " تبدو حفرة كبيرة بالنسبة لي ! " فلم يكن له خبرة بالتنينات وإنما فقط بجحور الهوبيت وكان قد امتلأ مرة أخرى بالإثارة والتشويق لهذا نسي إبقاء فمه مغلقا .







كان يحب الخرائط وكان يعلق في الردهة واحدة عملاقة علم عليها كل أماكن سيره المفضلة بالحبر الأحمر "كيف يبقى باب عملاق مثل هذا سريرا للجميع في الخارج بغض النظر عن التنين؟" كان يجب أن يسأل فيجب ألا ننسى أنه هوبيت ضئيل .

أجاب جاندلف "بطرق كثيرة لكن بأبيها أخفي الباب لن نعرف حتى نذهب لنراه. مما ذكر بالخريطة أستطيع التخمين أن هناك باب مغلق صنع مشابها تماما لجانب الجبل فهو اسلوب الأقرام المعتاد أظن هذا صحيحا أليس كذلك؟" رد ثورين "صحيح تماما"

أضاف جاندلف "أيضا نسيت أن أذكر أن الخريطة معها مفتاح، مفتاح صغير ومثير للفضول هذا هو!" ومد يده لثورين بمفتاح طويل عليه كلمات معقدة مصنوع من الفضة "احفظه في أمان" قال ثورين "في الحقيقة سأفعل" ثم علقه في سلسلة رفيعة معلقة في عنقه أسفل سترته. "الآن الأمور تبدو أكثر إثارة للتفاوض هذه الأخبار تغير الكثير من الأمور للأفضل لزمن طويل لم يكن عندنا أي فكرة عما نفعل فكرنا في الذهاب شرقا بأهدأ وأحذر ما نستطيع إلى البحيرة الطويلة لونج ((Long=الطويلة)) بعد هذا تبدأ المتاعب"

قاطع جاندلف "قبل هذا بكثير لو أني أعرف أي شيء عن أعباء الشرق." أكمل ثورين دون تعليق "من الممكن أن نذهب من هناك مع مجرى النهر حتى خرائب دال المدينة القديمة في الوادي هناك تحت ظلال الجبل لكن لا أحد منا يحب فكرة البوابة الأمامية النهر يجري مباشرة أمامها عبر الجرف العظيم في جنوب الجبل ومنها يأتي التنين. غالبا ما لم يكن المكان قد تغير."

قال الساحر "لن يكون هذا جيدا بدون محارب عظيم أو حتى بطل لقد حاولت العثور على واحد لكن المحاربين مشغولون بقتال بعضهم البعض في البلاد البعيدة وفي هذه المنطقة الأبطال نادريين، أو ببساطة أكثر من أن نجدهم السيوف في هذه البقاع غير حادة والفئوس من أجل الأشجار والدروع تستخدم كمهد أو أغطية للأطباق والتنين على بعد مريح لهذا فهو لهم مجرد كائن أسطوري لهذا ركزت على الصعاليك خاصة حين تذكرت وجود الباب الجانبي وهنا صغيرنا بيلبو باجينز الصعلوك. الصعلوك المنتقى والمختار لهذا دعونا نكمل ونضع بعض الخطط."

قال ثورين "عظيم جدا أفترض أن الصعلوك بخبرته سيعطينا بعض الأفكار أو اقتراحات" ونظر لبيلبو بأدب زائف!

كان بيلبو يشعر بالارتباك والاهتزاز بداخله لكنه مازال تووكي النزعة مصرا على المضي في الأمر فقال:

"أولا يجب أعرف أكثر عن الأمور. أعني عن الذهب والتنين وكل هذا وكيف وصل إلى هناك ولمن ينتمي وهكذا إلى النهاية"

قال ثورين "فليرحمني الله! ألم تر الخريطة وتسمع غنائنا. ألم نتحدث عن هذا طوال ساعات؟" "كله سيان أنا أريد كل شيء واضح وصريح" قالها بعناد مستخدما طرقة في العمل التي يستخدمها عادة مع الناس الذين يحاولون إقراض المال منه باذلا قصارى جهده ليبدو حكيما محترفا حسيفا وبمستوى تزكية جاندلف.

"أيضا أريد أن أعلم أكثر عن المخاطر، النفقات الجانبية، الوقت اللازم، المكافأة وإلخ" قاصدا علام سأحصل وهل سأعود حيا؟

قال ثورين "أه حسنا منذ زمن بعيد في عهد جدي ثرور خرجت عائلتنا لأقصى الشمال أتوا بكل ثرواتهم وأدواتهم لهذا الجبل على الخريطة الذي اكتشفه سلفي ثراين الكبير وقاموا بالتعدين وحفر الأنفاق وصنعوا قاعات أضخم وورش أعظم وأوقن أنهم وجدوا كميات طيبة من الذهب والمجوهرات كذلك بأي حال لقد ازدهروا وازدادوا غنى وشهرة في وقت قصير وجدي أصبح ملكا مرة أخرى على ما أسفل الجبل ويعامله بتبجيل كبير البشر الفانين الذين يعيشون بالجنوب وينتشرون بانتظام مع مجرى النهر بطول ما يظل الجبل الوادي. بنوا مدينة دال البهيجة في هذه





الأوقات اعتاد الملوك أن يرسلوا لصائغينا ويطلبون حتى أقلهم مهارة وأغلامهم أجرا. الآباء يتوسلون لنا أن نأخذ أبنائهم كمتدربين ويدفعون لنا بسخاء خاصة من إمدادات الطعام التي لم نزرع أنفسنا أبدا بزرعها أو إيجادها. كل هذا كان أيا منا الطيبة وأقربنا يملك مالا لينفقه ويقرضه وفراغ ليصنع أشياء جميلة فقط للمرح ولا أتحدث عن أكثر الألعاب سحرا وإثارة للدهشة لا يوجد أمثالها الآن في هذا العصر لذا امتلأت قاعات جدي بالجواهر، الدروع، المنحوتات والكئوس. وكان سوق الألعاب في دال أعجوبة الشمال بلا شك كان هذا ما جلب التنين. التنانين تسرق الذهب والجواهر كما تعلم من الأقزام والجن والبشر حيثما استطاعوا إيجادها ويحرسون غنائمهم طوال عمرهم وهو ما يساوي عمليا إلى الأبد ما لم تقتل ولا تستمتع حتى بخاتم نحاسي منها إنهم حقيقة بالكاد يعرفون الغث من السمين رغم أنهم عادة يتتبعون القيمة السوقية ولا يستطيعون صناعة شيئا لأنفسهم ولا حتى إصلاح عطب بسيط في دروعهم كان هناك تنانين كثيرة في الشمال والذهب نادر لهم فقط من الأقزام الذين يرحلون جنوبا أو يقتلون ومن كل ما كان يصنعه التنانين من عبث وتدمير من سيئ إلى الأسوأ كان هناك بالذات أحد أكثر الديدان شرا وجشعا وقوة يسمى سماوج. يوما ما طار في الهواء وأتى جنوبا كان أول ما سمعناه منه ضجة مثل الإعصار وأشجار الصنوبر على الجبل تتوح وتتحطم مع الرياح. بعض الأقزام كانوا في الخارج - كنت محظوظا مغامرة صبية بسيطة في هذه الأيام ودائما أتعجب مما حدث بهذا الوقت وحفظ حياتي - حسنا من مسافة بعيدة كافية شاهدنا التنين يهبط على جبلنا مع نافورة من اللهب ثم انحدر لأسفل ولما وصل الغابات تحولت كلها لنيران وقرعت كل الأجراس في دال وتسلح المحاربين وهرع الأقزام من البوابة الكبيرة لكن التنين كان هناك ينتظرهم لم ينج أحدهم من هذا الطريق تحول النهر لبخار وغطى الضباب دال ووسط الضباب أتى التنين وقضى على معظم المحاربين القصة المأساوية المعتادة كان هذا شائع جدا تلك الأيام ثم عاد وتسلل عبر البوابة



الأمامية وسلك كل الأزقة والأقبية والقاعات والأنفاق والحارات والقصور والممرات بعدها لم يعد هناك أقزام أحياء بالداخل واخذ كل ثروتهم لنفسه. على الأرجح- لأن هذا أسلوب التنين- جمعها في كومة كبيرة أقصى الداخل وينام عليها كفراش فيما بعد اعتاد الزحف عبر البوابة الكبيرة ويعود مع المساء لدال حاملا الناس خاصة العذارى ليأكلهم حتى خربت دال وكل من فيها ماتوا أو رحلوا ما يحدث الآن تحديدا لا أعرفه لكن أفترض أنه لم يعد أحد يعيش قرب الجبل حتى حافة بحيرة لونج الآن القليل منا ممن كانوا بالخارج جلسنا ننتحب في الخفاء نلعن سماوج هناك التقينا على غير توقع بأبي وجدي ولحاهم محترقة بدوا شديدي التجهم لكنهم لم يقولوا إلا القليل حين سألتهم كيف هربوا أمراني بإمساك لساني وقالوا

أني في اليوم المناسب سأعرف بعدها رحلنا بعيدا. كان علينا كسب قوتنا بأفضل ما نستطيع عبر البلاد أعمال بسيطة عادة كالحدادة أو حتى مناجم الفحم لكننا أبدا لم ننس كنزنا المسروق والآن- حين أعزم-سيكون عندنا حظوظ طيبة ولسنا بأسوأ حال"

هنا أمسك ثورين بالسلسلة الذهبية على رقبتة"مازلنا مصرين على استعادته وإيصال لعنات وطننا إذا استطعنا لسماوج لطالما تساءلت عن هروب جدي وأبي أرى الآن أنه كان حتما لنا باب خلفي خاص يعرفانه هما فقط لكن يبدو أنهما صنعا خريطة وأتمنى معرفة كيف وضع جاندف يده عليها وليس يدي أنا الوريث الصحيح"

قال الساحر أنا لم أضع يدي عليها لقد أعطيتها لقد قتل جدك كما تذكر في مناجم موريا بواسطة أزروج الغول -"

قاطعه ثورين "نعم، عليه اللعنة"





"وثرين والدك رحل بعيدا في الحادي والعشرين من أبريل من مائة عام تمت الثلاثاء الماضي ولم ير منذ ذلك الوقت"

قال ثورين " صحيح صحيح "

"حسنا والدك أعطاني الخريطة لأعطيها لك وإذا كنت قد اخترت الوقت الذي رأيته مناسباً لإعطائها فيمكنك بالكاد لومي أخذاً في الإعتبار المشاكل التي قابلتني حتى عثرت عليك. لم يستطع والدك أن يتذكر اسمه عندما أعطاني هذه الورقة ولم يخبرني باسمك لهذا في النهاية أعتقد أنك مدين لي بالشكر والإمتنان ها هي" قالها وهو يسلمها لثورين الذي قال " أنا لا أفهم "

وأحس بيلبو بالمثل فالتفسير بدا غير مفسر قال الساحر ببطء وتجهم:

"جدك أعطى الخريطة لابنه بأمان قبل الذهاب للتعدين بموريا ذهب والدك ليحرب حظه مع الخريطة بعد مقتل جدك وقابله الكثير من المغامرات من أفضع الأنواع لكنه لم يستطع أبداً أن يقترب من الجبل كيف وصل هناك لا أعرف؟ لكنني وجدته سجيناً في زنازين النيكرومانسر  
\*Necromancer"

قال ثورين برعشة بينما باق الأقرام يرتجفون "وماذا كنت تفعل هناك؟"

"لا تشغل ذهنك كنت أجد أشياء كالمعتاد وكانت الأعمال الخطرة السخيفة حتى أنا جاندلف هربت بالكاد حاولت إنقاذ والدك لكن الأوان كان قد فات كان معنوها ومذهولاً ونسى كل شيء تقريباً باستثناء الخريطة و المفتاح "

قال ثورين " ظللنا لزمنا طويل ندفع لغيلان موريا حتما نضع النيكرومانسر في ذهننا"

"لا تكن أرعاً! إنه عدو يتجاوز كلية قوة الأقرام مجتمعين لو أمكن جمعهم مرة أخرى من أركان العالم الأربعة الشيء الوحيد الذي تمناه والدك هو أن يقرأ ابنه الخريطة ويستعمل المفتاح التنين والجبل مهمات أكثر من كافية" فجأة بصوت عال قال بيلبو "أنصتوا! أنصتوا!"

قال الجميع ملتفتاً فجأة له "نصت لم؟"

كان مرتبكاً وهو يجيب "اسمعوا ما سأقول!"

سأله "وما هو؟"

"حسناً أرى أنه ينبغي أن تتجهوا شرقاً للإستطلاع في النهاية هناك باب جانبي والتنين لا بد أن ينام وقت ما أعتقد أنكم لو بقيتم على عتبة الباب مدة كافية سأجروء على القول أنكم ستفكرون في شيء ما وحسناً ألا تعلمون أعتقد أننا تحدثنا بما يكفي لليلة واحدة لو أنكم تفهمون ما أعني ماذا عن النوم وبداية مبكرة وكل هذا؟ سأعطيكم إفطاراً شهياً قبل أن نذهبوا"

قال ثورين "تقصد قبل أن نذهب أأست صعلوكاً؟ وأليس البقاء على الباب مهمتك بغض النظر عن دخوله؟ لكنني أوافقك على النوم والإفطار أحب مع لحم الخنزير البيض حين نبدأ الرحلة مقلي وليس مسلوق وأرجو ألا تكسره!"

بعد أن أعطاه الجميع طلباتهم للإفطار بدون حتى كلمة من فضلك (وهو ما ضايق بيلبو كثيراً) صعدوا جميعاً لأعلى وشغلوا كل غرفه الاحتياطية وافترشوا الكراسي والأرائك قبل أن يأويهم جميعاً ويذهب لفرشه الصغير في منتهى الإرهاق و غير سعيد بالمرّة شيء واحد استقر عليه وهو ألا يزعج نفسه بالإستيقاظ مبكراً جداً ليطهو للجميع إفطارهم المرهق. كانت النزعة التوكوية بداخله تتلاشى ولم يعد الآن شديد التأكد أنه سيقوم برحلة في الصباح وبينما كان راقداً في الفراش كان مازال يسمع ثورين في أفضل حجرة بعد حجراته يدندن لنفسه

"بعيدا فوق الجبل الضبابي البارد \_\_\_\_\_ الحصن عميق والكهف عتيق

يجب أن نرحل بعيداً قبل طلوع النهار \_\_\_\_\_ لجمع ذهبنا المنسي طويلاً "

نام بيلبو وهذا في أذنيه وهو ما أعطاه أحلام غير مريحة وكان مضى وقت طويل بعد طلوع النهار عندما استيقظ.

\*Necromancer= مستحضر الأرواح/الساحر/ضرب من فنون السحر الأسود يعتمد على تشويه أجساد الموتى))





## الفصل (٢) شي الضأن

قفز بيلبو واضعاً رداءه ومنطلقاً إلى حجرة الطعام وهناك لم ير أحداً لكنه وجد كل علامات إفطار عاجل سريع.

كان هناك فوضى مريعة في الحجرة كانت هناك أكوام من الخزف المحطم غير المغسول في المطبخ يبدو أن كل قدر و مقلاة يملكها قد استعملت. كان الغسيل ذو كآبة واقعية تجبر بيلبو على تصديق أن حفلة الأمس لم تكن جزءاً من أحلامه السيئة كما كان يتمنى. في الحقيقة كان مرتاحاً أنهم رحلوا جميعاً بدون أن يكلفوا أنفسهم مشقة إيقاظه وفكر: لكن بدون حتى كلمة شكر له رغم ذلك بطريقة ما لم يستطع أن يقاوم إحساسه أنه أمله قد ضاع عبثاً وهو الإحساس الذي فاجئه "لا تكن أحمق يا بيلبو باجينز التفكير في التناين وكل هذه البلاد الغريبة لا معنى لها في سنك!" وهكذا وضع المنزر أشعل النار وغلى الماء وبدأ الغسيل ثم حصل على إفطار جميل بسيط في المطبخ قبل أن يتحول إلى حجرة الطعام ومع الوقت كانت الشمس متأققة والباب مفتوح ليدخل نسمات الربيع الدافئة بدأ بيلبو يصفر بصوت عال ونسى كل شيء عن ليلة الأمس في الحقيقة كان يعد لإفطار ثانٍ لطيف في غرفة الطعام عند النافذة المفتوحة حين أتى جاندلف "رفيقي العزيز متى ستأتي؟ ماذا عن بداية مبكرة؟ وهأنت تتناول إفطارك أو أياً ما كان ما تسميه في العاشرة والنصف! لقد تركوا لك الرسالة لأنهم لم يستطيعوا الانتظار" سأله بيلبو المسكين "أية رسالة؟" وهو مرتبك. قال جاندلف "يا للأفيال العظيمة! أنت لست نفسك هذا الصباح أنت لم تنفض التراب عن رف الموقد!"

"وماذا في هذا؟ كان عندي من الغسيل ما يكفي لأربعة عشر شخصاً!"  
"لو أنك نفضت التراب عنها لوجدت الرسالة تحت الساعة تماماً"  
وأعطاه الرسالة مكتوبة على مذكرته الخاصة  
(ثورين والرفاق يحيون الصعلوك!)

لضيافتك شكرنا المخلص، ولعرضك المساعدة المحترفة قبولنا الممتن،  
البنود: الدفع عند التسليم حتى ولا يتجاوز واحد إلى أربعة عشر من الغنيمة الكلية (إن وجدت) جميع نفقات السفر مضمونة تحت جميع الظروف مصاريف الجنازة يتحملها نحن أو من يمثلنا لو قاطعتنا أحداث والأمر لم يمض كما المخطط له فكرنا أنه ليس من الضروري أن نقلق مهجعك المحترم لهذا انطلقنا لنحضر المعدات المطلوبة وسننتظر شخصك المحترم في حانة التين الأخضر في بيوتر (Bywater) الساعة ١١ صباحاً تماماً واثقين أنك ستكون في الموعد.  
لنا الشرف دوماً أن نكون لك بشدة-----

(ثورين ورفاقه)

قال جاندلف "هذا يترك لك عشر دقائق فقط يجب أن تعدو."

قال بيلبو "لكن -"

قال الساحر "لا وقت لها!"

قال بيلبو ثانية "لكن -"

"لا وقت لهذه أيضاً! اغرب واذهب!"

لنهاية أيامه لا يستطيع بيلبو أن يتذكر كيف وجد نفسه في الخارج بدون قبعة أو عصا ولا نقول مالا أو أي شيء يأخذه عادة وهو يخرج تاركا إفطاره الثاني نصف منتهياً ولم ينظفه دافعا مفاتيحه في يد جاندلف ويجري بأقصى ما تستطيع قدمه المكسوة بالفراء عبر الممر، مروراً بالطاحونة الكبيرة قاطعا المجرى وهكذا لميل أو أكثر كان شديد اللهاث بالكاد عندما وصل بيوتر عند الحادية عشر ووجد أنه لم يأخذ معه أي مناديل قال بالين الذي كان ينتظره على باب الحانة "برافو!" وعندها كل الآخرين أتوا من ناصية الطريق ناحية القرية كانوا يمتطون أفراسا وكل





فرس كان محملا بكل أنواع الحقايب والصرر واللفائف والأدوات الشخصية وكان هناك فرسا صغيرا جدا على ما يبدو لبيلبو  
قال ثورين "أنت أتيت أيضا بينما نحن نستعد للرحيل!"  
قال بيلبو "أنا في شدة الأسف لكني أتيت بدون قبعتي وأنا نسيت منديلي وليس معي مال أنا لم أحصل على رسالتك إلا في ١٠,٤٥ لأكون دقيقا."  
قال دوالين "لا تكن دقيقا ولا تقلق! ستضطر لتدبير أمورك دون مناديل وأشياء كثيرة طيبة قبل أن تصل لنهاية الرحلة وبالنسبة للقبعة فعندي قلنسوة وعباءة احتياطين في متاعي."



وهكذا بدأوا جميعا راكبين من الحانة في صباح جميل قبيل مايو على أفراس محملة وبيلبو مرتديا قلنسوة خضراء داكنة وعباءة بنفس اللون معارتان من دوالين كانتا كبيرتان عليه جدا وجعلتاه يبدو هزليا ماذا كان والده بنجو سيقول عنه لا أجرؤ على القول العزاء الوحيد له أنه لا يمكن أن يظن أنه قزم لأنه بدون لحية. لم يركبوا لمدة طويلة عندما أتى جاندف شديد البهاء راكبا جوادا أبيض محضرا معه الكثير من المناديل وجليون بيلبو والتبغ. وهكذا مضت الصبحبة بسعادة وهم يحكون القصص ويغنون الأغاني بينما هم راكبين طوال اليوم ما عدا بالطبع عند التوقف للوجبات وهذه لم تأت تماما كما كان يحب بيلبو لكنه مع ذلك بدأ يشعر أن المغامرات ليست بهذا السوء في البداية عبروا أراضي الهوبيت وبلاد برية معتبرة مسكونة بقوم محترمون ولها طرق جيدة وحانة أو اثنتان وبين الحين والآخر يمر بهم قزم أو فلاح في عمله. ثم أتوا على بلاد يتكلم ناسها بغرابية ويغنون أغان لم يسمعا بيلبو من قبل الآن قد توغلوا في



الأراضي الوحيدة ((Lone-lands)) حيث لا بشر أو حانات والطرق تزداد سوءا ولم يمض الكثير حتى التلال الوحشة ((dreary hills)) ترتفع أكثر وأكثر مظلمة بأشجارها. وعلى بعضها قلاع قديمة ذات منظر شرير كما لو أنها بنيت على يد أناس كريهون كل شيء بدا عابسا، حتى الطقس هذا اليوم تحول تحولا كريها : قبل ذلك كان جميلا بأقصى ما يكون عليه شهر مايو كما لو كانوا في قصة سعيدة لكنه الآن باردا ورطبا وفي الأراض الوحيدة كانوا يعسكرون عند الحاجة وعلى الأقل كانت جافة "حين تفكر أن يونيو أت،" دمدم بيلبو بينما هو يقطر خلف الآخرون في درب موحل بشدة. كان قد مضى وقت الشاي وكان المطر ينهمر منذ أول النهار





وقلنسوته تسقط على عينه وعبائته ممتلئة بالماء والفرس كان مرهقا ويتعثر في الصخور والباقون أكثر تدمرا من أن يحادثهم. وفكر بيلبو "وأنا واثق أن المطر قد بلل الملابس الجافة وحقائب الطعام ألا بعدا للمغامرة والصعلة وكل شيء يدفعك لمثل ذلك أتمنى أن أكون في البيت في جحري اللطيف بجوار النار، مع الغلاية حين تبدأ تغلي!" لم تكن آخر مرة يرغب في تلك الأمانة!

ومازالت الأقرام تهول وأبدا لا تستدير أو تعير أي اهتمام للهوبيت. في مكان ما خلف السحب الرمادية غربت الشمس حتما لأن الظلام زحف والريح اشتدت والصفصاف على ضفة النهر تلوى وتحسر لا أعلم أي نهر: كان نهر أحمر جار معبأ بمطار اليومين الماضيين والسيول من التلال والجبال المقابلة لهم وسرعان ما أصبحت الدنيا مظلمة وشتت الرياح السحب ليظهر القمر الشاحب فوق التلال بين الرايات الطائفة وتوقفوا وقال ثورين شيء ما عن العشاء وعن "كيف نجد بقعة جافة للمبيت"

ثم ادركوا أن جاندلف ليس بينهم! لمدة طويلة لم يفارقهم دون أن يذكر إذا كان سيظل معهم طوال المغامرة أم يرافقهم لمدة فقط كان أكثر من أكل وأكثر من تكلم وأكثر من ضحك لكنه ببساطة الآن ليس موجودا! استنكر دوري ونوري -الذان كان يوافقان الهوبيت على أهمية الوجبات المنتظمة الكثيرة- وقالوا "فقط عندما أصبحت الحاجة لساحر في أشدها!"

قررروا في النهاية أن التخيم حيث هم فمنذ وقت طويل لم يقيموا معسكرا في هذه الرحلة ورغم ادراكهم أنهم سيضطرون للتخيم بانتظام حين يكونون فوق الجبال الضبابية وبعيدا عن أرض من يحترمونهم من البشر لكن بدت لهم ليلة سيئة مبللة كبداية.

توجهوا إلى أجمة من الأشجار ورغم أنها كانت أكثر جفافا تحت أقدامهم فقد كان من أكثر ما يثير ضيقهم أن الرياح تدفع المطر على الأوراق ثم يتقاطر نقطة نقطة عليهم أيضا ما كان مؤذيا هو النار فالأقرام تستطيع إشعال النار تقريبا في أي مكان وفي أي شيء في وجود الرياح وغياها لكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوها الليلة حتى أوين وجلوين اللذان كانا متخصصان فيها.

وبعدا أحد الأفراس أصابه الخوف من لا شيء وفر واندفع في النهر قبل أن يستطيعوا إخراجه حتى أن فيلي وكيلي كادا أن يغرقا أما كل المتاع الذي يحمله فضاع بالطبع وكان يحوي معظم الطعام لذا فما تبقى لهم من أجل العشاء كان قليلا بدرجة مخيفة وأقل منه للإفطار. فجلسوا جميعا متجهمين ومبللين و متدمرين بينما ذهب أوين وجلوين ليحاولا إشعال بعض النار ويتشاجرا عليها وأدرك بيلبو بحزن أن المغامرة ليست كلها ركوب الفرس تحت شمس مايو المشرقة حين قال بالين الذي كان رجل الاستطلاع "هناك ضوء أعلى هناك."

هناك هذا كان تلا بعيدا بعض الشيء تعلوه أشجار كثيفة لحسن الحظ من بعض الأماكن خارج ظلمة الأشجار استطاعوا أن يروا ضوء لامع ضوء أحمر مريح كما لو كان لهبا أو وميض مصباح حين نظروا له جميعا بعض الوقت شعروا بغضب وبعضهم هتف "كلا!" والبعض قال "نعم!"

البعض قال أنهم يستطيعون أن يذهبوا ويروا وأي شيء أفضل من عشاء قليل وإفطار أقل مع ملابس باردة طوال الليل أما الآخرون فقالوا أن هذه الأنحاء غير معروفة تماما وقريبة للجبل ونادرا ما يأتي المسافرون عبرها فالخرايط القديمة لا تنفع والأشياء تغيرت للأسوأ والطريق لا حراسة عليه حتى أنه لا يكاد يسمع عن ملك ييسط سلطانه على هذه الأنحاء ويجب أن تسألوا أنفسكم قليلا عن المتاعب التي على الأرجح ستقابلونها.

بينما قال البعض في النهاية نحن أربعة عشر. وقال البعض هل يمكن أن يكون جاندلف؟ وهذه الملحوظة كررها الجميع ثم بدأت الأمطار تهطل أسوأ من ذي قبل وبدأ أوين وجلوين يتشاجران مما حسم الأمر وقالوا:

"على أي حال نحن معنا صعلوك."

وهكذا ذهبوا جميعا يقودون أفراسهم بكل الحرص والحذر اللازمين تجاه الضوء. اتجهوا للتل وسرعان ما دخلوا الغابة صعدا التل ولكن لم يكن هناك طريق يمكن رؤيته مثل تلك التي تؤدي





لمنازل أو مزرعة وهكذا أخذوا يعملون جلبية وصريرا وطققة ( والكثير من التذمر والتخطيط) بينما يخترقون الأشجار في البقعة المظلمة ثم فجأة ظهر الضوء الساطع شديد الوضوح عبر جذوع الأشجار غير بعيد عنهم.

فقالوا "الآن دور الصعلوك." يقصدون بيلبو

وقال ثورين "يجب أن تذهب وتستطلع كل شيء عن هذا الضوء ولم هو موجود؟ وإذا كان كل شيء آمن ومريح؟" وأضاف "الآن اذهب وعد سريعا لو أن كل شيء على ما يرام. إذا لم يكن عد إن استطعت! تستطيع أن تصرخ مرتين مثل عش البوم ومرة مثل أنين البومة! وسنرى ما يجب أن نفعله."



للأسف اضطر بيلبو للذهاب قبل أن يوضح أنه لا يستطيع تقليد صوت البوم من أي نوع أكثر من قدرته على التحليق مثل الخفاش لكن في جميع الأحوال الهوبيت يستطيعون التحرك بسرعة في الأدغال بسرعة حقيقية وهذا مجال فخر لهم و بيلبو ازدرى أكثر من مرة ما سماه "كل جلبية الأقرام هذه." حينما كانوا يعبرون الغابة لكن رغم ذلك لا أعتقد أنك أنت أو أنا نستطيع أن نلاحظ أي شيء في ليلة عاصفة ما لم يكن موكبا بأكمله يترجل أمامك!

وحينها اتجه بيلبو نحو الضوء بهدوء حتى أنني لا أتصور أن حتى ابن العرس قد يهز شاربه بسببه ولهذا بالطبع عندما اتجه نحو النار-كان مصدر الضوء نارا- لم يلفت إنتباه أي شخص وكان هذا ما رآه ثلاثة أشخاص ضخام جدا يجلسون حول نار هائلة من جذوع الزان ويشوون الضأن على عصي طويلة خشبية ويلعقون المرق من أصابعهم كان هناك رائحة لذيذة لطيفة وبرميل شراب جيد في متناولهم ويشربون في أباريق في أيديهم لكنهم كانوا عمالقة!\*(troll)\*

حتما عمالقة حتى بيلبو رغم حياته الهادئة كان يستطيع أن يعرفهم من وجوههم الضخمة الثقيلة وحجمهم وشكل أرجلهم دون ذكر لغتهم اللتي لا تناسب غرف المائدة إطلاقا إطلاقا.

قال أحد العمالقة "ضأن أمس واليوم ويكون غالبا يبدو أن ضأن غدا مرة أخرى" \*\*

رد أحدهم "منذ مدة طويلة لم نتحصل بلحم إنسان بم كان يفكر إل وليام حين أحضرنا لهذا الأثناء فليضربني والشراب ينفذ ماذا أكثر؟"

قالها وهو يهز مرفق وليام الذي كان يأخذ جرعة في إبريقه. فوجيء وليام وصرخ "أخرس فمك!"

ثم أضاف بأسرع ما يستطيع "أنت لا تستطيع الظن أن يأتي القوم يتوقفون هنا للأبد فقط لكي يأكلهم أنت وبرت أنت التهمت قرية ونصف منذ أن هبطنا من الجبل كم تريد أكثر من هذا والوقت لم يمض في طريقنا منذ أن قلت شكرا لك بيل لقطعة ضأن الوادي السمينة الجميلة مثل تلك."

وأخذ قطعة من قدم غنم كان يشويها وسد شفثيه على سخريته .

نعم للأسف هكذا يتصرف العمالقة حتى هذه التي تملك رأسا واحدة للفرد وبعد أن سمع بيلبو كل هذا كان ينبغي أن يفعل شيئا فورا إما أن يعود سريعا ويحذر أصدقائه أن هناك ثلاثة عمالقة ذات حجم مخيف يتلاعب بهم مزاج سيء يشجعهم جدا على شي الأقرام أو أن يقوم بعمل جيد سريع من أعمال الصعلكة فقط صعلوك أسطوري

من الطراز الأول عند هذا الموقف سوف ينشل جيوب العمالقة – كانت حقا غنيمة ثمينة لو استطعت فعلها- ويسرق الضأن من عصا الشبي ويختلس الجعة ويرحل دون أن يلاحظوه صعاليك آخرون أكثر عملية وأقل كبرياء إحترافيا ربما تغرس خنجرا في كل منهم قبل أن يلاحظوا وبعدها يمكن قضاء الليلة في سعادة كان بيلبو يعرف هذا لقد قرأ عن أشياء طيبة كثيرة لم يراها أو يجربها! كان حذرا للغاية وكذلك مشمئزأ تمنى أن يجد نفسه على بعد مائة ميل ومع هذا؟ ومع هذا لم يستطع العودة مباشرة لثورين ورفاقه بيد فارغة

\* ( troll = عملاق - أو قزم في أساطير أخرى- يسكن الكهوف أحد الكائنات الخرافية الاسكتلندية) \*\*\*(المفترض أن العمالقة تتحدث بركاكة وتسقط بعض الحروف من الكلمات في النص الانجليزي)\*\*\*





لهذا وقف وتردد في الظلام متذكرا مختلف طرق الصعلكة التي سمعها عن نشل جيوب العمالقة وهو ما بدا له الأقل صعوبة وهكذا في النهاية زحف عند شجرة تماما خلف وليام. برت وتوم ذهبا للبرميل وليام أخذ شرابا آخر وبيلبو تشبث بشجاعته ووضع يده الصغيرة في الجيوب العديدة لوليام كان هناك كيس مال فيها كبيرا مثل حقيبة بيلبو وحدث نفسه شاعرا بمهنته الجديدة "ها هي البداية."



في الحقيقة كانت أكياس العمالقة مصدر أذى وهذه لم تكن استثناء. فقد صفت بمجرد أن خرجت من الجيب "ارر من أنت ي. " واستدار وليام فورا وأمسك ببيلبو من عنقه قبل أن يستطيع الإختباء خلف الشجرة.

قال وليام "هم انظر بيرت ماذا أمسكت؟"

قال الأخران وهم عائدون "ما هو؟"

"اهه اممم لو أعرف! ما أنت؟"

رد بيلبو المسكين وهو يرتجف "بيلبو باجينز صعلو هوبيت!" وهو يتساءل كيف يصنع صوت البومة قبل أن يخفوه.

أجفل العمالقة قائلين "صعلو هوبيت" كان العمالقة بطيئي الاستيعاب وشديدي الارتياب في كل جديد.

قال وليام "وماذا يفعل صعلو هوبيت في جيبي على أي حال"

وقال توم " وهال تستطيع طهوه؟"

قال بيرت ملتقظا سيخا " انت يمكن التجرب."

قال وليام الذي كان تناول بالفعل عشاءا طيبا "انه لايمكن يصنع ملو الفم ليس وهو جلد على عظم"

رد بيرت "ربما كان هناك آخرون مثله وربما نستطيع أن نصنع منهم فطيرة" وقال لبيلبو "هنا أنت هل يوجد هنا بالغابة آخرون مثلك يتسكعون أيها الأرنب الضئيل السخيف" ونظر لقدمي بيلبو المغطاتين بالفرو وأمسكه من أصابع قدمه ولطمه

قال بيلبو " نعم الكثير " قبل أن يتذكر أن عليه ألا يسلم أصدقائه لهم "لا لا إطلاقا لا أحد"

قالها فورا عقب إجابته الأولى فقال بيرت ممسكا به في الوضع الصحيح لأعلى من شعره هذه المرة " ماذا تعني؟"

قال بيلبو "ما أقوله وأرجوكم ألا تطهوني أيها السادة العطوفين! أنا طباخ ماهر وطبخي أفضل من طهوي لو تفهمون ما أعني! سأطبخ بروعة لكم إفطار كامل جميل لكم لو أنكم فقط لم تتناولوني على العشاء."

قال وليام الذي كان بالفعل تناول كل ما يقدر عليه للإفطار وأيضا الكثير من الجعة "أيها المفسد الضئيل المسكين أيها المفسد الضئيل المسكين دعوه يذهب!"

قال بيرت " ليس قبل أن يخبرنا ما يعنيه بالكثير ولا أحد أنا لا اريده أن يقطع عنقي وأنا نائم ضعوا أصابعه في النار حتى يخبرنا"

قال وليام " أنا لن ألتهمه وأنا من أمسكه أيا كان الأمر"

قال بيرت "أنت أحقق بدين يا وليام كما قلت من قبل هذا المساء."

"وأنت أخرج!"

"وأنا لن أخذ هذا منك بيل هو جينز. " ووضع كفه في عين وليام

ثم كان هناك شجار بديع وكان عند بيلبو بالكاد ما يكفي من الوعي حين ألقاه بيرت على الأرض لكي يزحف ميتعدا عن أقدامهم قبل أن يشتبكا مثل الكلاب ويصف كل منهما الآخر بكل النعوت الحقيقية والمنطبقة عليهم بصراخ عال وسرعان ما تشابكت أذرعهم وتدرجا نحو النار يركلان ويلكمان بينما توم يضرب في كليهما بفرع شجرة محاولا إعادتهما إلى الصواب بينما بالطبع زادهما جنونا وكان هذا هو الوقت المناسب لبيلبو ليرحل لكن قدماه الصغيرتان المسكينتان سحقتا تقريبا بين برائن بيرت الكبيرة ولم يكن يستطيع التقاط أنفاسه ورأسه تدور لهذا رقد هناك لبرهة







يلهث بالكاد خارج دائرة النار وفي منتصف الشجار جاء بالين فقد سمع الأقرام ضوضاء الشجار من مسافة بعيدة وبعد انتظار بيلبو بعض الوقت ليعود أو يقلد اليوم بدأوا يزحفون واحدا تلو الآخر نحو النار بأهدأ ما يستطيعون وما أن رأى توم بالين يأتي نحو النار حتى أطلق صيحة بشعة فالعمالقة ببساطة يبغضون رؤية الأقرام غير المطهية بيرت ووليام بييل توقفوا فوراً عن الشجار وقالوا "أحضر كيسا توم أسرع!" قبل أن يفهم بالين -الذي كان يتسائل أين بيلبو في كل هذا- ما يحدث وسقط في أيديهم

قال توم "هناك المزيد منهم وإلا فأنا خطئي عملاق الكثير ولا أحد منهم لا صعلو هوبيت ولكن الكثير من الأقرام هذا هو شكل كلامه!"

قال بيرت "أوقم أنك على حق ومن الأفضل أن نخرج من ضوء النار" وهكذا فعلوا ممسكين بأكياس في أيديهم كانوا يستخدمونها للضأن وغيره من الزاد وانتظروا في الظلام كلما جاء قزما "مفاجأة ويوم" يجد كيسا مقرفا علي رأسه ويسقط سرعان ما تبع بالين دوالين وفيلي وكيلي معا ودوري ونوري و اوري كلهم في كومة أما أوين وجاوين وبيفور وبوفور وبومبر تكدسوا قرب النار في وضع مؤلم

قال توم "هذا سيعلم هم" موجهها كلامه لبيفور وبومبر اللذان أثارا المشاكل وقاتلا كالمجانين كما تفعل الأقرام حين تحاصر.

جاء ثورين في النهاية ولم يؤخذ على حين غرة فقد أتى متوقعا الشر ولم يحتاج لرؤية أقدام أصدقائه بارزة من الأكياس لتخبره أن الأمر ليس على ما يرام . وقف في الظلام بعض الوقت بعيدا بعض الشيء وقال " ما كل هذه المشاكل؟ من يضرب قومي؟" أجابه بيلبو من وراء الشجرة "إنهم العمالقة" كانوا قد نسوه كليا " إنهم يختبئون في الأجمة ومعهم أكياس "

قال ثورين " اوه! هل هم؟" وقفز نحو النار قبل أن يستطيعوا إمساكه وقبض على فرع كبير طرفه مشتعل تماما وقبل أن يستطيع بيرت الابتعاد تلقى هذا الطرف في عينه مما جعله خارج المعركة لفترة وفعل بيلبو أفضل ما يستطيع أمسك بقدمي توم بأشد ما استطاع - كانتا سميكتان كجذع شجرة صغيرة لكنه جعله يدور حول نفسه في أعلى بعض الأجمة حين ركل توم النار في وجه ثورين وتلقى توم الفرع المشتعل في أسنانه مما أفقده إحدى الأسنان الأمامية مما جعله ينعب إن امكنني القول لكن عند هذه اللحظة أتى وليام من الخلف وألقى بكيس فوق ثورين من رأسه إلى أصابع قدمه وهكذا انتهت المعركة أصبحوا جميعا مخللات لطيفة مقيدة بإحكام في أكياس مع ثلاثة عمالقة غاضبين اثنان منهم حصلا على حروق وكسور للذكرى يجلسون معا يتجادلون عما إذا كان من الأفضل شيهم ببطء أو فرمهم جيدا قبل سلقهم أو الإكتفاء بالجلوس عليهم واحدا تلو الآخر لهرسهم إلي جيبي وبيلبو أعلى الأجمة وملابسة وجلده ممزقان لا يجرؤ على الحركة خوفا من أن يسمعه. عندها عاد جاندلف لكن أحدا لم يراه العمالقة كانت قررت الآن شي الأقرام وأكلهم فيما بعد كانت هذه فكرة بيرت وبعد الكثير من المجادلة وافقوه "ليس من الجيد شيهم الآن سيأخذ هذا طول الليل " صوت ما قال هذا وظن بيرت أنه وليام فرد عليه " لا تبدأ الجدل مرة أخرى يا بييل و إلا سيأخذ هو طول الليل " رد عليه " من يتتجادل؟" فقد ظن أن بيرت هو المتحدث.



قال بيرت " أنت تفعل." قال وليام " أنت كاذب." وهكذا بدأ الجدل مرة أخرى وفي النهاية قرروا طحنهم جيدا و سلقهم لهذا أعدوا قدر أسود واخرجوا سكاكينهم .

قال صوت "ليس جيد السلقهم لا عندنا ماء والمسافة طويلة للبئر للكل." ظن بيرت ووليام أنه توم فقالا له "اخرس وإلا فلن نفعلها أبدا وأنت تجلب الماء لنفسك إن تكلمت بكلمة أخرى."

قال توم " اخرسا نفسكم " فقد ظن أنه وليام "من يجادل منكما أريد أن أعرف؟"





قال وليام "أنت مغفل!"  
رد وليام "أنت هو المغفل!"  
وهكذا بدأ الجدل ثانية وأشد وأسخن من قبل حتى قرروا في النهاية الجلوس فوق الأكياس واحدا  
تلو الآخر لهرسهم و غليهم فيما بعد  
قال الصوت "من سنجلس عليه أو لا؟"  
قال بيرت "الأفضل أن نجلس على آخرهم أولا " فقد دمر ثورين عينه وقد ظن أن توم هو  
المتكلم  
قال توم "لا تحدث نفسك لكن إن أردت الجلوس على آخرهم فافعل أيهم هو؟"  
قال بيرت "هذا الذي كان بجوارب صفراء."  
قال صوت شبيه بوليام "كلام فارغ كان بجوارب رمادية"  
قال بيرت "أنا عملت تأكد أنه أصفر"  
قال وليام "أصفر هو ما كان "  
قال بيرت "إذا لماذا قلت أنه رمادي؟"  
"أنا لم أفعل أبدا توم قالها"  
قال توم "ليس أنا لقد كان أنت"  
قال بيرت "اثنان لواحد اخرس فمك"  
قال وليام " من كان تكلمه"  
قال بيرت وتوم معا "الآن توقف الليلة تنتهي والفجر يبزغ مبكرا دعنا ننهي عنده"  
قال صوت مشابه لوليام "أخذكم الفجر جميعا ولتتحجروا!" لكنه لم يكن وليام.  
وبالتحديد في هذه اللحظة سقط الضوء على التل وكان هناك رعدة رهيبية في الأغصان وليام لم  
يتكلم أبدا لأنه وهو جالس تحول لحجر وبيرت ووليام ملتصقان مثل الصخر وهما ينظران له  
وهكذا جلسا طول النهار وحيدين ما لم تأت الطيور تجلس فوقهم . العمالقة كما تعرف على  
الأرجح يجب أن تعود إلى تحت الأرض قبل الفجر أو تعود إلى مادة الجبل الصخرية التي خلقوا  
منها ولا يتحركوا ثانية أبدا وهذا ما حدث لبيرت ووليام وتوم.  
وقال جاندلف " ممتاز!" كان واقفا خلف شجرة وساعد بيلبو لينزل من  
على الأجمة الشائكة وعندها فهم بيلبو لقد كان صوت الساحر هو ما أبقى  
العمالقة يتشاحنون ويتنازعون حتى أتى الضوء ليضع لهم النهاية.  
الشيء التالي كان فك الأكياس وتحرير الأقرام كانوا قد كادوا أن يختنقوا  
وفي منتهى الضيق لم يسعدهم إطلاقا الرقود يستمعون لخطط العمالقة  
لظهيهم وطحنهم وهرسهم وكان عليهم أن يسمعو شرح بيلبو مرتين لما  
حدث قبل أن يرضوا .  
قال بومبر " أسخف وقت للتدريب على نشل الجيوب والاختلاس ما كنا  
نحتاجه هو النار والطعام!"  
قال جاندلف "وهذا تحديدا ما لم يكن ممكنا الحصول عليه من هذه الرفقة  
دون نضال على أي حال أنتم تضيعون الوقت ألا تدركون أن العمالقة حتما لها كهف قريب أو  
حفرة في مكان ما قريب للإحتماء من الشمس؟ يجب أن نبحث عنه "  
أخذوا يبحثون وسرعان ما عثروا على آثار الأحذية الحجرية للعمالقة تمضي نحو الأشجار  
وتتبعوا الأثر أعلى التل حتى وصلوا لباب حجري كبير مغطى بالأشجار يقود لكهف لكنهم لم  
يستطيعوا فتحه رغم أن كلهم قاموا بالدفع بينما جاندلف يجرب تعاويذ مختلفة.  
فسأل بيلبو بعد أن أصابهم جميعا الأعياء والغضب "هل هذا ذو نفع؟لقد وجدته على الأرض  
أثناء القتال." ومد يده بمفتاح متضخم رغم أن وليام حتما ظنه صغير وسري! لا بد أنه سقط من  
جيبه لحسن الحظ قبل أن يتحجر.  
صرخوا وهم يأتون "لماذا بحق السماء لم تخبرنا به من قبل؟"





اختطفه جاندلف وادخله في الثقب وفتح الباب الحجري بدفعة واحدة كبيرة ودخلوا جميعا كان هناك عظام على الأرض ورائحة كريهة في الهواء لكن أيضا هناك كميات طيبة من الطعام مبعثرة بلا اهتمام على الأرفف والأرض بين كل كراكيب الغنائم من كل الأنواع من الأزرار النحاسية حتى الجرار المليئة بالعملات الذهبية موضوعة في الركن كان هناك أيضا الكثير من الملابس معلقة على الجدران صغيرة جدا على العمالقة أخشى أن أقول أنها لضحاياهم ومن بينها سيوف عديدة من مختلف الأحجام والأشكال والصنعة اثنان

منهما بالذات خطفا أبصارهم بفضل غمديهما الرائعين ومقبضيهما المرصعين بالجواهر أخذ جاندلف وثورين واحدا لكل منهما بينما أخذ بيلبو سكيننا في جراب جلدي لا بد أنها كانت مطواة جيب صغيرة للعمالق لكنها جيدة كسيف قصير لهوبيت.



قال الساحر وهو يكاد يطبعهما على عينه وينظر إليهما بفضول "هذه الأنصال تبدو جيدة إنها لم تصنع بأيدي العمالقة أو حتى أي حداد من البشر في هذه الأنحاء أو الأيام لكن حين نقرأ ما عليها من رونية سنعرف عنهم المزيد"

قال فيلي "دعونا نخرج من هذه الرائحة الفظيعة!" لهذا خرجوا جميعا حاملين جرار النفود والطعام الذي يبدو عليه أنه لم يمض وقت طويل وأيضاً برميل جعة مازال ممتلئاً مع الوقت أحسوا بالحاجة للإفطار وبأنهم يتضورون جوعاً حتى أنهم لم يشيخوا أنوفهم عما أخذوه من مؤن العمالقة كان زادهم ضئيل للغاية الآن عندهم خبز وجبن والكثير من الجعة ولحم خنزير للشواء في جذوة النار وبعدها ناموا لأن ليلتهم كانت قلقة ولم يفعلوا شيئاً آخر حتى الظهيرة ثم أحضروا الأفراس وحملوا بعيداً الذهب ودفنوه في مكان شديد السرية ليس بعيداً عن طريق النهر واضعين عليه الكثير من التعاويذ القوية من أجل إن كانت لهم فرصة العودة واستعادته وعندما أتموا هذا ركبوا جميعاً وساروا في طريقهم مرة أخرى نحو الشرق.

سأل ثورين جاندلف وهم راكبون "أين كنت؟ إن كان لي أن أسأل؟"

"لألقي نظرة في الأمام."

"وماذا أعادك في الوقت الحرج"

"لأنظر خلفي"

"تماماً! لكن هل يمكنك أن تكون أكثر وضوحاً؟"

"ذهبت أتحمس الطريق سيصبح قريباً خطراً وصعباً. أيضاً كان يقلقني إعادة ملأ مخزوننا القليل

بالطعام والمؤن ولم أمض وقتاً طويلاً حتى قابلت اثنان من أصدقائي من ريفنديل\*"

سأل بيلبو "وأين هذه؟"

قال جاندلف "لا تقاطعنا ستكون هناك بعد أيام قلائل لو كنا محظوظين وستعرف عنها كل شيء."

كما كنت أقول قابلت اثنان من قوم إروندي كانا يهرولان خوفاً من العمالقة وكانا من أخبراني أن

ثلاثة منهم نزلوا من الجبل واستقروا في الغابة ليس بعيداً عن الطريق وأثاروا الرعب في قلب

جميع من في المقاطعة ويتربصون بالغرباء. وعندها راودني إحساس بأنني أريد أن أعود فوراً

ونظرت خلفي فرأيت ناراً وتوجهت لها. أنت تعرف الآن أرجوك كن أكثر حذراً المرة القادمة

وإلا لن تصل لأي مكان!"

قال ثورين "شكراً لك!"

\* (ريفيديل = Rivendell \ riven = المشقوق الممزق \ dell = الوادي الصغير أي وادي الشق)





### الفصل (٣)

#### راحة قصيرة

لم يغنوا أو يتبادلوا الحكايات هذا اليوم حتى مع تحسن الطقس ولا حتى في اليوم التالي أو الذي يليه تحت تأثير الشعور بأن الخطر ليس بعيدا عنهم عسكروا تحت النجوم وحصلت خيولهم على طعام أكثر منهم لأنه كان هناك الكثير من العشب والقليل في حقائبهم رغم مع ما أخذوه من العمالة. ذات صباح خاضوا نهرا من منطقة ضحلة عريضة مليئة بضوضاء الصخور والزيد. الضفة الأخرى كانت منحدره وزلقة عندما وصلوا لقمته سائقين خيولهم شاهدوا الجبال العظيمة وقد اقتربت جدا منهم كانت بالفعل مسافة يوم بالنسبة لرحلة سهلة إلى سفح أولهم الذي بدا مظلمًا وموحشا رغم وجود بقع مشمسة على جوانبه البنية وخلف أكتافهم تومض القمم الثلجية.



سأل بيلبو "هل هذا هو الجبل؟" بصوت مهيب ناظرا له بعين جاحظة فهو لم ير في حياته أبدا شيء بهذه الضخامة.

قال بالين "بالطبع لا! هذه فقط بداية الجبال الضبابية (the Misty Mountains) وعلينا العبور عبرها أو فوقها أو تحتها بطريقة ما قبل أن نصل بعدها لأراض أكثر وحشة والمسافة كبيرة حقا من نهايتها إلى الجبل الوحيد (the Lonely Mountain) شرقا حيث يرقد سماوج فوق كنزنا"

قال بيلبو "أوه" وعندها فقط

أحس بالغبرة أكثر من أي وقت يستطيع أن يتذكره وأخذ يفكر ثانية في مقعده المريح قبالة النار في حجرة معيشته المفضلة في جحر الهوبيت خاصته وفي غناء الغلاية ولم تكن هذه آخر مرة. الآن جاندلف يقود الطريق. وقال "يجب ألا نضيع الطريق وإلا سنضيع نحن. نحتاج للطعام هذا شيء، وأيضا للراحة في مكان ذو أمان معقول ومن الهام جدا أن نصل للجبال الضبابية بالطريق الصحيح وإلا سنضلون فيها وتضطرون للعودة والبعد من جديد لو أنكم عدتم أصلا." سألوه إلى أين يتجه فأجاب "أنتم أتون لنهاية حافة البراري وكما قد يعلم بعضكم مختفيا في مكان ما أمامنا وادي الجان ريفنديل حيث يعيش إروندي في آخر منزل بيتي. لقد أرسلت رسالة عبر أصدقائي وهم ينتظروننا"

بدا هذا جميلا ومريحا لكنهم لم يصلوا هناك بعد وليس في سهولة الكلام العثور على آخر منزل بيتي غرب الجبال. فقد بدا أنه لا يوجد أشجار ولا وديان ولا تلال في الأراضي المقابلة فقط منحدر واحد شاسع يعلو ويعلو ببطء حتى يلتقي بسفح أقرب جبل. أرض شاسعة بلون نبات الخلتج والصخور المفتتة مع بقع وشقوق خضراء بلون العشب أو بلون الطحالب تشير لأماكن الماء المحتملة.





مر الصباح وأنت الظهيرة لكن كليهما مضيا في ضياع الصمت لم تكن هناك أي علامة لأي عمران. كان قلقهم يزداد لأن المنزل يمكن أن يكون مخفي في أي مكان بينهم وبين الجبل وأتوا على وادي مفاجيء ضيق وجوانبه عميقة فتح فجأة تحت أقدامهم ونظروا أسفلهم مندهشين لرؤية الأشجار تحتهم والماء يجري في القاع كان هناك أحاديث مائية استطاعوا بالكاد القفز فوقها لكن كان فيها شلالات عميقة وكان هناك أخوار عميقة لا يستطيع المرء تسلقها أو القفز فوقها، كما كان هناك برك بعضها بها أماكن خضراء مبهجة حين تنظر للأزهار تنمو فيها متألفة وجذابة ولكن إن دخلها فرس بما يحمله فلن يعود أبدا. كانت في الواقع أراضي أوسع بكثير مما تظن تمتد من مقطع النهر حتى الجبل وبيلبو كان مبهوتا. الطريق الوحيد كان محددا بحجارة بيضاء



بعضها صغير والبعض الآخر نصفه مغطي بالطحالب أو الخنج بالطبع كانت عملية بطيئة للمضي في المدق حتى مع إرشاد جاندلف الذي كان يبدو عليما بطريقه جيدا. اهتزت رأسه ولحيته كما لو كان ينظر للصحور وتبعوا رأسه لكن لم تبد لهم نهاية للبحث حتى عندما بدأ اليوم في الأفول وفات منذ زمن وقت الشاي وبدا أن وقت العشاء سيلحق به كما كان هناك الكثير من الفراش يطير حولهم وأصبح الضوء خافتا فلم يكن القمر قد ظهر بعد وبدأ فرس بيلبو يتعثر في الحجارة والجنود.

ثم وصلوا لحافة شلال منحدر مفاجيء في الأرض حتى أن حصان جاندلف كاد أن ينزلق إلى أسفل المنحدر.

ثم هتف جاندلف "هاهو ذا أخيرا!"

وتحلق الآخرون حوله ونظروا فوق الحافة وشاهدوا واد بعيد أسفلهم وكان يمكنهم سماع صوت الماء الجاري عبر الحوض الصخري في القاع وعبق الأشجار يملأ الهواء ويوجد ضوء في جوانب الوادي عبر المجرى. لم ينس بيلبو أبدا الطريقة التي تدرجوا وانزلقوا بها عبر ظلام الغسق لأسفل الطريق المتعرج المنحدر إلى وادي ريفنديل السري. ازداد الهواء دفئا وهم ينزلون لأسفل ورائحة أشجار الصنوبر جعلته خاملا وهكذا من حين إلى آخر كان ينحني ويكاد يسقط من





على فرسه أو تصطدم أنفه بعنق الفرس. وارتفعت معنوياتهم إلى الأعلى كلما نزلوا إلى أسفل تحولت الأشجار من الصنوبر إلى البلوط والزان و الركوب في ساعة الشفق يمنحهم شعورا مريحا. شحبت آخر الخضرة على العشب عندما وصلوا أخيرا إلى أرض فضاء مفتوحة ليست بعيدة عن ضفة المجرى.

فكر بيلبو "هممنم تبدو كرائحة الجن" ونظر لأعلى نحو النجوم بدت متوهجة وسط الزرقة وعند هذا أتاهم فيض من أغاني كالضحك من بين الأشجار "أوو! ماذا تفعل \_\_\_\_\_ وأين تذهب؟"

أفراسك تحتاج لانتعال حذاء \_\_\_\_\_ أما النهر فهو في فيضان أووو ترالالالي تارلللا

هنا أسفل لوادي \_\_\_\_\_ أوو ما الذي تبغيه

وإلى أين أنت ذاهب \_\_\_\_\_ فالحزم تدخن

والكعك يخبز \_\_\_\_\_ أووو ترالالالي تارلللا

إن الوادي مرح \_\_\_\_\_ هاهاها!

أوو! ماذا تفعل \_\_\_\_\_ بكل المتعثرين؟

لا تعرف لا تعرف \_\_\_\_\_ ما الذي أحضر السيد باجينز

وبالين ودوالين \_\_\_\_\_ لأسفل هنا في الوادي

في يونيو \_\_\_\_\_ هاهاها!

أوو! هل ستنظر \_\_\_\_\_ أم ستطير

أفراسك ستضل \_\_\_\_\_ وضوء النهار يموت!

الطيران يبدو حماقة \_\_\_\_\_ والانتظار يبدو سعادة

واستمع وانصت \_\_\_\_\_ لنهاية الليل

لنغماتنا \_\_\_\_\_ هاهاها"

وهكذا أخذوا يضحكون ويغنون في الأشجار الجنيات الجميلات بلا عقل أجرؤ على قول هذا وقبل أن تفكر أنهم سيلقون بالا لِقولي على الأرجح سيزداد ضحكهم إن أخبرتهم بهذا! بالطبع كانوا جنا ورغم أن بيلبو التقى أحيانا ببعضهم لكنه كان يخافهم بعض الشيء كما أن الأقرام لا يتفقون جيدا معهم حتى ذوي الاحترام مثل ثورين ورفاقه يرونهم حمقى - ومن حماقة للغاية أن يتصور المرء هذا- أو يتشاحنون معهم. فبعض الجان يضايقونهم ويسخرون منهم وبالذات من لحاهم.

قال صوت ما "حسنا! حسنا! انظروا! بيلبو الهوبيت فوق فرس يا عزيزي! أليس لذيذا؟!!"

"أكثر العجائب إدهاشا!" ثم بدأوا في أغنية أخرى أكثر سخافة من تلك التي ذكرتها سابقا وفي النهاية من بين الأشجار أتى أحدهم شخص طويل شاب وانحنى لجاندلف وثورين.

قال لهما "مرحبا بكم في الوادي."

رد ثورين بشيء من الفظاظة "شكرا لك!"

لكن جاندلف كان بالفعل قد ترحل عن حصانه واندمج بين الجن يتحدث بود معهم.

قال الجني "أنت خرجت عن الطريق بعض الشيء فهذا هو الطريق. إذا مضيت في الممر الوحيد عبر الماء والمنزل وراءه. سنرشدك للطريق الصحيح لكن من الأفضل أن تترجل حتى تعثلي الجسر. ألن تبقى قليلا لنغني معا. أم ستذهب مباشرة؟ العشاء يعد هناك الآن. أستطيع أن أشم دخان الحطب يشعل للطهو"

بكل ما أصابه من إرهاق كان بيلبو يرجو الانتظار بعض الوقت وغناء الجان ليس بالشيء الذي يترك في يونيو تحت النجوم ليس إذا كنت تقدر هذه الأشياء أيضا كان يرغب في الحديث على انفراد مع هؤلاء القوم الذين يعرفون اسمه وكل شيء عنه رغم أنه لم يقابلهم من قبل أبدا وظن أن رأيهم في مغامرته قد يكون مشوقا فالجن يعرفون الكثير وهم قوم رائعون لمن يبحث عن الأخبار ويعرفون عن الناس الذين يعيشون على البر بسرعة الشلال أو أسرع لكن الأقرام أجمعوا على





تناول العشاء بأسرع ما يمكن وعدم البقاء بعدها وهكذا ذهبوا جميعا يقودون أفراسهم حتى أتوا على طريق جيد وهكذا في النهاية وصلوا لحافة النهر كان يجري بسرعة وضوضاء كما تفعل سيول الجبال خلال ليال الصيف بعد أن تكون الشمس سطعت طول النهار فوق القمم الثلجية. كان هناك جسر ضيق من الصخور بدون سور ضيق حتى أنه لا يمرر إلا فرس واحد وعلى هذا الجسر كان يجب أن يمروا ببطء وحذر تلو الآخر كل يقود فرسه باللجام، الجن أحضروا مصابيح لامعة على شاطيء وغنوا أغاني مبهجة بينما الرفقة تمضي عبر الجسر. صرخوا لثورين الذي كان قد انحنى تقريبا على يديه وركبتيه "لا تغمس لحيتك في الزبد يا والدنا! فهو طويل بما يكفي دون الحاجة لبله!" و هتفوا "نرجو أن بيلبو لن يأكل كل الكعك فهو ما زال أسمن من أن يمر من ثقب المفتاح!" قال جاندلف الذي أتى أخيرا "هشش هشش أيها الناس الطيبون! مساء الخير!" "الأودية لها أذان! وبعض الجن لهم ألسنة طيبة! مساء الخير!" وهكذا أخيرا وصلوا لآخر منزل بيتي ووجدوا أبوابه تفتح على مصارعها. الآن هذا شيء غريب لكن الأشياء الطيبة والأيام الطيبة التي نقضيها إذا حكيت لا ينصت لها أحد أما الأشياء المرهقة المثيرة للارتجاف بل حتى الشنيعة تصنع حكاية طيبة وتأخذ قدرا من الحديث في جميع الأحوال! بقوا طويلا في هذا المنزل الجيد أربعة عشر يوما على الأقل وصعب عليهم الرحيل وود بيلبو لو بقي هناك للأبد عن طيب خاطر حتى لو افترض أن امنيته في العودة في لحظة لبيته المريح بدون مشاكل تحققت ومع هذا ليس هناك الكثير ليقال عن فترة مكوثهم.



سيد المنزل كان جني -صديق- من هؤلاء القوم الذين أتى ذكر جدهم في القصص الغريبة قبل بدء التاريخ وكان للحرب بين الغيلان الأشرار والجن وأوائل البشر في الشمال في الأيام التي حدثت فيها قصتنا مازال لها أقوام من كلا الجن والبشر يعرفون أسلافهم من أبطال هذه الحروب وإلروند سيد المنزل كان قائد الجيوش. كان نبله مثل وسامة وجهه كسيد الجان ومثل قوته





كمحارب وحكمته كساحر ومبجل كملك الأقزام وطيب مثل الصيف أتى ذكره في العديد من الحكايات لكن دوره في حكاية مغامرة بيلبو الكبرى في جزء صغير فقط كما ستري إن وصلنا لنهايتها. كان بيته مثاليا للغاية سواء كنت تحب الطعام أو النوم أو العمل أو الغناء أو مجرد الجلوس والتفكير في الأفضل أو خليط سعيد من كل هذا فالأشياء الشريفة لا تأتي لهذا الوادي. وكنت أرجو أن يكون عندي الوقت لأحكي لك قصة أو اثنتين و أغنية أو اثنتين من التي سمعوها في هذا المنزل.

جميعهم بما في ذلك أفراسهم ازدادوا قوة وانتعاشا في هذه الأيام التي أمضوها هناك كما أن ملايسهم أصلحت مثلما حدث لكدماتهم وأعصابهم وأمالهم وامتألت حقائبهم بالطعام والمؤن الخفيف الحمل لكنه قوي يساعدهم على صعود ممرات الجبل وحسنت خططهم بأفضل النصائح وأتى وقت ليلة منتصف الصيف وقد مضوا مرة أخرى في الصباح الباكر لنهار منتصف الصيف.

إلروند كان يعرف كل أشكال الرونية وفي هذا اليوم نظر للسيوف التي غنموها من العمالقة وقال:

"هذه ليست من صنع العمالقة إنها سيوف قديمة سيوف قديمة جدا من صنع الجن الأعلى في الغرب أنسابي في جوندولين (Gondolin) صنعت لحروب الغيلان لابد أنها أتت من خبيئة تينين أو غنيمية غول لأن التنانين والغيلان دمروا هذه المدينة منذ وقت



بعيد. هذه الرونية يا ثورين تنطق أوركريست (Orcrist) المرادف لممزق الغيلان في اللغة القديمة لجوندولين كان سيفا مشهورا هذا يا جاندلف كان جلامدرينج (Glamdring) مطرقة الأعداء التي حملها يوما ملك جوندولين. حافظوا عليهم جيدا"

نظر ثورين باهتمام جديد لسيفه وتساءل "من أين حصل العمالقة عليهم؟ إنني أتعجب" قال إلروند "لا أستطيع القول لكن من المحتمل أن عمالقتك قد نهبوا بعض اللصوص أو أتوا على آثار السرقات القديمة في إحدى خبايا الجبال في الشمال لقد سمعت أنه مازال هناك الكثير من الكنوز القديمة المنسية موجودة في الكهوف المهجورة في مناجم موريا منذ حرب الأقزام والغيلان."

تفكر ثورين في هذه الكلمات وقال "سأحفظ هذا السيف بكل شرف ربما يمزق قريبا الغيلان مرة أخرى."

قال إلروند "أمنية يبدو أنها ستتحقق قريبا في الجبال ! لكن أرني الآن خريطتك." أخذها وأخذ يحدق فيها مدة طويلة وهز رأسه فقد كان لا يتفق مع الأقزام ولا مع حبه للذهب كما كان يكره التنانين وأذاهم القاسي وتأسى إذ تذكر دمار مدينة دال وأجراسها الجميلة والضفاف المحترقة للنهر الجاري (River Running) البشوش كان القمر هلالا عريضا مضيئا فأمسك بالخريطة في ضوء القمر وقال "ما هذا؟ هذه حروف قمرية بجانب الرونية العادية التي تقول خمس أقدام عرض الباب وثلاثة يمشون متجاورين."

"ما هي الحروف القمرية؟" سأله الهوبيت ممتلئا بالإثارة كان يحب الخرائط كما ذكرت لك من قبل وكذلك يحب الرونية والحروف والغاز الخطوط المكتوبة رغم أنه حين يكتب فإن خطه رفيع وعنكبوتي.

قال إلروند "الحروف القمرية هي حروف رونية لكنك لا تستطيع رؤيتها ليس وأنت تنتظر لها مباشرة يمكن رؤيتهم فقط وضوء القمر خلفهم وأكثر من هذا في النوع الأكثر غموضا لا ترى إلا في قمر مماثل في نفس الموسم مماثلين ليوم كتابتها. الأقزام اخترعها وكتبوها بأقلام فضية كما







يمكن لأصدقائك أن يخبروك. لابد أن هذه كتبت في ليلة منتصف الصيف في قمر هلالي منذ زمن بعيد."

سأل جاندلف وثورين معا "ماذا تقول الحروف؟"  
كانا منزعجين بعض الشيء لأن إرونند وجدها قبلهما رغم أنه لم يكن هناك فرصة قبل ذلك ولن تكون هناك فرصة أخرى إلى ما شاء الله.

قرأ إرونند "قف بجوار الحجر الرمادي حين يقرع الطائر والشمس الغاربة مع آخر أضواء نهار ديورين ((Durin)) ستضيء على ثقب المفتاح"



إرونند

قال ثورين "ديورين! ديورين لقد كان والد آباء أقدم أجناس الأقزام طويل اللحية وأول أسلافي فأنا وريثه!"

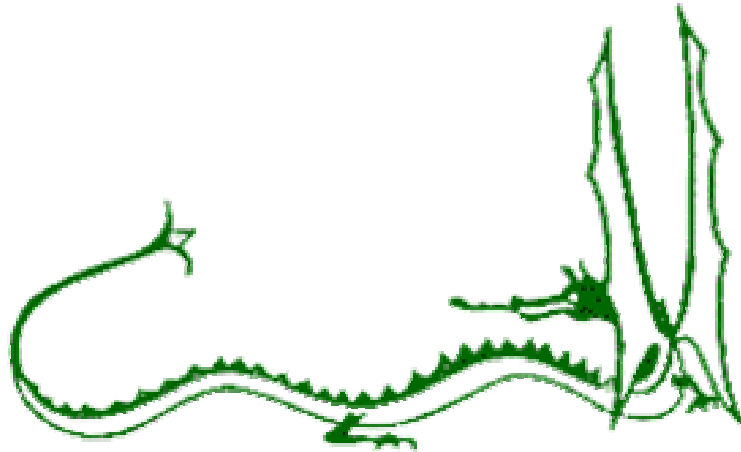
سأل إرونند "إذا ما هو نهار ديورين؟"

قال ثورين "أول أيام العام الجديد عند الأقزام وكما يجب أن يعرف الجميع اليوم الأول يوم الهلال الأخير للخريف على أعتاب الشتاء نحن مازلنا نسميه يوم ديورين عندما يكون قمر الخريف الأخير والشمس في السماء معاً. لكن هذا لن يُسَاعِدَنَا كثيراً، كما أخشى، لأنه يتجاوز مهارتنا في هذه الأيام أن نُخَمِّنَ متى سيأتي هذا الوقت مرة ثانية."

"هذا نتركه للبحث" قال جاندلف. "هل هناك أي كتابة أكثر؟"

"ليس ما يرى في هذا القمر" قال إرونند و أعاد الخريطة إلى ثورين ثم انحدروا إلى المجرى ليروا الجن يرقص ويغني طوال ليلة منتصف الصيف.

كان الصباح التالي صباح منتصف الصيف من الجمال والحيوية ما يوازي ما في الأحلام :  
سما زرقاء بلا سحب، وتتراقص الشمس على الماء. وركبوا الآن بعيداً بين أغان عن الرحلة الطيبة والوداع، مع قلوبهم مستعدة لمغامرات أكثر ومع معرفة للطريق الذي يجب أن يتبعوه فوق الجبال الضبابية إلى ما بعدها من أراض.





## الفصل الرابع فوق التلّ وأسفل التلّ

هناك العديد من الطرق التي تؤدي إلى تلك الجبال والعديد من الطرق فوقها. لكنها كانت من أكثر الطرق غشا وخداعا وتفود إلى اللامكان أو إلى نهايات سيئة وابتليت أكثر الطرق بأشياء شريرة ومخاطر مفرغة. بمساعدة نصائح إرون الحكيم ومعرفة وذاكرة جاندلف، اتخذ الأقرام والهوبيت الطريق الصحيح في الدرب الصحيح.



أيام طويلة مضت منذ أن انطلقوا خارج الوادي وغادروا آخر منزل بيتي بأميال وراءهم، كانوا مازالوا يتسلقون أعلى وأعلى وكان الطريق وعرا وخطيرا، طريق مُنحني ووحيد وطويل. الآن يقدر أن يروا خلفهم بعيدا في الأسفل الأراضي التي تركوها. بعيدا، بعيدا في الغرب، بعيدا حيث كانت الأشياء زرقاء وغافية، وأدرك بيلبو هنا كيف أن بلده تقع حيث الأشياء مريحة وأمنة، وحيث يوجد جحره الهوبيتي الصغير بينما هو هنا يرتعش. فقد كان البرد بالأعلى يزداد قسوة، والرياح آتية تصرخ بين الصخور. والجلاميد أيضا! أحيانا كانوا ينزلون سريعا على جوانب الجبل يشقون طريقهم في الثلج الهش بفعل شمس الظهر في وسطه إن كانوا محظوظين أو تحته وهو ما كان مرعبا. كانت الليالي مرهقة ومقشعة، ولا تجرؤ أن تُعني أو تُتكلم بصوت عال أكثر من اللازم، لأن الصدى كان غريبا والصمت يبدو كما لو كان يكره أن يكسر إلا بضجة الماء و عويل الرياح و تشقق الحجر.

فكر بيلبو "الصيف يبدأ الآن و تصنيع التبن بدأ هو والنزهات سيخصون و يقطفون التوت قبل حتى أن تبدأ النزول على الجانب الآخر بهذا المعدل."

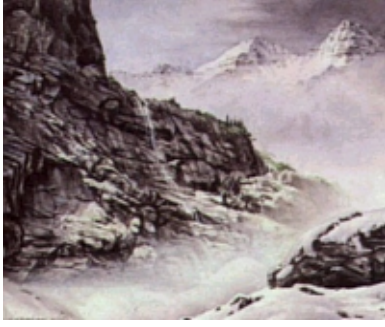
والآخرون كانوا يفكرون أفكارا مظلمة مماثلة، بالرغم من أنهم عندما قالوا مع السلامة لإرون كانوا في أقصى أمال صباح منتصف الصيف تكلموا بمرح عن عبور الجبال، والركوب السريع عبر الأراضي ورائها. وفكروا في الباب السري في الجبل الوحيد (the Lonely Mountain)، ربما في أول قمر من الخريف التالي فورا:

"وربما هو سيكون يوم دورين" كانوا يقولون هذا لأنفسهم. فقط جاندلف هز رأسه ولم يقل شيئا. الأقرام لم تعبر هذا الدرب من سنين عديدة لكن جاندلف فعل، وعرف كيف أن شره وخطره قد نما وازدهر في البرية، منذ ساق التين الرجال من الأراضي، وكانت الغيلان قد انتشرت سرا بعد معركة مناجم موريا حتى الخط الجيدة للسحرة الحكماء مثل جاندلف وللأصدقاء الجيدين





كالروند تضل الطريق أحياناً عندما يقابلون أخطار المغامرات فوق الحافة الحادة للبراري؛ و كان جاندلف ساحرا حكيما بمقدار كافٍ ليعرف هذا.



كان يعرف أن شيء ما غير متوقع سيحدث وبالكاد كان يجرو على أن يأمل أنهم سيعبرون بدون مغامرة رهيبة فوق هذه الجبال العالية العظيمة بقممها الموحشة وأوديتها التي لا يوجد ملك يحكمها لكن حتى الآن لم يحدث. كل شيء مضى بسلام إلى أن أتى يوم وقابلتهم عاصفة رعدية بل أسوأ من العاصفة الرعدية كانت معركة رعدية! أنت تعلم كم من المروع أن تنزل عاصفة رعدية ضخمة حقا على الأرض وأودية الأنهار خاصة

حينما تلقتي عاصفتان رعديتان عظيمتان وتتصادمان والأكثر هولاً هو الرعد والبرق على الجبال في الليل حين تأتي العواصف من الشرق والغرب وتتحارب. البرق ينتشر على القمم والصخور ترجف وتنسف والشظايا المهولة تنطلق في الهواء وتدور لتندرج داخل كل الكهوف والجحور. والظلام يغمر المكان ثم تعم الضوضاء مع سطوع مفاجيء .

لم ير بيلبو أو يتخيل شيء كهذا أبدا كانوا في الأعلى في مكان ضيق بجوار هاوية مفزعة في الوادي المظلم بجانبهم حيث التجأوا تحت صخرة معلقة هناك طوال الليل وكان هو بين الأذرة والأغطية يرتعش من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وحين اختلس النظر في ضوء البرق رأى عبر الوادي مرده الصخور خرجت وترمي الصخور على بعضها كلعبة ويمسكونها ثم يردوها ليبتلعها الظلام حيث تصطم بين الأشجار بعيدا أسفلهم وتتشم مع صوت عال ثم أتت الرياح والمطر ودفعت الرياح المطر والبرد في كل اتجاه لهذا لم تكن الصخرة المعلقة بحامية لهم وسريعا ما كانوا تبللوا جميعا وأفراسهم تقف رؤوسها للأسفل وأذيالها بين أرجلها وبعضها كان يصل في رعب وكان يمكنهم سماع صراخ وقهقهة المرده في كل أنحاء الجبل.

قال ثورين "هذا لن ينفذ إذا لم ننسف أو نغرق أو نصعق بالبرق سنلتقط بواسطة بعض المرده ونركل لعنان السماء لتلعب بنا كرة القدم!"

قال جاندلف "حسنا إن كنت تعرف مكانا أفضل خذنا إليه." فقد كان يشعر بسخط شديد وأبعد ما يكون عن السعادة بأمر المرده. وكانت محصلة جدالهم هي إرسال كيلى وفيلي لبيحثا عن ملجا أفضل فقد كان لهما عيون حادة جدا وكانا أصغر من باق الأقرام بما يقرب من خمسين عاما وعادة ما يكلفا يمثل هذه المهام -منذ أن أدرك الجميع أنه من غير المجدي إرسال بيلبو لمثل هذا الغرض!- وليس أفضل من البحث إن أردت العثور على شيء ما -أو هكذا قال ثورين للقرمين الشابين- حتما ستجد شيء ما لو بحثت لكن ليس دائما يكون ما تبحث عنه.

وهذا ما سيثبته هذا الموقف فسرعان ما أتى كيلى وفيلي زاحفين متشبثين بالصخور من الرياح :  
"لقد وجدنا كهفا جافا ليس بعيدا عند المنعطف التالي والأفراس والكل يمكن أن يدخلوه."

سألهم الساحر "هل استكشفتموه؟" فقد كان يعرف أن مثل هذه الكهوف نادرا ما تكون شاغرة قالوا "نعم نعم" رغم أن الجميع كان يدرك أنهما لم يأخذا وقتا طويلا كافيا لهذا . وأضافا "إنه ليس بهذا الكبر وليس عميقا!"

هذا بالطبع كان جزءا من خطر الكهوف أنت لا تعرف أبدا مدى عمقها والممرات عبرها إلا ما تؤدي أو ماذا ينتظرك داخلها لكن أنباء كيلى وفيلي بدت طيبة بما يكفي لهذا قاموا جميعا واستعدوا للانتقال كانت الرياح تعوي والبرق يلعب وكان عليهم عبأ إخراج أنفسهم وأفراسهم طوال المسافة لكنها كانت قريبة وسرعان ما وجدوا في طريقهم صخرة ضخمة لو خطوت خلفها تجد تجويفا منخفضا في جانب الجبل يكفي لعبور الأفراس مع بعض الاعتصار حين ينزع عنهم المتاع والسروج وبعد أن عبروا من المدخل الهلالي كان من الجيد سماع صوت الرياح والمطر في الخارج بدلا من فوق رؤوسهم ومن الجيد الإحساس بأنهم آمنون من المرده وصخورهم. لكن الساحر لم يخاطر فقد أثار عصاه كما فعل في ذلك اليوم في غرفة طعام بيلبو - يبدو هذا من زمن طويل لو تذكر- وعلى ضوءها استكشفوا الكهف من أوله إلى آخره بدا لهم ذو حجم كافي لكنه





ليس ضخماً أو غامضاً وله أرض جافة وبعض الأركان المريحة وفي إحدى نهايتيه فراغ للأفراس وهناك وقفت تزر - شديدة السعادة بالتغيير - وتضم في حقائبهم. أراد أوين وجلوين إشعال ناراً على الباب لتجفيف ملابسهم لكن جاندلف لم يستمع لهما لهذا نشروا ملابسهم المبللة على الأرض وارتدوا أخرى جافة من متاعهم ثم أعدوا أغظيتهم المريحة وأخرجوا غليوناتهم وأخذون ينفثوا حلقات الدخان التي حولها جاندلف لجميع الألوان وجعلها ترقص عند السقف لتسليهم وتحذثوا وتحدثوا متناسين العاصفة وتناقشوا ماذا سيفعل كل منهم بحصته من الكنز حين يحصلوا عليه وهو الأمر الذي بدا في هذه اللحظة ليس مستحيلاً وهكذا سقطوا في النوم واحداً تلو الآخر وكانت هذه هي آخر مرة يستعملون فيها الأفراس والحقائب والرزم والأمتعة



والأدوات والممتلكات الشخصية التي أحضروها معهم. وتحول أمر إحضارهم لبيلبو الصغير إلى أمر جيد هذه الليلة رغم كل شيء. فليسب ما لم يقدر على النوم طويلاً هذه الليلة فقد أصابته أحلام كريهة حلم أن هناك شق في الجدار في مؤخرة الكهف أخذ يكبر ويكبر وفتح أوسع وأوسع وكان خائفاً جداً لكنه لم يقدر على الصياح أو فعل أي شيء غير الرقود والنظر ثم حلم أن أرضية الكهف تنهار وهو كان ينزلق كبداية للسقوط أسفل وأسفل الله وحده يعلم لأين وعند هذا استيقظ مع بداية مفزعة: جزء من حلمه كان حقيقياً شق ما ينفث في نهاية الكهف وكان أصبح بالفعل ممر واسع رآهم في اللحظة التي اختفى فيها ذيل آخر الأفراس وبالطبع أعطى أقوى صرخة ممكنة عالية مثل أقوى ما يمكن أن يفعل الهوبيت وهو من الأمور المدهشة بالنسبة لحجمهم. و إلى الداخل قفز الغيلان غيلان كبيرة ضخمة قبيحة المنظر الكثير من الغيلان وفي غمضة عين كان هناك ستة غيلان لكل قزم على الأقل واثنان لبيلبو أيضاً وفي لحظة كانوا قد أمسكواهم وحملوهم لكن ليس جاندلف. كان هذا هو الجيد في صرخة بيلبو فقد أيقظته في جزء من الثانية وحين أنت الغيلان للإمساك به كان هناك ومضة مريضة تشبه البرق ملأت الكهف ورائحة كالبارود وسقط العديد منهم قتلى أغلق الشق بفرقة وبيلبو والأقزام كانوا على الجانب الخاطئ منه! أين جاندلف؟ لم يكن عندهم هم أو الغيلان أي فكرة ولم ينتظر الغيلان لإكتشاف الأمر. كان الظلام عميقاً عميقاً فقط الغيلان المعتادة على الحياة في قلب الجبل تستطيع الرؤية خلاله كان الطريق مليء بالتقاطعات والمنايات والمنحنيات في جميع الاتجاهات لكن الغيلان كانت تعرف طريقها كما تعرف أنت طريقك لأقرب بريد والدرب كان يذهب لأسف وأسفل وكان أشد الطرق الخائفة رعباً وكانت الغيلان شديدة الخشونة وتعصرهم بلا رحمة وتقهقه وتضحك بأصواتها الحجرية المريضة وكان بيلبو أشد تعاسة حتى من وقت أن ألقتهم العمالقة من أصابع قدمه وتمنى مرات ومرات أن يعود لجحره الهوبيتي اللطيف المشرق ولم تكن هذه آخر مرة.

الآن أتوا لبريق ضوء أحمر أمامهم وبدأت الغيلان في الغناء أو النعيب محافظين على الإيقاع بدبيب أرجلهم المسطحة على الصخر وبرج أسراهم أيضاً.

تصفيق! نهش! الشق الأسود! \_\_\_\_\_ إخطف!، خطفت! اضعط، إعتقل!

و نزولا نزولا لمدينة الغيلان \_\_\_\_\_ إذهب يا فتاي!

تضرب، تحطم! انسحق، تهشم! \_\_\_\_\_ بقوة وعنف! مقارع و أجراس!

اسحق اسحق بعيداً تحت الأرض! \_\_\_\_\_ هووه هووه! فتتي!

اهسس اصفع! شق وسوط! \_\_\_\_\_ أدكك واضرب! يتضرع ويتأوه!

إشتغل، إشتغل! وإياك أن تتهرب \_\_\_\_\_ بينما الغيلان تجرع، وتضحك

تدور وتدور بعيداً تحت الأرض \_\_\_\_\_ تحت، فتتي!"

كان هذا يبدو حقاً مرعباً الصدى يكرر الطرقة والفرقة والتحطيم والتهميم والضحكات القبيحة والهوه هووه فتتي والمعنى العام للأغنية واضحاً أكثر من اللازم فالآن الغيلان أخرجت سيات وألهبتهم بها بهسيسها وصفعاتها وتركوهم يجرون أمامهم بأسرع ما يقدرون وأكثر من قزم كان بالفعل يتضرع ويتأوه مثل أي شيء إلى أن تعثروا بكهف كبير.





كان مضاء بنار حمراء عظيمة في وسطه وبمصاييح على الجدران وممتلئا بالغيلان كلهم ضحكوا ودقوا وصفقوا بأيديهم حينما أتى الأقزام ومعهم بيلبو المسكين في المؤخرة الأقرب للأسواط يجرون نحوهم بينما الغيلان الذين يسوقونهم يطرقعون ويجلدون خلفهم كانت الأفراس بالفعل مجمعة في الركن وجميع الأمتعة على الأرض مكسورة ومفتوحة وفتشت بواسطة الغيلان وتشم بواسطة الغيلان وتلمس بواسطة الغيلان ويتصارع عليها بواسطة الغيلان ويؤسفني أن أقول أن هذا كان آخر رؤيتهم لتلك الأفراس الصغيرة الممتازة بما في ذلك الصغير القوي المرح



الأبيض الذي أعاره إرروند لجاندلف الذي لم يكن حصانه مناسباً لتسلق الجبال. فالغيلان تأكل الخيول وأفراسها والحمير وأشياء أخرى أكثر إشمئزاً وهم دائماً جوعى الآن لم يكن المساجين يفكرون إلا في أنفسهم والغيلان قيدت أيديهم خلف ظهورهم وسحبتهم لأقصى نهاية الكهف وبيلبو القصير يناضل في نهاية الصف وهناك في ظل صخرة كبيرة مفلطحة يجلس

غول مهول برأس عملاق والغيلان المسلحة يقفون حوله حاملين فؤوسهم والسيوف المقوسة التي يستعملونها. حسنا الغيلان قساة دنيئين فاسدي القلوب لا يصنعون أشياء جميلة لكن يقومون بأشياء ماهرة بإمكانهم أن يحفروا الأنفاق ويقوموا بالتعدين مثل أي كائن - ما عدا الأبرع في هذا وهم الأقزام- حين يواجهون المتاعب ورغم أنها تكون مهملة وقذرة لكن الفؤوس والسيوف والمطارق والخناجر والمعاول والمقاليع وأيضا آلات التعذيب يصنعونها جيداً جداً أو يأتون بأشخاص آخرين يصنعون تصاميمهم فالعبيد والمساجين لا بد أن يعملوا لهم حتى الموت مقابل الهواء والضياء ليس من المستبعد أن يكونوا قد اخترعوا العديد من الأشياء التي ابتلي بها العالم مثل الأجهزة ذات المحركات المعدة لقتل الكثير من البشر دفعة واحدة فالعجلات والمحركات والمتجرات دائماً تهجمهم وهم أيضاً لا يعملون بأيديهم بقدر ما يستطيعون لكن في هذه الأيام وفي تلك البراري لم يكونوا تحضروا- إن أمكن تسميتهم بهذا -كثيراً لم يكونوا يكرهون الأقزام على الأقل كما يكرهون كل شيء وشخص آخر خاصة المنظمين والناجحين وفي بعض الأنحاء الأقزام الفاسدين عقدوا معهم حلفاً لكن كان عندهم حقد خاص على قوم ثورين بسبب الحرب التي سمعنا نذكرها لكنها ليست في قصتنا هذه وفي جميع الأحوال لا يهتم الغيلان بمن أمسكوا مادام الأمر تم بسرية واتقان ومادام المساجين لا يقدرّون على الدفاع عن أنفسهم.

سأل الغول الكبير "من هؤلاء المساجين؟"

رد أحد الخاطفين "أقزام وهذا" ودفع بيلبو للأمام ليسقط جاثيا على ركبتيه "وجدناهم يلتجئون لشرفتنا الأمامية"

"ماذا تعني بهذا؟" سأل الغول الكبير ملتفتاً لثورين "ليس خيراً كما أوقن! تتجسسون على شؤون قومنا كما أخمن! لصوص لن أفاجأ إذا علمت! قتلة وأصدقاء للجن لا أستبعد! تعال هل عندك ما تقوله؟"

رد "ثورين الفزّم في خدمتك!" بتعذيب لايعني شيئاً "عن الأشياء التي ظننت وتخيلت لا فكرة لدي عنها لقد احتمينا من عاصفة فيما بدا كهف ملائم مهجور لاشيء أبعد عن ذهننا من إزعاج الغيلان بأي طريقة أيا كانت." كان هذا صادقاً بما فيه الكفاية

قال الغول الكبير "إرر! هذا ما تقول؟ هل لي أن أسأل ماذا كنتم تفعلون في الجبال على أي حال وإلى أين كنتم ذاهبين؟ في الحقيقة أريد أن أعرف كل شيء عنكم ولن يفعل هذا الكثير لكم يا ثورين أو كينشيلد أنا أعرف أكثر من اللازم عن قومك بالفعل لكن دعنا نحصل على الحقيقة وإلا فسأعد شيء خاص لك بالذات غير مريح!"

"كنا في رحلة لزيارة أقاربنا أبناء أخوا لنا وأعمامنا من الدرجة الأولى والثانية والثالثة وأبناء إخوتي وأخواتي وآخرون من سلالة أجدادي الذين يقيمون شرق هذه الجبال المضيافة حقاً." كان هذا ما قاله ثورين الذي لم يدر ما يقول حقاً في هذه اللحظة بينما الحقيقة لن تتفع أبداً.





قال أحد الخاطفين "إنه كاذب! كاذب فظيع حقا فالعديد منا صعقوا بالبرق في الكهف وحين دعونا هذه الكائنات للكهف السفلي كانوا كالموتى مثل الحجارة وأيضا هو لم يفسر هذا" ورفع السيف الذي أخذ من غنيمة العمالقة.



الغول العظيم أصدر صيحة حقد رهيبه حقا حين رآه وكل الجنود صرخوا أسنانهم وقرعوا دروعهم ودبوا على الأرض فقد عرفوا السيف فورا فقد قتل مئات الغيلان في وقته عندما الجن الوسيمين لجوندوليون يصطادونهم في التلال أو في المعركة على جدرانها قبل أن تسقط كانوا يسمونه أوركريست ممزق الغيلان لكن الغيلان كانت تسميه ببساطة القاضم كانوا يكرهونه ويكرهون أكثر أي شخص يحمه.





هتف الغول الكبير "قتلة أصدقاء للجن! إجلدوهم إضربوهم عضوهم! جزوهم خذوهم لحفر مظلمة مليئة بالثعابين! ولا تدعوهم يرون الضوء ثانية."

كان في غضب مهول حتى أنه بنفسه قفز من مقعده واتجه نحو ثورين وفمه مفتوح وفي هذه اللحظة أظلمت كل أضواء الكهف والنار الكبيرة أصبحت بووف! دخان أزرق لامع يصعد للسقف وانتشر متقطعا لشرارات بيضاء بين كل الغيلان.

كان الصراخ والتضرع والنعيق والتأفف و الهمهمة والعواء والهدير واللعنات والصياح والصرير الذي تبع هذا يفوق الوصف لو أن بضع مئات من القطط البرية والذئاب شويت حية ببطء معا لن تقارن بهذا الشرارات التي تصنع ثقوبا حارقة في الغيلان والدخان المتساقط جعل الهواء أكثر كثافة من أن يرى فيه أحد حتى الغيلان. وسرعان ما كانوا يتساقطون واحدا فوق الآخر ويتدحرجون في أكوام على الأرض يعضون ويركلون ويتشاجرون كما لو كانوا جنوا جميعا.



فجأة سيف أضواء بضوء يشع منه نفسه شاهده بيلبو يتجه لليمين نحو الغول الكبير الذي وقف مصعوقا في منتصف غضبته وسقط ميتا وفر الجنود قبل أن يصفر السيف في الظلام وعاد السيف مرة أخرى لغمده وقال صوت صارم وهاديء "اتبعوني بسرعة!" وقبل أن يفهم بيلبو ما حدث كان يهرول ثانية بأقصى ما يستطيع في نهاية الصف لأسفل عبر الممر المظلم بينما صراخ الغيلان القادم من قاعتهم يخفت خلفه بقوده ضوء شاحب.

قال الصوت "أسرعوا أسرعوا! المشاعل ستضيء ثانية قريبا " قال دوري " نصف دقيقة"

كان قبل بيلبو مباشرة وكان رفيقا مخلصا جعل بيلبو يرقد على أكتافه بأفضل ما استطاع بيديه المقيدتين ثم استأنفوا جميعا العدو مع الصلصلة المنبثثة من أصفادهم وكثيرا ما تعثروا فلم تكن أيديهم حرة لتعينهم وبمرور الوقت كانوا في قلب الجبل.

وعندها أضواء جاندلف عصاه بالطبع كان جاندلف لكنهم كانوا أكثر إنشغالا من أن يسألوه كيف دخل نزع سيفه ثانية ومرة أخرى أضواء في الظلام كان يضيء بغضب كما لو أن الغيلان تجعله يبرق كان الآن ساطع كذهب أزرق ابتهاجا بقتل سيد الغيلان في الكهف ولم تكن مشكلة له أن يقطع أغلال الغيلان ليحرر كل الأسرى بأسرع ما يمكن هذا السيف كان جلامدرينج مطرقة الأعداء -لو تذكر- الغيلان يطلقون عليه المنقض ويكرهونه أكثر من القاضم الأوركريست الذي أنقذه أيضا جاندلف وأحضره معه من أحد الحرس المرعوبين فكر جاندلف في كل شيء وأدرك أنه لا يستطيع أن يفعل كل شيء ففعل الأفضل لأصدقائه في الضيق القادم

سألهم "هل جميعنا هنا ". "وأعطى لثورين سيفه مع انحناءة ثم قال "دعني أرى واحد -هذا ثورين- اثنان .....إحدى عشر أين كيلى وفيلي هاهما اثني عشر ثلاثة عشر والسيد باجيز أربعة عشر حسنا حسنا كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ ومن الممكن أن يكون الأمر أفضل كثيرا لا أفراس أو طعام ولا نعرف أين نحن بينما الغيلان الغاضبة ورائنا! فلنذهب."

وانطلقوا كان جاندلف على حق فقد بدأوا يسمعون ضجة الغيلان وصرخات مفزعة ورائهم في الممر الذي أتوا منه وأعطاهم هذا سرعة تفوق أي مرة في حياتهم ولأن السيد بيلبو المسكين لا يستطيع مجاراة نصف سرعة الأقرام الذين يندفعون في قفزات مهولة تبادلوا حمله على ظهورهم لكن تظل الغيلان أسرع من الأقرام وهذه الغيلان تعرف طريقها أفضل منهم بينما عليهم أن يشقوا طريقهم بأنفسهم والغيلان تكاد تجن من الغضب ولهذا أخذ الأقرام يسمعون الصراخ والصياح يقترب منهم أكثر وأكثر وسرعان ما

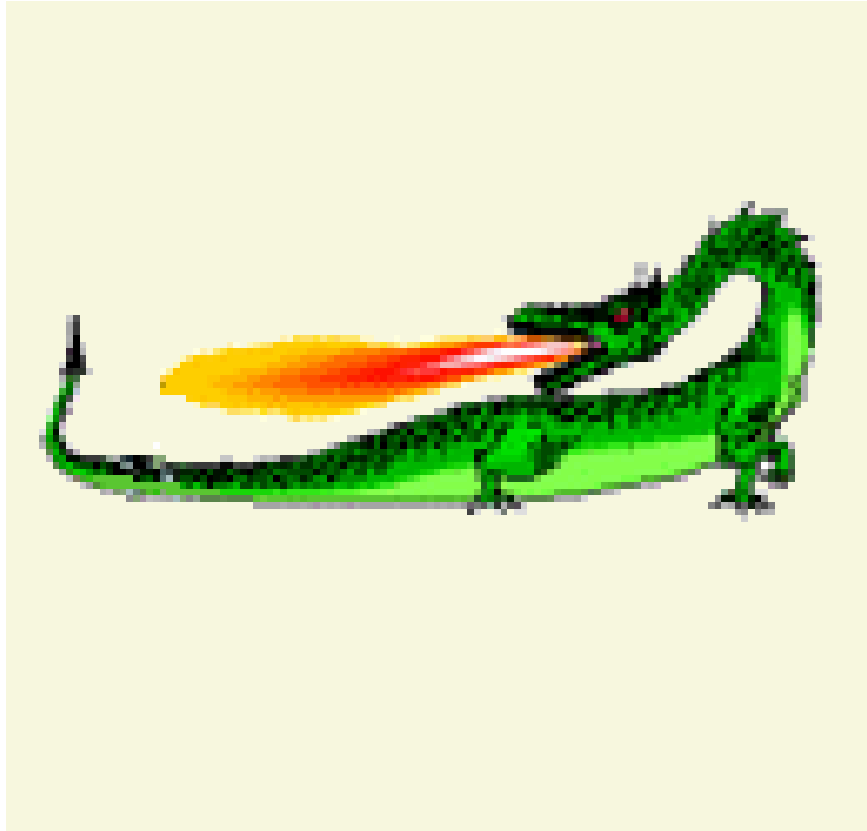




أصبح بإمكانهم سماع صوت أقدام الغيلان عشرات وعشرات الأقدام تبدو كما لو كانت عند المنعطف السابق مباشرة ومضات المشاعل الحمراء ترى خلفهم في النفق تتبعهم مباشرة بينما يكاد يقتلهم التعب.

قال السيد باجينز المسكين "لماذا؟ لماذا؟ لماذا غادرت بيتي الهوبيتي الجميل!" كان يتخبط على ظهر بومبر

فقال بومبر "لماذا؟ لماذا أحضرت معي هوبيت بانس ضئيل على أنه صائد كنوز" كان بومبر سمينا ويترنح مع العرق الذي يسيل منه ومن أنفه بسبب الحر والرعب والإرهاق عند هذا تخلف جاندف عنهم وثورين معه وانحرفا في منعطف حاد وصرخ " إلى المنعطف! اسحب سيفك يا ثورين!" ولم يكن هناك شيئا آخر يمكن فعله والغيلان لم تحب هذا الأمر فقد أتوا صارخين صرخة واحدة مندفعين من الممر ليحدا ممزق الغيلان ومطرقة الأعداء يلمعان ويسطعان في مواجهة عيونهم المأخوذة أولئك الذين في المقدمة أسقطوا مشاعلهم وصرخوا صرخة واحدة قبل أن يقتلوا والذين خلفهم مباشرة صرخوا أكثر وقفزوا للخلف مصطدمين بمن يعدون ورائهم وصرخوا القاضم والمنفض وسرعان ما كانوا في تخبط ومعظمهم كان يتدافع للعودة من الإتجاه الذي أتى منه ومر وقت طويل قبل أن يجرؤ أحدهم على التحول لمواجهة هؤلاء القادمين ومع الوقت انطلق الأقرام مرة أخرى طويلا طويلا في ظلمات ممرات مملكة الغيلان وحين اكتشف الغيلان هذا وضعوا مشاعلهم جانبا وانسابوا على أذنيتهم الناعمة واختاروا أسرع عدائهم ذوي أقوى العيون وأرهف الأسماع ثم انطلقوا برشاقة ابن العرس في الظلام ودون صوت كالحفاش لهذا لم يستطع لا بيلبو ولا الأقرام ولا حتى جاندف سماعهم ولا حتى أن يروهم بينما كانوا مرئيين للغيلان الذين يعدون في صمت خلفهم لأن جاندف ترك عصاه تضيء بضوء خافت ليسمح للأقرام بمتابعته بمفاجأة وصمت دوري الذي كان في المؤخرة يحمل بيلبو ثانياً أمسكوه من الخلف في الظلام فصرخ وسقط أما الهوبيت فتدحرج من على أكتافه إلى الظلمات ليصطدم رأسه بحجر صلب ولا يذكر أي شيء بعدها.







## الفصل (٥) أحاجي في الظلام

عندما فتح بيلبو عينيه تسائل إن كان حقاً فعل لأن الظلام دامس كما لو كانتا مغلفتين ولم يكن هناك أحد جواره ولك أن تتخيل رعبه! ولم يستطع أن يسمع أي شيء أو يرى أي شيء أو يشعر أي شيء ما عدا الصخر البارد للأرض أسفله وبيبطة شديد نهض و تلمس طريقه بأطرافه الأربعة إلى أن لامس جدار النفق لكنه لم يجد شيئاً أعلاه أو أسفله لا شيء على الإطلاق لا غيلان أو أقزام كان عقله يسبح ولا بد أنه بعيد جداً حتى عن الطريق الذي اتخذوه بعد سقوطه وحاول التخمين بأقصى ما يمكنه وزحف باحثاً عن طريق جيد إلى أن اصطدمت يده بما يبدو كخاتم صغير من معدن بارد على أرض النفق هذه لحظة فاصلة في حياته لكنه لم يكن يعرف هذا بعد وضع الخاتم في جيبه دون تفكير فلم يكن يظهر له أي نفع بالذات في هذا الوقت. لم يفعل أي شيء آخر فقط جلس على الأرض مسلماً نفسه للتعاسة الكاملة لفترة طويلة وأخذ يتصور نفسه يقلي البيض واللحم المقدد في مطبخه بالمنزل لأنه أحس بداخله أن هذا ربما يكون وقتاً لوجبة صغيرة وهو الأمر الذي لم يزد إلا تعاسة. لم



يستطع أن يفكر ماذا يفعل أو ماذا حدث أو لماذا إن كانوا تركوه ورائهم لم تمسكه الغيلان؟ أو حتى لماذا رأسه مؤلمة للغاية؟ الحقيقة أنه كان مستلقياً غائياً عن الوعي والأنظار في ركن شديد الظلمة لمدة طويلة. بعد بعض الوقت بحث عن غليونه. لم يكن تحطم وكان هذا مهماً له وتحسس جرابه وكان به بعض التبغ وكان هذا أيضاً مهماً ثم بحث عن الكبريت فلم يجد شيئاً أبداً وهذا بعثر آماله تماماً ولكنه كان أمراً طيباً له كما أدرك حين استعاد صفائه الله وحده يعلم ماذا كان يمكن أن تخرج له رائحة التبغ والكبريت من كل الثقوب المظلمة في هذا المكان المريع لكن في هذه اللحظة كان يشعر أنه محطم تماماً لكن مع لطمه لكل جيوبه وتحسس كل ما حوله بحثاً عن الكبريت أتت يده على مقبض سيفه الصغير الخنجر الصغير الذي حصل عليه من الغيلان وكان قد نساه تماماً وحتى الغيلان على ما يبدو لم تلاحظه فقد كان داخل سرواله الآن أخرجه فلمع بضوء شاحب قبالة عينيه ففكر:



"إذا فهذا النصل من صنع الجن والغيلان ليست قريبة جداً ولكنها ليست بعيدة تماماً"

لكن لسبب ما أحس بالراحة فقد كان من الرائع أن يتمنطق بسيف من صناعة جوندولين مخصص لحروب الغيلان التي تغنت بها العديد من الأغاني وأيضاً لاحظ أن هذا السلاح يعطي دليلاً رائعاً عن وجود الغيلان الذين قد يهاجمون فجأة.

"أأعود؟! ليس بالأمر الطيب! أذهب عبر الجوانب؟ مستحيل! أتقدم للأمام؟ الشيء الوحيد الذي يمكن فعله"

وهكذا انطلق وهرول شاهراً سيفه الصغير أمامه ويتحسس بيد واحدة الجدار وقلبه يتمتم ويدمدم. الآن بالتأكيد بيلبو كان فيما يسمى مكان ضيق لكن يجب أن نتذكر أنه ليس ضيقاً تماماً له كما هو الحال لي ولك فالهوبيت ليسوا كالبشر العاديين وفي النهاية رغم أن جحورهم أماكن لطيفة مبهجة جيدة التهوية والإضاءة مختلفة تماماً عن أنفاق الغيلان لكنها تظل أنفاقاً معتادون عليها أكثر منا ولا يفقدون بسهولة إحساسهم بالاتجاهات تحت الأرض ليس بعد أن تتعافى رؤوسهم من الاصطدامات أيضاً يمكنهم التحرك في صمت تام والإختفاء بسهولة والتعافي بسرعة مذهلة من السقطات والرضوض وعندهم الكثير من حب الحكمة والأقوال الحكيمة التي لم يسمعها البشر أبداً أو نسوها منذ زمن بعيد.





لكن لا أحب أبدا أن أكون في مكان السيد باجينز فقد بدا النفق بلا نهاية كل ما أدركه أنه مازال يهبط لأسفل بثبات تام وخط مستقيم ماعدا إنحناء ودوران أو إثنان كان هناك طرق تؤدي للجانب كل حين وآخر كما علم على ضوء توهج سيفه أو بتحسس يده للجدار لم يلق بالالتك الطرق ماعدا الإسراع خوفا من الغيلان أو الأشياء نصف المتخيلة الآتية منها. مضى ومضى لأسفل وأسفل ومازال لا يسمع أي صوت من أي شيء ماعدا بعض الخفافيش تطن في أذنه الأمر الذي كان يجعله يجفل في البداية ثم أصبح معتادا ومملا لا أعلم إلى متى ظل على هذا الحال يكره المضي ولا يجرؤ على التوقف إلى أن أصبح أكثر إرهاقا من الإرهاق نفسه وبدا له أن الطريق سيظل هكذا حتى الغد وبعد الغد بأيام.

فجأة دون إنذار وجد نفسه يهرول وسط رزاز الماء أخ! لقد كان في برودة الثلج الأمر الذي جعله يخرج منه سريعا وبحدة لم يعرف إن كان مجرد بركة في حمام أم حافة نهر يجري تحت الأرض أو حافة بحيرة سوداء عميقة سرية كان السيف بالكاد يلمع فتوقف وأرهف السمع فسمع نطق تتساقط من سقف غير مرئي ولا يبدو أن هناك أي صوت آخر ففكر "إذا هذا بركة أو بحيرة لكن ليس نهرا جوفيا "

لكنه مازال لا يجرؤ على أن يخوض في الظلام لم يكن يجيد السباحة وأيضا فكر في الأشياء المقززة الموحلة ذات العيون العمياء الناتئة تتلوى داخل الماء فهناك أشياء عجيبة تعيش في البرك والبحيرات في قلب الجبال الأسماك وأجدادها التي تعوم فيها يعلم الله وحده منذ كم من السنوات ولا تعود منها أبدا فتتضخم عيونها وتتضخم في محاولة للرؤية في الظلام وهناك أشياء أخرى أسوأ من السمك فحتى في الأنفاق التي حفرها الغيلان لأنفسهم هناك أشياء لا يعرفونها تعيش فيها أنت متسللة من الخارج لتكمن في الظلام وبعض هذه الكهوف أيضا عمرها أسبق من الغيلان الذين قاموا فقط بتوسعتها وربطها بممرات والسكان الأصليين مازالوا فيها كضيوف غريبي الأطوار يتسللون ويتشممون المكان.

بعيدا في الأعماق السحيقة يعيش جولام العجوز مخلوق ضئيل موحل لأعرف من أين أتى أو أين كان؟ كان جولام داكن كالظلام ماعدا عينان كبيرتان مستديرتان باهتتين في وجهه كان عنده قارب صغير و يجدف بهدوء تام في البحيرة. فقد كانت بحيرة كبيرة وعميقة وبردها قاتل. كان يجدف بقدمين كبيرتين تتدليان على جانبي على الجانبين لكنه أبدا لا يصنع أي أمواج ليس هو. كان يبحث بمصباحه الباهت كعينه عن السمك الأعمى الذي يمسكه بأصابعه الطويلة بسرعة الأفكار وكان يحب اللحم أيضا. لحم الغيلان يعتقد أنه جيد لكنه يحرص على ألا يروه يكتفي بأن يخفقهم من الخلف إذا ما أتوا فرادى لأي سبب قرب حافة البحيرة بينما هو يتجول ونادرا ما كانوا يفعلون لإحساسهم أن شيء ما بغيض كان يتربصُ هناك بالأسفل حيث جذور الجبل العميقة وقد أتوا للبحيرة حين كانوا يحفرون الأنفاق منذ زمن بعيد ووجدوا أنهم لا يستطيعون الحفر أكثر



وهكذا إنتهى طريقهم في هذا الاتجاه ولم يكن هناك سبب للذهاب هناك مالم يأمرهم الغول الكبير بهذا فقد كان في بعض الأحيان يشتهي بعض السمك من البحيرة وفي بعض الأحيان لا يأتي السمك أو الغيلان عاندين منها.

في الحقيقة يعيش جولام في جزيرة موحلة صخرية وسط البحيرة وكان يراقب بيلبو عن بعد بعينه الباهتتين الشبيهتين بالمنظار بينما لم يقدر بيلبو على رؤيته وكان يتساءل عن بيلبو فقد كان من الواضح أنه ليس غول ركب جولام في قاربه وانطلق من الجزيرة بينما بيلبو جالسا على الضفة متحيرا تماما وقد وصل لنهاية طريقه ونهاية ما عنده من حيل وفجأة أتى جولام بفحيحه وهمسه :

"بوركنا وبعثرنا يا ثميني! أظنها فرصة وليمة على الأقل لقمة شهية تكفينا جولام."





وحين نقول أنه قال جولام نعني أنه يأتي بصوت بلع مريع من حلقه وهذا ما أعطاه اسمه رغم أنه يسمى نفسه الثمين.

قفز الهوبيت من جلده رعبا حين سمع الهمس وشاهد بغتة العيون الباهتة تحديق فيه.  
قال شاهرا خنجره "من أنت؟"

وسوس جولام "ما هو يا ثميني؟" فقد كان دوما يحدث نفسه لأنه لا يجد من يحدثه وكان هذا السؤال هو ما أتى به فلم يكن حقا جوعانا لكنه فقط فضولي وإلا كان أمسكه أولا ثم همس فيما بعد.

"أنا السيد بيلبو باجينز ولقد فقدت الأقرام وقدمت الساحر وأنا لا أعرف أين أنا ولا أريد أن أعرف إن استطعت فقط الخروج"

قال جولام "ما الذي يحمله في يده؟" ونظر للسيف الذي لم يحب شكله  
"سيف. نصل صنع في جوندولين!"

قال جولام الذي أصبح مهذبا فجأة "سسسسسسسس ربما يمكن أن تجلس وتحدث معه قليلا يا ثميني إنه كالأحجية ربما كذلك أليس كذلك؟" كان متضايقا حقا من التظاهر بالود بأي درجة ولو للحظة لكنه انتظر حتى يعرف أكثر عن الهوبيت وعن السيف و عما إذا كان وحده حقا و عما إذا كان جولام جوعانا بما يكفي؟

الأحاجي كانت كل ما يستطيع التفكير فيه يطلبها وفي بعض الأحيان يخمنها اللعبة الوحيدة التي تسلى بها مع مخلوقات عجيبة أخرى كانت تعيش في جحورها منذ زمن بعيد جدا قبل أن يفقد كل أصدقائه وينفى بعيدا ويزحف لأسفل وأسفل بعيدا تحت الجبال في الظلام.

قال بيلبو "حسنا جدا" كان متضايقا من الموافقة لكنه رغب في الانتظار حتى يعرف أكثر عن هذا المخلوق و عما إذا كان وحيدا تماما و عما إذا كان عنيفا أو جائعا و عما إذا كان صديقا للغيلان.  
"اسأل أنت أولا!" فلم يكن حصل على وقت كاف ليفكر في أحجية

لهذا فح جولام

"ما الذي له جذور حيث لا أحد يراها

أطول من الأشجار

يذهب أعلى أعلى

ومع هذا لا ينمو؟"

قال بيلبو "سهلة إنه الجبل كما أظن"

"هل هي سهلة التخمين؟ لا بد من جعلها مسابقة يا ثميني! إذا سأل الثمين ولم يجيب سنأكله يا ثميني إذا سألنا ولم نعرف الإجابة سنفل ما يريده هه؟ سنريه الطريق للخارج نعم!"

قال بيلبو "حسنا!" لم يجرؤ على الرفض وكاد أن يعترض عقله باحثا عن أحجية تنقذه من أن يؤكل.

"ثلاثون حصانا أبيض على تل أحمر

أولا يعضون

ثم يمضغون

ثم يقفون في ثبات"

كان هذا كل ما استطاع أن يفكر فيه لإنقاذ نفسه وما زالت فكرة أن يلتهمه تدور في عقله إنها أحجية قديمة وجولام يعرف حلها مثلك تماما

فح جولام "قديمة قديمة! الأسنان الأسنان! يا ثميني لكننا لا نملك إلا ست!"

ثم سأل الأحجية الثانية "بلا صوت يبكي

بلا أجنحة يرفرف

بلا أسنان يعض

بلا فم يدمدم"





صرخ بيلبو "نصف دقيقة من فضلك " كان مازال يفكر في مسألة الطعام المؤلمة لحسن الحظ كان سمع واحدة مثل هذه منذ وقت بعيد ومع استعادته لأفكاره تذكر الإجابة "الرياح الرياح بالطبع" وكان سعيدا أنه أعد واحدة في ذهنه وفكر "هذه ستحير حقا هذا المخلوق الكريه الضئيل الذي يسكن تحت الأرض"

"عين في وجه أزرق  
رأت عين في وجه أخضر  
قالت العين الأولى  
تلك العين مثل هذه العين  
لكن في مكان منخفض  
ليس في مكان عال"

قال جولام "اسس اسسس!" كان قد مضى عليه تحت الأرض عهود طويلة ولم يعد يذكر هذه الأشياء لكن حين بدأ بيلبو يأمل أن هذا الكريه لن يجيب استدعى جولام من الذاكرة عهود وعهود غابرة حين عاش في جحر جدته على ضفة النهر "اسسس اسسس الشمس على زهرة الربيع تعني؟ هي كذلك"



لكن هذا النوع من الأحاجي اليومية على سطح الأرض كان مرهقا له وأيضا تذكره بالأيام التي كان فيها أقل وحدة وتسلا ودناءة وجعله هذا خارجا عن هدوءه والأكثر من هذا أنها تجعله يجوع ولهذا فكر في شيء أكثر صعوبة وبغضا "لا يمكن رؤيته لا يمكن الإحساس به

لا يمكن سماعه لا يمكن شمه  
يرقد وراء النجوم وتحت التلال  
والحفر الفارغة به مليئة  
يأتي أولا ويتبع تاليا  
ينهي الحياة ويقتل الضحك"

لسوء حظ جولام بيلبو سمع هذا النوع من قبل والإجابة حوله في كل مكان "الظلام!"

قالها دون أن يحك رأسه أو حتى يضع قبعة تفكيره!  
"صندوق بلا مفصلة أو مفتاح أو غطاء  
مع هذا كنز ذهبي بداخله مخفي."

سألها ليكسب الوقت حتى يفكر في واحدة شديدة الصعوبة فقد كان هذا ما ظن أن إجابته الساذجة قديمة مفقوسة رغم أنه لم يقلها بالصيغة المعتادة لكنها أثبتت بحيرة حقيقية مدى صعوبتها لجولام فقد أخذ يهمس ويفح لنفسه دون أن يعطي إجابة وأخذ يتمم ويتهته. بعد قليل نفذ صبر بيلبو وقال "حسنا ماهي؟ الإجابة ليست برادا يغلي على النار كما يبدو أنك تفكر من الضجة التي تحدثها!"

"فليترك لنا فرصة! دعه يترك لنا فرصة يا ثمبيبييني ."

قال بيلبو بعد أن ترك له فرصة طويلة "حسنا ماذا عن الإجابة ما تخمينك؟"

لكن فجأة تذكر جولام شيء سرقه من الأعشاش منذ زمن بعيد والجلوس تحت الأشجار عند الضفة وكيف تعلمه جدته تعلمه جدته أن يمص ال "البيض!" فح لبيلبو "البيض أليست كذلك؟"

ثم سأل " بلا نفس يعيش

بارد كالموت

أبدا لا يعطش ودائما يشرب

الكل في الوجبة أبدا لا يرن"

بدوره تصور أن هذه الأحجية ساذجة ومفقوسة لأن الإجابة كانت دائما مما يشغل تفكيره لكنه لم يستطع أن يتذكر واحدة أفضل في هذه اللحظة فقد كان سؤال البيض أربكه للغاية وبالمثل كانت





أحجية محيرة للسيد بيلبو المسكين الذي لم يكن له علاقة بالماء لو استطاع أن يربط بينهما. أتصور أنك تعرف الإجابة طبعاً أو تستطيع أن تخمنها بسهولة في طرفة عين بما أنك تجلس مرتاحاً في بيتك غير معرض لخطر أن تؤكل لكي يشوش عليك جلس بيلبو وتتحنح مرتين لكن لم يأت بإجابة

بعد فترة بدأ جولام يفح لنفسه بسعادة "أليس جميلاً يا ثميني؟ أليس كثير العصاره؟ أليس مقرمشاً رائعاً؟" وبدأ يحرك يديه نحو بيلبو في الظلام.

قال بيلبو مرتجفاً "لحظة واحدة. لقد أعطيتك فرصة جيدة طويلة الآن"

قال جولام "يجب أن أسرع أسرع!" وبدأ يخرج من قاربه إلى الشاطئ ليمسك بيلبو لكنه ما أن وضع قدمه الطويلة المكففة كالبط في الماء فقزت سمكة مفزوعة لتسقط عند قدمي بيلبو "أخ إنها باردة ورطبة" وهكذا قفز الحل لرأسه فصرخ "السمك السمك! إنه السمك"

تحطمت آمال جولام بشدة لكن بيلبو سأل أحجية أخرى بأسرع ما يمكنه وهكذا اضطر جولام للعودة لقاربه ليفكر.

"لا أقدام فوق قدم واحدة

قدمان تجلسان قرب ثلاثة أرجل

أربعة أرجل لها البعض"

لم يكن هذا هو الوقت المناسب لمثل هذه الأحجية لكن بيلبو كان في عجلة ربما يواجه جولام بعض المتاعب في حلها لو أنه سألها في وقت آخر لكن بينما هما يتحدثان عن السمك لا أرجل له والباقي سهل سمك على طاولة صغيرة ورجل تجلس على المائدة على كراسي ذات ثلاثة أرجل والقطة تحصل على العظام كانت هذه هي الإجابة وقد قالها جولام سريعاً وقد ظن أن الوقت حان ليسأل عن شيء صعب ورهيب فقال

"هذا الشيء هو ملتهم كل شيء

الطيور مع الوحوش والأشجار مع الأزهار

يقضم الحديد ويعض الصلب

ويطحن الصخور القاسية للغداء

ملك الذبح مدينة الدمار

ويسقط الجبل مهزوماً"

بيلبو المسكين جلس في الظلام يفكر في كل أسماء العمالقة والجبابرة والمردة المريعة التي سمعها في القصص لكن أيها لم يفعل كل هذه الأشياء معاً وأحس أن الإجابة شيء مختلف تماماً لا بد أنه يعرفه لكنه لم يقدر على التفكير فيه وبدأ يخاف وهو أمر سيء للتفكير وبدأ جولام في الخروج من قاربه نزل للماء وسبح للضفة واستطاع بيلبو أن يرى عيناه تقتربان منه وبدأ أن لسانه التصق بحلقه وأراد أن يصرخ قائلاً "أعطني المزيد من الوقت أعطني المزيد من الوقت!" لكن كل هذا اختزل في صرخة مبجوحة مرتعشة "الوقت الوقت!"

ونجا بيلبو بضربة حظ لأن هذه بالطبع كانت الإجابة واحبط جولام مرة أخرى وبدأ يشعر بالغضب وأيضاً ترهقه اللعبة فقد جعلته شديد الجوع وهذه المرة لم يعد لقاربه جلس في الظلام جوار بيلبو فكان الهوبيت مفزوعاً بشدة وقد تبعثرت أفكاره

قال جولام "حان الوقت يا ثميني! نعم نعم نعم فقط سؤال آخر لتستنتج نعم نعم نعم"

لكن بيلبو ببساطة لم يستطع أن يفكر في أي سؤال وهذا الشيء الكريه البارد الرطب يجلس جواره يهزه ويتحسس حك رأسه وقرص نفسه لكنه لم يستطع أن يفكر في شيء

قال جولام "أسألنا! أسألنا!"

قرص بيلبو نفسه وصفعها وقبض على سيفه الصغير وحتى تحسس جيبه الصغير بيده الأخرى التي لامست الخاتم الذي التقطه منذ مدة في الممر ونسى أمره

"ماذا يوجد في جيبي؟"

قالها بصوت عال كان يحدث نفسه لكن جولام ظن أنها أحجية وقد ملأته يأساً فأخذ يفح





"ليس عدلا ليس عدلا! هذا ليس عدلا يا ثميني أليس كذلك؟ أن يسألنا ماذا يحمل في جيوبه الصغيرة المقرفة؟"

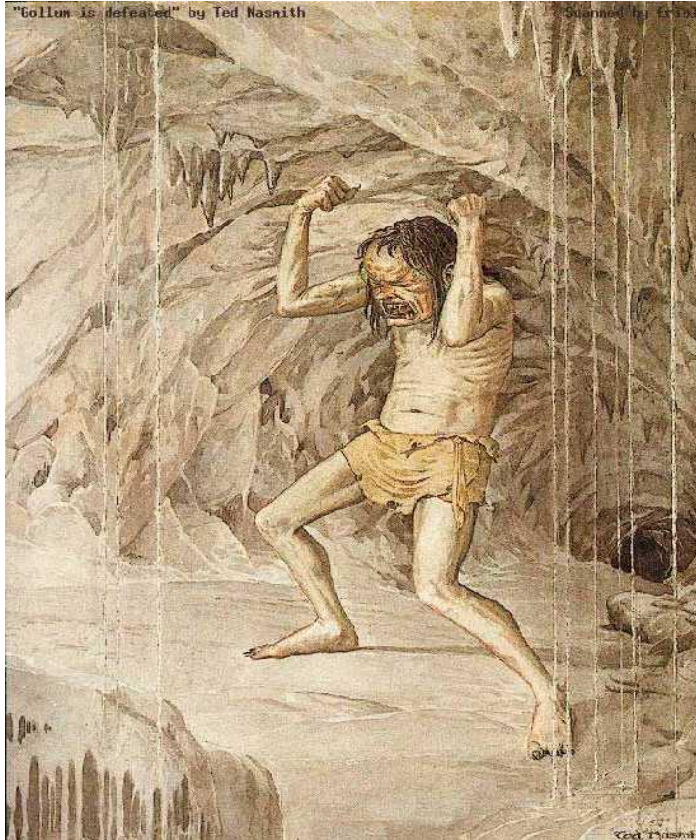
بيلبو رأى ما حدث ولم يجد شيئا أفضل من التمسك بسؤاله "ماذا يوجد في جيبي؟" قالها بصوت أعلى

فح جولام "هسسسس هسسسس! لا بد أن يعطينا ثلاث تخمينات يا ثميني ثلاث تخمينات! قال بيلبو "حسنا للغاية! خمنهم!" قال جولام "أيادي!"

قال بيلبو الذي لحسن حظه كان قد اخرج يده من جيبه "خطأ حاول الثانية" قال جولام ببأس أكثر من أي وقت مضى "هسسسس اسسسسس!" وأخذ يفكر في كل الأشياء التي يحتفظ بها في جيبه عظام السمك وأسنان الغيلان قواقع رطبة وقطعة من جناح خفاش وحجر حاد ليشحذ مخالبه وأشياء كريهة أخرى وأخذ يحاول أن يستنتج ماذا يحمل الناس في جيوبهم وقال أخيرا "سكين؟"

قال بيلبو "خطأ!" فقد كان فقد سكينه منذ مدة طويلة "التخمين الأخير!" كان جولام الآن في حالة أسوأ بكثير منه عندما سأله بيلبو سؤال البيض أخذ يصدر فحيا وتأتأة ويتراقص للخلف والأمام ويدب بقدمه على الأرض ويتلوى وينبعج لكنه لا يجرؤ على إضاعة تخمينه الأخير. قال بيلبو "هيا! أنا انتظر!" محاولا أن يجعل صوته قويا واثقا لكنه لم يمن بهذا القدر من الثقة ولا يعرف كيف ستنتهي هذه اللعبة هل سيصيب جولام في التخمين أم لا؟ ثم قال "انتهى الوقت!"

عوى جولام "خيطة أو لاشيء؟!!" ولم يكن من المنصف أن يقول تخمينين في آن واحد. صرخ بيلبو وهو يشعر بارتياح يجتاحه "كلاهما خطأ!" وقفز فورا على قدميه ملصقا ظهره بأقرب حائط متمسكا بسيفه الصغير، كان يعلم بالطبع أن لعبة الأحاجي والفوازير كانت مقدسة وذات قدم سحيق وحتى المخلوقات الدنيئة تخشى من الغش فيها حين تلعبها لكنه لم يستطع أن يثق بأن هذا المخلوق الموحد سوف يفي بأدنى قدر من وعده وأدنى عذر سيكفيه لكي يتصل منه



وفي جميع الأحوال فإن السؤال الأخير ليس فزورة أصلية تبعا للقوانين القديمة. لكن جولام لم يهاجم مباشرة فقد كان يستطيع أن يرى السيف في يد بيلبو ولذا فقد جلس أرضا يرتجف ويهمس وأخيرا لم يستطع بيلبو أن ينتظر أكثر.

قال "حسنا؟ ماذا عن وعدك؟ أريد أن أذهب أرني الطريق."

"هل قلنا هذا يا ثميني؟ نري باجينز البغيض الضئيل طريق الخروج؟ هه! لكن ترى ماذا في جيبه يا ثمين ليس خيطا يا ثمين ولا لاشيء آه لا! جولام!"

قال بيلبو "لا تشغل بالك! الوعد هو الوعد"

فح جولام "سنفي به أيها الثمين! غير صبور! لكنه يجب أن ينتظر لانستطيع أن نصعد الأنفاق بتعجل





زائد! لا بد أن نذهب ونحضر بعض الأشياء أولاً نعم. أشياء ستساعدنا." قال بيلبو "حسنا اذهب سريعاً" كان مرتاحاً لفكرة أن يذهب جولام بعيداً وظن أنه يخلق عذراً لكنه لن يعود فما الذي يتحدث عنه جولام؟ ما قد يكون هذا الشيء المفيد الذي يحتفظ به في البحيرة المظلمة؟

لكنه كان مخطئاً جولام كان ينوي العودة فقد كان غاضباً وجائعاً وكان مخلوقاً مأكراً تعيساً وقد أعد بالفعل خطة.

لم تكن جزيرته بعيدة ولم يكن بيلبو يعرف عنها شيئاً وهناك في مكان اختبائه كان يحتفظ ببعض البقايا الرثة وشيء واحد جميل للغاية جميل جداً شديد الروعة. كان عنده خاتم. خاتم ذهبي. خاتم ثمين.

أخذ يهمس لنفسه كما اعتاد أن يفعل في أيامه ذات الظلام الأبدي

"هدية عيد ميلادي! هذا ما نحتاجه الآن! نعم نحتاجه!"

كان يحتاجه لأنه خاتم القوة وإذا ما وضعت الخاتم في إصبعك فستصبح غير مرئي فقط في ضوء شمس الظهيرة المباشر الكامل ستكون مرئياً فقط بسبب ظلك وحتى هذا سيكون باهتاً ومضلاً

"هدية عيد ميلادي التي أتنتي في عيد ميلادي! إنه ثميني."

كان هذا ما اعتاد أن يقوله لنفسه دائماً لكن من يدري كيف حصل جولام على هذا الخاتم كهدية منذ عهود وعهود في الأيام القديمة حين كانت هذه الخواتم مازالت معروفة في العالم ربما حتى سيدهم الذي يتحكم بهم لا يستطيع أن يخبرك. اعتاد جولام في البداية أن يرتديه إلى أن أرقه ثم اكتفى بحفظه في جراب ملتصقاً بجلده ويلبسه في بعض الأحيان حين لا يقدر على فراقه أو حين يشتد به الجوع وقد سئم السمك فيزحف في الممرات المظلمة باحثاً عن غول شارد وربما يجازف بالذهاب للأماكن التي بها المشاعل جاعلاً عيناه لا تطرف وتنتبه لكي يظل آمناً ويتأكد أنه آمن تماماً لا أحد يراه أو يلاحظه حتى تقع أصابعه على رقابهم ومنذ ساعات قليلة ارتداه واصطاد طفل غول صغير آاه كم صرخ! مازال باق عنده عظمة أو اثنتين ليقضمهما لكنه كان يمضي نفسه بشيء أطرى وأشهى.

أخذ يهمس لنفسه "سكون آمنين أليس كذلك؟ آمنين تماماً يا ثميني فلن يستطيع رؤيتنا أليس كذلك؟ نعم لن يستطيع وسيفه البغيض الصغير سيكون بلا فائدة نعم بلا فائدة تماماً."

كان هذا ما يدور في ذهنه الدنيء الصغير فانسف فجأة من جوار بيلبو واتجه لقاربه وذهب في الظلام بعيداً عن عيون بيلبو. وظن بيلبو أن هذا آخر ما سيسمعه منه ومع هذا انتظر قليلاً فلم يكن عنده أدنى فكرة عن كيف سيخرج من هنا وحده.

فجأة سمع صرخة فزع واصطدمت موجة بظهره كان جولام في الماء يلطم وينتحب ويلعن في الظلام ويبدو من الصوت أنه ليس بعيداً عنه فقد كان في جزيرته يخربشها هنا وهناك باحثاً ومفتشاً بلا جدوى.

"أين هو؟ أين هو؟" سمع بيلبو صراخه "فقدناaaaaaaaaااه ثميني فقد ثميني فُقد! علينا اللعنة! تبا لنا! ثميني مفقود!"

هتف بيلبو "ما الأمر؟ ماذا فقدت؟"

صرخ جولام "يجب ألا يسألنا هذا ليس شأنه كلاً! جولام! جولام! إنه مفقود! جولام جولام جولام جولام."

زق بيلبو "حسناً ليس شأنني وأنا أريد أن أعرف طريقي وقد ربحت اللعبة وأنت وعدت لهذا تعال فوراً تعال وأخرجني وبعدها أكمل بحثك!"

التعاسة الكاملة التي بدا عليها جولام لم توجد في قلب بيلبو الكثير من الشفقة نحوه وأحس أن أي شيء يبحث عنه جولام بهذه الضراوة لن يكون أمراً جيداً أبداً.

صرخ "تعال فوراً!"

أجاب جولام "لا ليس الآن لا بد أن نبحث عنه أولاً إنه مفقود. جولام"

قال بيلبو "لكنك لم تعرف حل سؤالي الأخير وقد أعطيت وعدك"





قال جولام "لم أعرف!" وفجأة أتى في الظلام فحيح حاد "ماذا عنده في جيبه فليخبرنا بهذا؟ لا بد أن يخبرنا أولاً." على حد علم بيلبو لم يكن هناك سبب يجعله يمتنع عن إخباره بينما قفز ذهن جولام لسبب أسرع منه فطبعاً كان جولام الذي كان يحتضن شبيهه الوحيد لعهود يخشى عليه من السرقة بينما بيلبو متضايق للتأخير فعلى أي حال كان قد ربح اللعبة بعدالة في مقابل خطر رهيب فقال بيلبو "الإجابة تعرف ولا تعطي"

قال جولام "لكنه لم يكن سؤالاً عادلاً ليس أحجية يا ثمين كلا" "آه حسناً لو أنها مسألة أسئلة عادية فقد سألت أولاً: ماذا فقدت؟ أخبرني عن هذا!" أتى الفحيح أعلى وأكثر حدة "ماذا في جيبه" ونظر نحوه لينذر بيلبو أن هناك الآن نقطتين صغيرتين من الضوء تحديقان به حيث أخذ الاتهام ينمو في عقل جولام كان الضوء في عينه يشتعل بلهب شاحب. أصر بيلبو "ماذا فقدت؟"

أصبح الآن الضوء لعين بيلبو ناراً خضراء تتقدم نحوه ببطء كان جولام عاد لقاربه وبدأ يجذف نحو الشاطيء المظلم ثانية وغضبه الهائل لخسارته وشكه جعل قلبه لا يشعر بأدنى رعب من أي سيف. بيلبو لم يستطع أن يخمن ما الذي أثار جنون الكائن الرث لكنه رأى أن جنونه يتصاعد وأن جولام ينوي أن يقتله بأي حال. لذا أسرع يعود للطريق المظلم الذي أتى منه متحسباً طريقه بيده اليسرى.

"ماذا عنده في جيبه؟" سمع الفحيح خلفه يعلو والطرطشة حين قفز جولام من قاربه قال لنفسه "ماذا عندي؟ أنا أتسائل" وأخذ يلهث ويتعثر ووضع يده اليسرى في جيبه وكان الخاتم بارداً للغاية بينما ينزلق في سبابته.

كان الفحيح قريباً خلفه والتفت ليرى عينا جولام كمصباحين خضراوين يصعدان المنحدر وشله الرعب والإرهاق عن الهروب أسرع وفجأة اصطدمت قدمه بنتوء في الأرض ليسقط منبطحاً وسيفه أسفله.

للحظة كان جولام يعلوه لكن قبل أن يفعل بيلبو أي شيء أو حتى يلتقط أنفاسه أو ينهض أو يحرك سيفه تجاوزه جولام دون أن يلاحظه وهو أخذ في اللعن والهمس بينما يعدو.

ماذا يعني هذا؟ جولام يستطيع الرؤية في الظلام وكان بيلبو يستطيع أن يرى الضوء الأخضر الشاحب في عينه يشع حتى من ظهره وبألم نهض مرة أخرى ووضع سيفه في غمده وكان قد بدأ يلمع بضعف مرة أخرى وبدأ بمنتهى الحذر يتبعه فلم يبد له أن هناك شيء آخر يمكن فعله فلم يكن طيباً أن يعود لبحيرة جولام وربما لو تبعه يستطيع أن يقوده لطريق الهروب دون أن يقصد. فح جولام "عليه اللعنة عليه اللعنة على باجينز اللعنة لقد ضاع! ماذا عنده في جيبه؟ أووه نعم خمناً الآن خمناً ثميني لقد عثر عليه لا بد أنه فعل! هدية عيد ميلادي."

رفع بيلبو آذانه وقد بدأ يفهم أخيراً الأمر وأسرع قليلاً ليقترّب بأقصى ما يجرو من جولام الذي كان مازال يجري لا ينظر للخلف لكن يدير رأسه ميمنة وميسرة كل حين كما أدرك بيلبو من انعكاس الضوء على الجدران

"هدية عيد ميلادي عليه اللعنة كيف فقدناه يا ثميني؟ نعم هكذا حين اعتصرنا هذا الصريخ الصغير الضئيل عليه اللعنة! نعم حتماً كذلك لقد سقط منا عليه اللعنة! بعد كل هذه الدهور والدهور ضاع! جولام!"

فجأة جلس جولام أرضاً وبدأ في النحيب الذي كان صوت صفيير وغرغرة تستبشع سماعه تردد بيلبو والتصق بجدار النفق وبعد فترة توقف جولام عن النحيب وبدأ يتحدث كأنه يبدو كما لو كان يجادل نفسه.

"لا فائدة من العودة والبحث كلا نحن لا نذكر كل الأماكن التي ذهبنا لها كما أن هذا بلا فائدة الباجينز يحمله في جيبه الفضولي الكريه وجده كما نقول"







"لقد خمننا هذا يا ثمين فقط تخمين ولن نستطيع أن نعرف حتى نجد هذا المخلوق الكريه ونعتصره لكنه لا يعلم ماذا يمكن أن تفعل الهدية أليس كذلك؟ فقط سوف يحتفظ به في جيوبه إنه لا يعرف ولا يستطيع أن يبتعد كثيرا هذا الشيء الفضولي الكريه لا يعرف طريق الخروج هو قال هذا." "هو قال هذا نعم لكه مخادع فهو لا يقول ما يعني هو لم يقل ماذا يحمل في جيبيه إنه يعرف إنه يعرف طريق الدخول فهو حتما يعرف طريق الخروج نعم لا بد أنه ذهب للباب الخلفي. إلى الباب الخلفي هذا هو."

"لا يستطيع الخروج من هناك الغيلان ستمسكه لا يستطيع الخروج من هناك يا ثمين" "اسسس اسسس اسسس جولام! الغيلان! نعم لكن لو أنه حصل على الهدية هديتنا الثمينة سيحصل عليها الغيلانات جولام! سيكتشفونها وسيكتشفون ما تفعله ولن نكون أمنين ثانية لن نكون أمنين أبدا جولام! واحد من الغيلانات سيرتديه وسيختفي حتى عيوننا الماهرة لن تكتشفه وسيأتي مخادعا وزاحفا ليمسكنا جولام جولام!"

"إذا دعنا نتوقف عن الحديث يا ثمين ونسرع لو أن باجينز مضى من هذا الطريق يجب أن نذهب سريعا ونرى! إذهب ليس بعيدا عنا اسرع!"

وبقفزة نهض جولام وبدأ متأرجحا في المشي بخطى سريعة وأسرع بيلبو خلفه محتفظا بحذره رغم أن خوفه الآن أصبح أن يتعثر في نتوء آخر ويقع محدثا ضجة ورأسه كانت في صراع بين الأمل والتساؤل يبدو أن الخاتم الذي حصل عليه له قوى سحرية فهو يجعلك غير مرئي! كان قد سمع بالطبع عن هذه الأشياء في أقدم الحكايات القديمة لكن كان من الصعب التصديق أنه حقا حصل على واحد بالصدفة لكن مازالت تلك الحقيقة واضحة جولام بعيونه المشعة مر فوقه على بعد ياردة بجواره دون أن يلاحظه.

وانطلقا في طريقهما جولام يتشقلب على رأسه يفح ويلعن وبيلبو خلفه يسرع بأهدأ ما يقدر عليه الهوبيت وسرعان ما وصلوا لأماكن حيث كما لاحظ بيلبو في طريقه لأسفل بها ممرات جانبية مفتوحة وبدأ جولام يحصي الطرق من البداية.

"واحد أيسر نعم! واحد أيمن نعم اثنان أيمن نعم نعم اثنان أيسر نعم نعم" وهكذا إلى آخره وكلما زاد العدد أبطأ وبدأ يهتز وينتحب لأنه يترك الماء خلفه أكثر وأكثر وكان خائفا فالغيلان قد تكون قريبة وقد فقد الخاتم وأخيرا توقف عند فتحة منخفضة على يسار الطريق الصاعد "سبعة أيمن نعم ستة أيسر نعم" وهمس "هذا هو هذا هو طريق الباب الخلفي من هنا الممر!"

حذق فيه لكنه انكمش "لكننا لا نجرؤ على الدخول يا ثميني الآن لانجرؤ الغيلان بالأسفل الكثير من الغيلانات نحن نشمهم هسسسسسس! ماذا نفعل؟ عليهم اللعنة وتبا لهم! لا بد أن ننتظر هنا يا ثميني ننتظر قليلا ونرى."

وهكذا وصلوا لنهاية مسدودة جولام ارشد بيلبو لطريق الخروج لكن بيلبو لا يستطيع المرور منه! لأن جولام جلس متكوما على الفتحة وعيناه تشعان بضوء بارد من رأسه بينما هو يأرجحهما من جانب لآخر بين ركبتيه

زحف بيلبو على الجدار بهدوء أشد من الفئران لكن جولام تجمد على الفور وأخذ يتشمم وتحولت عيناه إلى الأخضر. وفح بهدوء ولكن بتوعد لم يقدر على رؤية الهوبيت لكنه الآن منتبها وله حواس أخرى غير البصر زاداها الظلام حدة: الشم والسمع وبدا أنه جثم على الأرض مستندا بيده المسطحة ورأسه مندفعة للأمام أنفه نحو الحجارة ورغم أنه لم يبد إلا كشبح أسود تلمع عيناه لكن بيلبو استطاع أن يرى أو يشعر أنه مشدودا كوتر قوس مصوب لهدف.

توقف بيلبو تقريبا عن التنفس وجمد نفسه كان محبطا لا بد أن يذهب بعيدا خارج هذا الظلام المريع وبينما مازال عنده بقايا قوة لا بد أن يحارب لا بد أن يطعن هذا الشيء العفن وينتزع عيناه ويقتله.

كان يقصد أن يقتله لا لم يكن خوفا من القتال فهو غير مرئي وجولام لا يملك سيفا. جولام لم يهدد حياته على الأقل لم يحاول حتى الآن أن يقتله وكان تعيسا وحيدا تائها. لذا فهم مفاجيء وشفقة ممزوجة بالاشمئزاز ملنا قلب بيلبو لمحة من الأيام الغير مميزة التي بلا نهاية بدون ضياء أو أمل





في التحسن صخور صلبة وسمك بارد تسلل ووسوسة كل هذه الأفكار في أقل من الثانية دارت في ذهنه ارتجف وفجأة في جزء آخر من الثانية بكل ما بقي له وبعزم جديد وتصميم، قفز. ليست قفزة عظيمة لرجل لكنها قفزة في الظلام مباشرة فوق رأس جولام قفز سبعة أقدام على الأرض وثلاثة في الهواء في الحقيقة كما أدرك فقد كاد أن يحطم جمجمته على القوس الحجري المنخفض للممر ألقى جولام بنفسه مبتعدا للخلف وقبض بيديه بينما الهوبيت يطير فوقه لكنه كان متأخرا جدا فلم تمسك يده سوى الهواء وبيلبو نزل ثابتا تماما على قدميه منطلقا لأسفل في الممر الجديد ولم يستدر ليرى ماذا يفعل جولام فقد كان هناك فحيحا ولعنات في كعبه تقريبا ثم توقفت كلها فجأة تحولت إلى صرخة مفزعة تجمد الدماء ممثلة بالحقد واليأس فقد هزم جولام لم يجرؤ على أن يمض أكثر لقد خسر: خسر فريسته وخسر أكثر منها الشيء الوحيد الذي يهتم به ثمينه. الصرخة جعلت قلب بيلبو يقفز لفمه لكن ظل متماسكا ثم خبت كالصدي، لكن متوعدة فالصوت خلفه "سارق سارق! باجينز! انكرهك نحن نكرهك للأبد!"

ثم لحظة صمت لكنها بدت مهددة أيضا لبيلبو فقد أخذ يفكر "لو أن الغيلان الذين اشتم جولام رائحتهم قريبين إذا فسوف يسمعون الصراخ واللعنات احذر الآن وإلا ستؤدي بك هذه الطريق لأسوأ النهايات."

كان الممر منخفضا وخشن الصنعة لكنه لم يكن صعبا للهوبيت إلا عندما يتعثر رغم كل حرصه في نتوء أو صخور كما حدث عدة مرات وفكر بيلبو "منخفض جدا للغيلان خاصة الكبيرة" ولم يكن يعرف أنه حتى الغيلان الكبيرة أبناء الجبال يمضون بسرعة كبيرة منخفضة وأيديهم تكاد تلامس الأرض.

وسريعا الطريق الذي كان ماضيا لأسفل عاد للإرتفاع وبعد فترة أصبح يتسلقه وهو ما أبطأ لبيلبو لكن أخيرا توقف الإنحدار وتحول الممر بمنعطف ونزل لأسفل ثانية وهناك في القاع شاهد منحني قصير وبمروره من منعطف تالي شاهد وهج ضوء لم يكن أحمر كالنار أو الفانوس لكنه شاحب كأضواء الخارج وعندها بدأ بيلبو في العدو بقفزات بأسرع ما تستطيع قدماه أن تقعلا نفذ من المنعطف الأخير وأتى أخيرا إلى فراغ مفتوح حيث الضوء الذي كان بعد كل هذا الوقت في الظلام ساطعا مبهرا للعين لكنه لم يكن إلا شعاع من ضوء النهار يأتي عبر الباب. باب حجري ضخم ترك مفتوحا أغمض بيلبو عيناه وفتحها ثم فجأة شاهد الغيلان. غيلان بكامل سلاحها ودروعها تشهر سيوفها وتجلس داخل الباب ويراقبونه بأعين مفتوحة ويراقبون الممر الذي يؤدي له منتبهين مستعدين لأي شيء.

شاهدوه قبل أن يشاهدوهم. نعم شاهدوه سواء كان الأمر صدفة أو حيلة أخيرة من الخاتم قبل أن يقبل بسيدته الجديد فلم يكن في يده. ومع صرخة الظلام المبتهجة انطلق الغيلان نحوه مع صدمة الرعب والخسارة كصدي لتعاسة جولام ضرب بيلبو ناسيا حتى أن يستخدم السيف الذي في يده ودفع يده لجيبه وهناك كان الخاتم مازال موجودا في جيبه الأيسر وانزلق حول إصبعه توقف الغيلان للحظة فلم يعودوا يستطيعون رؤيته فقد تبخر وصرخوا مرة أو اثنتان بعلو الصرخة السابقة ولكن ليس بابتهاجها. "أين ذهب؟" زعقوا في دهشة قال البعض "عودوا إلى الممر" وقال آخرون "من هذا الطريق بل ذاك الطريق" وهتف بهم القائد "احرسوا الباب"

أنت صفارة من أسفل وتصادمت الدروع وتقارعت السيوف وتلاعن الغيلان وتسابوا وجروا هنا وهناك يتعثرون ببعضهم وقد ملئهم الغضب وكان هناك صراخ هائل في الخارج وارتباك بيلبو كان مفزوعا بشدة لكنه احتفظ بصفاء ذهنه بما يكفي ليستوعب ما يحدث ويختفي خلف برميل ضخم من شراب الحرس وهكذا ابتعد عن الطريق متجنبيا مخاطر أن يمسك أو يسحق تحت الأقدام حتى الموت أو الاصطدام بالحرس وأخذ يحدث نفسه "لابد أن أعبر من الباب! لا بد أن أعبر من الباب!" لكن مضى وقت طويل قبل أن يغامر بالمحاولة وكان الأمر أشبه بلعبة استغمائية قاتلة فالمكان مليء بالغيلان التي تعدو هنا وهناك والهوبيت المسكين الصغير يراوغ في هذا الاتجاه وذاك وتلقى صدمة من غول لم يستطع أن يعرف ما الذي اصطدم به وزحف على



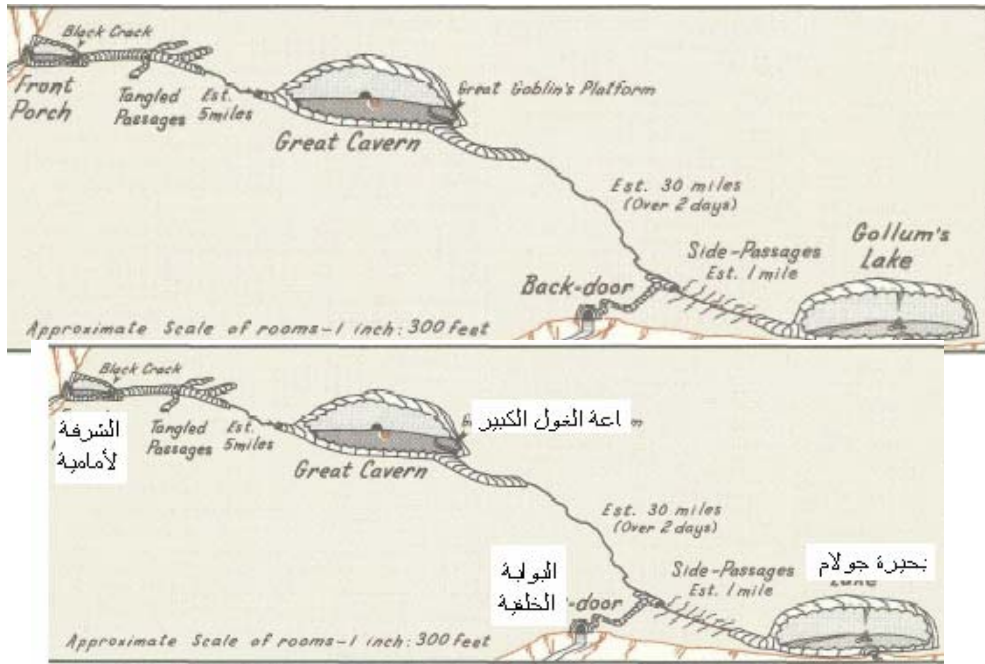


أربع منسلا بين أرجل القائد بالكاد في الوقت المناسب ونهض ثم أخذ يجري نحو الباب كان مازال مواربا لكن غولا دفعه ليكاد أن يغلقه ناضل بيلبو ليفتحه دون جدوى وحاول أن يعتصر نفسه ليمر من الشق وأخذ يدفع نفسه أكثر وأكثر فانشتر! كان الأمر مريعا فقد انشترت أزراره بين حافة الباب وإطاره كان يستطيع أن يرى الخارج حيث الهواء الطلق وهناك خطوات قليلة حتى واد ضيق بين الجبال العالية وتظهر الشمس من خلف السحاب لتسطع على الجزء الخارجي من الباب لكنه لم يستطع أن يعبر من خلاله.

فجأة صرخ أحد الغيلان "هناك ظل عند الباب شيء ما بالخارج" قفز قلب بيلبو لفمه وقام بحركة تملص رهيبة وتناثرت الأزرار في كل اتجاه وعبر بسترمة ممزقة وصدارة تثب لأسفل مع خطوة مثل الماعز بينما الغيلان المتحيرة مازالت تلتقط أزراره الجميلة اللامعة من الأرض.

بالطبع انطلقوا خلفه سريعا ينعبون ويهللون ويحاولون صيده بين الأشجار لكنهم لا يحبون الشمس فهي تجعل أرجلهم رخوة ورؤوسهم تدور ولم يستطيعوا العثور على بيلبو والخاتم في يده منسلا بين ظلال الأشجار متجنبنا الشمس وسرعان ما عادوا لحراسة الباب يتذمرون ويلعنون.

لقد هرب بيلبو أخيرا.





## الفصل (٦)

### القفز من المقلاة إلى النار

هرب بيلبو من الغيلان لكنه لم يعرف ماذا يفعل بعد هذا لقد فقد قلنسوته وعباءته وطعامه وفرسه وأزراره وأصدقائه فأخذ يتساءل ويتساءل حتى بدأت الشمس في المغيب خلف الجبال لتتملاً ظلالها طريق بيلبو ونظر خلفه ثم أمامه فلم يجد إلا المرتفعات والمنحدرات المتجه للأراضي المنخفضة وبعض لمحات من سهول تظهر بين الأشجار.

هتف "يا للسماء! يبدو أنني خرجت للجانب الآخر من الجبال الضبابية؟ إلى حافة الأراضي التي تليها! أين وآه أين يمكن أن يكون جاندلف والأقزام ذهبوا؟ أرجو من الله ألا يكونوا في الخلف في قبضة الغيلان؟"

كان مازال يتساءل بينما هو يخرج من الوادي العالي الضيق وينحدر عبر حافته إلى المنخفض ورائه لكن كانت هناك فكرة معذبة للغاية تطارده كان يتساءل إذا ما كان ينبغي له وقد امتلك الآن الخاتم السحري أن يرجع إلى تلك الأنفاق المرعبة المريعة ويبحث عن أصدقائه؟ فقد تيقن في ذهنه أن هذا واجبه يجب أن يعود وكم شعر بالأسى بسبب هذا حين سمع أصواتا. توقف وأصت لم تكن أصوات الغيلان فزحف للأمام بحذر كان على طريق حجري ينعطف لأسفل مع جدار صخري على يساره وعلى يمينه تتحدر الأرض بعيدا نحو عدة أودية صغيرة تظللها الأشجار وتحت أيكها أناس يتحدثون. أخذ يزحف مقتربا وأخيرا شاهد فرجة بين جلمودين كبيرين يبرز منها رأس يرتدي قلنسوه حمراء. لقد كان بالين يقوم بمهام الإستطلاع. كان يمكن أن يصرخ من السعادة والفرح لكنه لم يفعل فقد كان مازال يرتدي الخاتم تحسبا لمقابلة شيء ما كريبه ومخيف غير متوقع ولذا شاهد بالين ينظر نحوه مباشرة دون أن يلاحظه. حدث نفسه "سأعطيهم مفاجأة."

وزحف عبر الأشجار لحافة الوادي كان جاندلف يناقش الأقزام فقد كانوا يتجادلون عما حدث في الأنفاق ويتسائلون ويتناقشون عما يفعلونه الآن كان الأقزام يتذمرون بينما جاندلف يصر على أنه من المستحيل أن يرحلوا تاركين السيد باجينز خلفهم في أيدي الغيلان دون محاولة أن يعرفوا إذا ما كان حيا أو ميتا ودون محاولة إنقاذه.

قال الساحر "في النهاية إنه صديقي وليس مجرد صاح سيء صغير أنا أشعر أنني مسئول عنه كم كنت أرجو من الله ألا تفقدوه."

كانت الأقزام تريد أن تعرف لماذا أحضره معهم أصلا؟ ولماذا لم يلزم أصدقائه ويأتي معهم ولماذا لم يختار شخص أفضل وقال أحدهم "لقد جلب لنا من المتاعب أكثر من النفع وإذا كان علينا أن نعود للأنفاق المقيتة للبحث عنه فأنا أقول تبا له!"

رد جاندلف بغضب "أنا من أحضره وأنا لا أحضر شيئا غير مفيد إما أن تساعدني في البحث عنه أو ابق هنا وسأذهب أنا للبحث عنه تارككم في الفوضى لتبذلوا ما في وسعكم لأنفسكم وإذا ما استطعنا أن نعثر عليه فستشكرونني جميعا قبل أن تنتهي الرحلة ماذا كنت تقصد حين أسقطته يا دوري؟"

قال دوري "أنت كنت ستسقطه لو أن غول أمسك بقدمك فجأة من الخلف في الظلام. وتشبث بقدمك وركلك في ظهره!"

"إذا لم لم تلتقطه ثانية؟"

"يا للسماء! أتجرو على السؤال؟ الغيلان كانت تعض وتضرب في الظلام والجميع كان يضرب في الجميع! أنت كدت أن تتقب رأسي بالجلامدرينج بينما ثورين يطعن هنا وهناك بالأوركريست ثم فجأة أصدرت واحدة من ومضاتك المفاجئة ورأينا الغيلان تعدو هاربة للخلف تصرخ وأنت تصرخ فليتبعني الجميع وكان ينبغي على الجميع أن يتبعك وظننا أن الجميع فعل ولم يكن هناك وقت للعد كما تعرف بالتأكيد حتى اخترقنا حرس البوابة من الباب السفلي وجرينا هنا وهناك حتى وصلنا لأسفل هنا وها نحن دون الصعلوك نتحير بشأنه"

"وها هو الصعلوك!" قالها بيلبو واقفا في منتصفهم وهو ينزع الخاتم عنه.





فليرحمني الله! يا لها من قفزة تلك التي قفزوها! ثم صرخوا من المفاجأة والابتهاج وكان جانديف مصعوقا مثلهم جميعا لكن أكثر سعادة على الأرجح من أيهم ونادى على بالين ليخبره برأيه فيه كرجل استطلاع يترك الناس تتسلل لوسطهم دون إنذار في الحقيقة فإن سمعة بيلبو بين الأقرام قفزت عاليا بعد ما حدث فإذا كان عندهم أدنى شك في أنه صعلوك من الدرجة الأولى رغم كلمات جانديف فإن هذا الشك انتهى تماما الآن وكان بالين أشدهم حيرة لكن الجميع اعتبرها براعة من بيلبو.

في الحقيقة كان بيلبو شديد السعادة لسماع تمجيدهم له حتى أنه اكتفى بالضحك في داخله ولم يقل أي شيء عن الخاتم وحين سأله كيف فعلها قال "أوه فقط زحفت كما تعلمون في هدوء وصمت وحذر!"

قال بالين "حسنا إنها المرة الأولى التي يزحف من تحت أنفي شيء حتى فأر صغير دون أن ألاحظه وأنا أرفع قلنسوتي تحية لك." وهو ما فعله قائلا "بالين في خدمتك" قال بيلبو "خادمك السيد باجينز"

ثم أرادوا أن يعرفوا كل شيء عن مغامرته وما حدث بعد أن فقدوه وجلس ليحكى لهم كل شيء ما عدا الخاتم فكما ظن "ليس هذا وقته" وكانوا شديدي الإهتمام بمسابقة الأحاجي وكان أشد ما أثار الرعدة فيهم وصفه لجولام.

"وعندها لم استطع أن أفكر في أي سؤال بينما يجلس إلى جوارى وهكذا سألته ماذا يوجد في جيبي ولم استطع أن يخمن ثلاث مرات ولذا سألته عن وعده- أرني الطريق - لكنه أتى يريد أن يقتلني لذا جريت وسقطت أرضا ففقدني في الظلام ثم تبعته لأنني سمعته يحدث نفسه فقد ظن أنني أعرف بالفعل الطريق لذا فقد اتجه نحوه ثم جلس على المدخل ولم استطع المرور لذا فقد قفزت فوكة وهربت وجريت نحو البوابة."

سأله "ماذا عن الحرس؟" ألم يكونوا هناك؟"

"أوه نعم الكثير منهم لكنني راوغتهم ثم علقت بالباب الذي كان مفتوحا منه شق صغير وفقدت الكثير من الأزرار" قالها بحزن ناظرا لملابسه الممزقة وأكمل "الكنني اعتصرت نفسي ومررت وها أنا ذا!"

نظر الأقرام له باحترام جديد تماما حين تكلم عن مراوغة الحرس والقفز فوق جولام والإعتصار عبر الباب كما لو لم تكن تلك الأشياء صعبة أو خطيرة.

قال جانديف ضاحكا "ألم أقل لكم؟ السيد باجينز عنده الكثير أكثر مما تتصورون" وأعطى له نظرة غريبة من أسفل حواجه الكثة فتساءل الهوبيت عما إذا كان قد أدرك أنه أغفل جزء من قصته؟

وجاء الآن دوره ليسأل فقد كان جانديف شرح الأمر للأقرام مما لم يسمعه بيلبو كان يريد أن يعرف كيف عاد لهم الساحر وأين هم الآن .

الساحر في الحقيقة لم يكن مهتما بإظهار براعته أكثر من مرة لذا فاكتفى بقوله أنه والروند يعرفان جيدا بوجود الغيلان في هذا الجبل لكن بوابتهم الرئيسية على ممر آخر أسهل في الوصول إليه واعتاد الناس على الإبتعاد عن هذا الطريق ولا بد أن الغيلان فتحوا حديثا مدخلا على طريق الأقرام فلم يكن موجودا من قبل.

"لا بد أن أبحث عن مارد محترم ليغلقه ثانية وإلا فسريعا لن يمكن عبور الجبال مرة أخرى أبدا" ما أن سمع جانديف صرخة بيلبو حتى أدرك ما حدث وحين أطلق الومضة التي قتلت الغيلان اندفع عبر الشق وتنبعهم إلى حافة القاعة الكبيرة ليجلس أرضا ويقوم بأقوى سحر يستطيعه في الظلام.

" أعمال خفيفة للغاية تضرب وتذهب!"

لكن بالطبع جانديف حصل على دراسة خاصة للسحر مع النار والضيء -حتى الهوبيت الصغير لا يستطيع أن ينسى ألعابه النارية في حفلات توك الكبير ليلة منتصف الصيف لو أنك تذكرها- ونحن نعرف الباقي الآن ماعدا أن جانديف كان يعرف بأمر الباب الخلفي كما يسمى الغيلان





البوابة السفلية في الحقيقة كان معروفا تماما لكل من يرتاد هذا الجزء من الجبال لكن الأمر يحتاج لساحر ليقودك في النفق نحوه محتفظا برأسك على كتفك !

"لقد صنعوا هذه البوابة منذ عهد بعيد من ناحية كمنفذ للهروب ومن ناحية أخرى للذهاب إلى الأراضي الخلفية التي مازالوا يذهبون لها ليلا ليحدثوا الكثير من الدمار ودائما يحرسونها ولم يحدث أبدا أن هرب منها أحد سحرسونها بثقة أقل بعد هذا " وضحك فضحك الآخرون أيضا في النهاية رغم أنهم خسروا الكثير فقد قتلوا الغول الكبير والكثيرين معه وهربوا جميعا لذا يحق لهم أن يقولوا أنهم حصلوا على أفضل نتيجة ممكنة.

لكن الساحر أعاد لهم عقولهم فقال "لا بد أن نتابع فوراً بعد أن ارتحنا قليلا الآن فسيأتون خلفنا بالمتات حين ينزل الليل وقد استطالت الظلال بالفعل وهم يستطيعون أن يشموا أثار أقدامنا بعد ساعات طويلة من مرورنا يجب أن نكون على بعد أميال من هنا قبل الغسق سيكون هناك هلالا ظاهرا لو كنا محظوظين ليس لأن القمر يضايقهم وإنما لأنه سيكون هناك بعض الضوء ليقودنا" ثم قال لي يجب على سؤال تبادر لذهن الهوبيت "أه نعم أنت فقدت الإحساس بالوقت في الأنفاق اليوم هو الثلاثاء وكان مساء الإثنين أو نهار الثلاثاء حين قبض علينا في الجبل لقد سرنا أميال وأميال وأتينا عبر قلب الجبال ونحن الآن على الجانب الآخر بعد طريق مختصر جدا لكننا لسنا على النقطة التي كان يفترض أن يقودنا لها طريقنا نحن بعيدين جدا عنها في الشمال وأمامنا بعض من الريف الوعر ومازلنا على ارتفاع عال هيا ننطلق"

قال بيلبو "أنا أتضور جوعا " كان قد أدرك فجأة أنه لم يأكل منذ الليلة قبل الماضية فقط تخيل أن يحدث هذا لهوبيت!! أحس أن بطنه فارغة وقدماه رخوتان وكل الإثارة ذهبت أدراج الرياح! قال جاندلف "ألا يمكنك التحمل قليلا! مالم تمنع في العودة إلى الغيلان وتطلب منهم بلطف أن يعيدوا لك فرسك وأمتعك"

قال بيلبو "لا شكرا!"

"حسنا إذا يجب أن نكتفي بشد أزممتنا على بطوننا ونجتهد في المسير أو سيعد العشاء من لحمنا وهو أمر أسوأ من ألا نتعشى"

وانطلقوا بينما بيلبو يتلفت حوله بحثا عن شيء يؤكل لكن التوت كان مازال زهورا وبالطبع لا يوجد جوز أو حتى الزعرور البري أخذ يقضم في قطعة من نبات الحماض وشرب من أحد الينابيع الجبلية الصغيرة التي مرت بهم لكنها لم تكن بالوجبة الجيدة للغاية.

ظلوا يمضون ويمضون وبدأ الطريق الوعر في الإختفاء بين الأدغال والأعشاب الطويلة وبين الجلاميد والبقع المتأكلة من فعل الأرانب والزعرور والمريمية و المردقوش، و اللادن الأصفر ثم اخنقى كل شيء، ووجدوا أنفسهم في أعلى منحدر واسع منتظم من الصخور المتساقطة بقايا الانهيار الأرضي وحين بدءوا في النزول بدأ الركام والحصى الصغيرة تنزل من تحت أرجلهم وسرعان ما تفككت قطع أكبر فسقطت بضجة للأسفل لتبدأ قطع أخرى في السقوط و الإنزلاق والتدحرج ثم بدأت أكوام الصخور تهتز وتتفكك لتتحطم للأسفل بضجة وأتربة كثيفة قبل أن يبدأ المنحدر بأكمله فوقهم وأسفلهم في الحركة ليجدوا أنفسهم ينزلقون ممسكين ببعضهم البعض في خليط مرعب من الإنزلاق والهرولة وتصدع الصخور والجلاميد.

كانت الأشجار في القاع هي ما أنقذهم فقد انزلقوا إلى الحافة ليتسلقوا أشجار الصنوبر التي تقف قبالة الجبل آتية من أعناق أكثر الغابات ظلمة في الوادي أسفلهم بعضهم أمسك بالجذوع ثم تسلق إلى الفروع المنخفضة والبعض كالهوبيت الصغير احتذى خلف شجرة من الحجارة المتساقطة وسرعان ما زال الخطر وتوقف الإنهيار وأخر أصوات التحطم تسمع مع استقرار الحجارة الضخمة في الأعماق السحيقة للوادي أسفلهم

قال جاندلف "حسنا هذا أسدى لنا خدمة فحتى الغيلان التي تتبعنا ستأخذ وقت للنزول سليمة إلى أسفل "

قال بومبر "علي أجرو على القول أنه سيسهل عليها أن ترسل الحجارة فوق رؤوسنا "



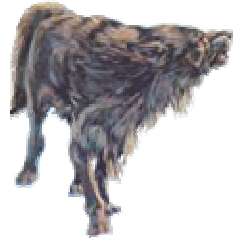


كان الأقزام ومثلهم بيلبو أبعد ما يكونوا عن السعادة ويتحسسون رضوضهم وما أصاب أرجلهم وأيديهم من ضرر  
قال جاندلف "كلام فارغ! سننعطف من هنا بعيدا عن ممر الإنهيار هيا يجب أن نسرع انظروا للضوء"

كانت الشمس قد غابت بعيدا خلف الجبال والظلال تحيط بهم بالفعل ورغم طول المسافة عبر الأشجار والقمم السوداء التي تنمو أسفلها مازال يمكنهم رؤية أضواء الغروب على السهول خلفها أخذوا يترنحون بأسرع ما يمكنهم على المنحدر الهاديء في غابة الصنوبر في طريق مائل يؤدي بثبات إلى الجنوب يسبحون في بحر من السرخس بأوراق طويلة ترتفع فوق رأس الهوبيت وفي بعض الأحيان كانوا يحنون الخطى فوق أرضية مليئة بأشواك الصنوبر ومع توغلهم تزداد كثافة ظلام الغابة ويزداد عمق صمتها فلم تكن هناك الرياح التي يأتي بها المساء أو حتى نسيم البحر يهز فروع الأشجار  
تسائل بيلبو "هل علينا التوغل أكثر"

فقد ازداد الظلام ولم يعد يرى سوى لحية ثورين تهتز بجواره وهدوء شديد تبدو فيه أنفاس الأقزام كضجة عالية.  
"أصابع قدمي كلها تورمت وإلتوت وأرجلي تؤلمني ومعدتي تتأرجح ككيس خاوي"  
قال جاندلف "قليلًا أكثر!"

وبعد ما بدا دهورا أكثر أتوا فجأة إلى فضاء حيث لا تنمو أي أشجار وكان القمر قد استهل وبدأ يسطع ليبدد الظلام ولسبب ما فقد التصقوا ببعضهم كما لو لم يكن مكانا لطيفا رغم أنه لم يكن هناك ما يثير الشك.  
فجأة سمعوا عواءً بعيدا إلى أسفل تلّ، عواء انتفاض طويل. أجيب بآخر إلى اليمين وعلى مسافة أقرب كثيرا ثم آخر ليس بعيدا يسارهم كانت الذئاب تعوي للقمر ذئب تتجمع معا!  
لم تكن هناك ذئب قريبة من منزل السيد باجينز في وطنه لكنه كان يعرف هذا الصوت فقد وصفه له كثيرا بما يكفي في الحكايات أحد بني خالته الكبار من آل توك عرف بأنه رحالة عظيم اعتاد تقليده ليخيفه وسماعه في الخارج في الغابة تحت القمر كان أكثر مما يحتمل بيلبو وحتى الخواتم السحرية لن تكون ذات نفع كبير ضد الذئاب خاصة تلك الشريرة التي تسكن ظلال الغابات المظلمة جوار جبال الغيلان على حافة البراري عند حدود المجهول ذئب من هذا النوع تشم أفضل كثيرا من الغيلان ولا تحتاج لأن تراك كي تصطادك!



قال بيلبو بهلع "ماذا نفعل؟ ماذا نفعل؟ الهروب من الغيلان لنقع في أسنان الذئاب" قالها ولعلها أصبحت مثلا فنحن نعرف القول الهروب من المقلاة للوقوع في النار في نفس هذا النوع من المواقف المحرجة.  
هتف جاندلف "إلى أعلى الأشجار فورا"

وأسرعوا إلى الأشجار على حافة هذه الساحة متخبرين تلك التي لها فروع منخفضة أو مستديرة بما يكفي لتسلقها ولك أن تخمن السرعة التي وجدوها بها وصعدوا بأعلى ما يطمنون لصلابة الفروع ولكنت تضحك كثيرا -من على مسافة آمنة- حين تشاهد الأقزام فوق الأشجار بلحيهم تتدلى لأسفل كما لو كانوا سادة مسنين أصابهم العته وبدعوا في اللعب كالأطفال كيلى وفيلي كانا على قمة شجرة أرز مثل شجرة عيد ميلاد كثيفة دوري ونوري واوين وجلوين كانوا أكثر راحة على شجرة صنوبر ضخمة ذات أفرع منتظمة تبرز في مجموعات مثل عجلة من الأشواك بيفور ويوفور وبومبر وثورين على أخرى مماثلة دوارين وبالين تسلقا شجرة اسطوانية طويلة قليلة الفروع ويحاولوا إيجاد مكان للجلوس عند أعلى الفروع الخضراء جاندلف الذي كان أطول بكثير من الآخرين وجد شجرة لايسطيع الآخرون تسلقها صنوبر ضخمة على أقصى





حافة الساحة ليختفي تماما بين فروعها إلا أنه يمكنك رؤية بريق عينيه في ضوء القمر حين يختلس النظر.

وبيلبو؟ لم يستطع أن يتسلق أي شجرة كان ينتقل من شجرة إلى أخرى مفزوعا مثل أرنب ضل عن جحره بينما هناك كلب يطارده !

قال نوري لدوري وهو ينظر لأسفل "لقد تركت الصعلوك خلفك ثانية"

قال دوري "لا أستطيع أن أحمل دائما صعلوكا على ظهري في أعماق الأنفاق وأعالي الأشجار! ماذا تظنني؟ حمال!"

قال ثورين "سوف يؤكل ما لم نفعل شيئا"

وكان العواء يقترب وقد أصبح حولهم من كل اتجاه فهتف "دوري" فقد كان دوري أقربهم لبيلبو وعلى أسهل شجرة "أسرع ومد يدك للسيد باجينز"

رغم تدمره كان دوري بالفعل رقيقا يستحق الاحترام ببيلبو المسكين لم يستطع الوصول ليده حتى بعد أن نزل للفروع الأسفل ومد ذراعيه لأسفل بأقصى ما يستطيع لهذا فقد نزل تماما من الشجرة وجعل ببيلبو يرتقي على ظهره ليتسلق وعند هذه اللحظة أنت الذئب تهول وتعوي في الساحة فجأة أصبحت هناك المئات من العيون البراقة تنتظر لهم ومع هذا لم يترك دوري ببيلبو بل انتظر حتى صعد على أكتافه وقفز إلى الفروع ثم قفز بدوره بالكاد في الوقت المناسب فقد قفز ذئب ليمسك بعباءته بينما يتعلق بالفروع وكاد أن يمسكه وفي لحظة كان هناك قطيع كامل حولهم يعوي محيطا بالشجرة ويقفز على جزعها بينما أعينهم تستعر وأسننهم تتدلى لأن حتى الوارج البرية (Wargs) كما تسمى تلك الذئب الشريرة على حافة البراري لا تستطيع تسلق الأشجار ولهذا فالفترة هم في أمان ولحسن الحظ كان الجو دافئا والريح هادئة ورغم أن الأشجار ليست مريحة لجلوسك زما طويلا لكن مع وجود العواصف في الخارج والذئب أسفلك ستكون مكانا مثاليا لا تقدر تعاستها عندك بثمن!

كانت هذه الساحة بين الأشجار كما هو واضح مكانا لالتقاء الذئب ولذا فالمزيد والمزيد أخذوا يأتون وتركوا حراسه على الشجرة التي عليها ببيلبو ودوري ثم مضوا يلهثون حتى اشتموا كل الأشجار التي عليها الجميع وتركوا عليها حراسة هي الأخرى أما الباقين وهم بالمئات فقد ذهبوا وجلسوا في دائرة عظيمة بالساحة وفي منتصف الدائرة ذئب هائل رمادي اللون بدأ يتحدث لهم بلغة الوارج المريعة التي يفهمها جانديف بينما ببيلبو لم يفهمها لكنها تبدو له مخيفة وبدا له أن كل ما يتحدثون عنه هو الأشياء القاسية والمؤذية وهو ما كان حقيقيا وكل حين وآخر تجيب الوارجات على زعيمها معا فتصدر ضجة مهولة تكاد تسقط الهوبيت من على الشجرة.

ورغم أن بطلنا ببيلبو لم يفهم ما قيل فسأخبرك بما سمعه جانديف : الوارج والغيلان عادة ما تساعد بعضها البعض في حلف شرير فالغيلان لا تغامر بالإبتعاد كثيرا عن جبالها ما لم يتم إخراجهم منها ليجتثوا عن وطن جديد أو حين الزحف للحرب وهو الأمر الذي يسعدني أن أقول أنه لم يحدث منذ زمن بعيد لكن في هذه الأيام اعتادوا في بعض الأحيان أن ينطلقوا في غارات خاصة للحصول على الطعام أو العبيد الذين يعملون بدلا منهم وعندها يطلبون مساعدة الوارج مقابل نصيب من الغنائم وأحيانا يركبون فوق الذئب كما يفعل البشر مع الخيول ويبدو أنه كان مخططا في هذه الليلة بالذات لغارة ضخمة للغيلان وقد أنت الذئب لمقابلتهم لكن الغيلان تأخرت بلا شك بسبب موت الغول الأكبر وكل الفوضى التي أحدثها الساحر والأقزام وبيلبو حيث على الأرجح مازال الغيلان يطاردونهم.

ورغم المخاطر الكثيرة في هذه الأرض البعيدة فقد عاد لها الرجال الشجعان قادمين من الجنوب يقطعون الأشجار ويبنون لأنفسهم أماكن للعيش عند الغابات الأكثر بهجة من هذه وعند شواطئ الأنهار وكان هناك الكثير منهم وكانوا شجعانا وجيدي التسليح لذا فحتى الوارج تخشى مهاجمتهم إذا كانوا في جماعة كبيرة أو في ضوء النهار لكن الآن خططوا بمساعدة الغيلان لمهاجمة بعض القرى القريبة من الجبال أثناء الليل وإذا ما نجحت خططهم فلن يبقى فيها أحد حين يتركونها في الصباح الكل سيقتل إلا الذين يحفظهم الغيلان من الذئب ويأخذونهم أسرى إلى سجون الكهوف.







كان هذا الحديث مخيفا ليس فقط بسبب الهول الذي سيلحق بالحطابين الشجعان ونساءهم وأطفالهم ولكن أيضا بسبب الخطر المحدق بجاندلف ورفاقه فقد كانت الوارجات غاضبة ومتحيرة بسبب وجودهم هنا فوق الأشجار في مكان لقاءهم الخاص وقد ظنهم أصدقاء للحطابين وقد أتوا للتجسس عليهم وسينقلون خطتهم للوادي محذرين الناس وعندها سيقابل الغيلان والوارج بمعركة مهولة بدلا من اصطياد الأسرى والتهام البشر أثناء استيقاظهم المفاجيء الفزع من النوم لذا فلم تكن عند الذئاب نية للرحيل وترك أولئك الذين على الأشجار يهربون على الأقل ليس قبل الصباح وقبل هذا بكثير سيكون جنود الغيلان قد أتوا - على حد قولهم - من الجبال وسيتسلقون الأشجار أو يقطعونها. الآن تستطيع أن تفهم سبب الرعب الذي دب في قلب جاندلف أثناء سماعه لعواءهم ونباحهم رغم كونه ساحرا، وبدأ يشعر أن موقعهم حرج للغاية وربما لا يستطيعون الفرار منه أبدا وفي كل الأحوال لم يكن ينوي أن يترك الأمر ينتهي كما يخططون رغم أنه لم يكن في يده الكثير ليفعله وهو ملتصق بشجرة عالية تحيط بها الذئاب من كل مكان فجمع أكواز الصنوبر الضخمة من الفروع ثم أشعل أحدها بنار زرقاء ساطعة وألقاه وسط حلقة الذئاب ليسقط على ظهر أحدها وسرعان ما أمسكت النار بفروته الصوفية فأخذ يتلوى ويصرخ رعبا ثم قذف جاندلف كوزا آخر على ذئب آخر وتوالى القذائف بعضها بلهب أزرق وأخرى بلهب أحمر وأخرى بأخضر تنفجر على الأرض وسط الدائرة معطية شرارات ملونة ودخان وواحدة كبيرة مخصوصة أصابت الذئب القائد في أنفه ليقفز في الهواء عشرة أقدام وأخذ يجري في دوائر يعرض ويخمش حتى في الذئاب الأخرى بكل غضبه وخوفه.

هلل الأقزام وبيلبو وصاحوا أما الذئاب فكان غضبها أشد من أن يرى والهيح الذي أحدثوه ملاً الغابة فالذئاب دوما تخاف من النار لكن هذه كانت أكثر النيران فزعا وأقلها احتمالا إذا أصابت شرارة فروهم فإنها تلتصق به وتحرقه وما لم يتمرغوا سريعا يشتعلون بالكامل وسرعان ما انشغل كل الذئاب في الساحة بالتمرغ ليطفئوا الشرار الملتصق بظهورهم بينما أولئك الذين احترقوا يجرون ويعوون وينقلون النار لغيرهم حتى طاردهم أصدقائهم بعيدا ليفروا أسفل المنحدرات يعوون ويتأوهون باحثين عن ماء.

"ما كل هذا الضجيج في الغابة هذا المساء؟" قالها سيد النسور الذي كان يجلس وهو يبدو أسودا في ضوء القمر على قمة ذروة صخرية في حافة حادة شرق الجبال "اسمع أصوات الذئاب! هل أشعل الغيلان النار في الغابة؟"

وحلق في الهواء وفورا أتى اثنان من حرسه من كلا الجانبين أتى من الصخور يتبعونه وأخذوا يدورون في السماء ينظرون لساحة الوارج كبقعة صغيرة بعيدا جدا أسفلهم لكن للنسور عيون حادة ترى من مسافة هائلة الأشياء الضئيلة وسيد نسور الجبال الضبابية له عيانان قادرتان على التحديق في الشمس دون أن تطرف وأن ترى أرنب يتحرك على الأرض تحته بميل حتى في ضوء القمر ولهذا فرغم أنه لم يقدر على رؤية أولئك المختبئون في الأشجار فقد استطاع أن يرى



ما يسبب ضجيج الذئاب ويرى الشرارات الصغيرة وأيضا رأى انعكاس ضوء القمر على رماح وخوذات الغيلان وأيضا زحف خطوط طويلة من الشعب الشرير إلى أسفل سفوح التل من بابهم وتخرق الغابة ليست النسور بالطيور الطيبة وبعضها جبان وقاسي لكن السلالة القديمة في الجبال الشمالية كانت الأعظم بين الطيور جميعا كانوا فخورين وأقوياء ولهم قلوب نبيلة ولا يحبون الغيلان أو يخشونهم وحين يلاحظون أي حركة لهم - وهو أمر نادر لأنهم لا يأكلون تلك المخلوقات - يحلقون فوقهم ويجبرونهم على العودة مذعورين إلى كهوفهم ويوقفون الشر الذي يفعلونه أيا كان ولذا فالغيلان تخشى النسور وتكرهها لكن لا يقدر أن يبلغوا مقاعدهم الشامخة أو





طردهم من الجبال.

الليلة كان سيد النسور كان ممتلئا بالفضول ليعرف ماذا يحدث لهذا استدعى نسورا أخرى كثيرة لتساعده وحلقوا من الجبال ليدوروا في حلقات بطيئة إلى أسفل وأسفل نحو حلقة الذئاب ومكان لقاءهم بالغيلان.

وكان شيئا طيبا أن يفعلوا فقد كانت أمورا رهيبية تحدث في الأسفل الذئاب التي أمسكت بها النار انتشرت في الغابة لتشتعلها في أكثر من مكان في حر الصيف وفي شرق الجبال حيث تندر الأمطار والأوراق الذابلة تتبعها الفروع والأكوام الكبيرة لأشواك الصنوبر وهنا وهناك أشجار مية سريعا كلها ستشتعل كان كل ماحول ساحة الوارجات المشتعلة يقفز لكن الذئاب التي تحرس الأشجار لم تتركها وقد استبد بها جنون الغضب وتدور تعوي حول الجذوع وتلعن الأقرام بلغتها المخيفة وأسننتها متدليلة للخارج وعيونها متأججة وحمراء بعنف كاللهيب وفجأة أتت الغيلان تصيح وقد ظنوا أن هناك معركة مع الحطابين لكنهم لم يفهموا ما حدث بعضهم في الحقيقة جلس



وأخذ يضحك وآخرون لوحوا برماحهم وقرعوا دروعهم بنصالهم فالغيلان لاتخشى النار وسرعان ما كانت لهم خطة ظنوها مسلية فالبعض ذهب ليجمع كل الذئاب في قطيع واحد والبعض ذهب يكوم السرخس والحطب حول جذوع الأشجار وآخرون هجموا يضربون ويطعنون ويضربون ويطعنون حتى أطفئوا كل النيران لكنهم لم يطفئوا تلك القريبة من الأشجار التي يحتمي بها الأقرام بل غذوها بالأوراق الجافة والحطب والفروع الجافة لتحيط حلقة من النار والدخان بالأقرام حلقة حرصوا على

ألا تمتد للخارج لكن تنغلق ببطء حتى بدأت النار تتلمس الوقود المكوم تحت الأشجار وملا الدخان عين بيلبو وأحس بحرارة النار وعبر الضباب رأى الغيلان ترقص حولها في حلقات كما يفعل الناس حول نيران مخيمات منتصف الصيف وخارج حلقة الرقص محاربون مسلحون بالفؤوس والرماح يبقون الذئاب على مسافة كافية تراقب وتشاهد واستطاع أن يسمع أغنية مريعة يغنيها الغيلان

""خمسة عشر طيرا في خمسة أشجار ملتهبة

أثيرت ريشهم في نسمة نارية!

لكن، طيور ضئيلة مضحكة، ليس عندهم أجنحة!

ياه ماذا يجب أن نفعل بتلك الأشياء القليلة المضحكة؟

شواءهم أحياء، أو طبخهم في القدر؛

اقلهم، اغلهم وكلهم بحرارة؟"

ثم توقفوا وصرخوا:

"طيري بعيدا أيتها الطيور الضئيلة بعيدا! طيري إذا

قدرت أن تفعلي!

اهبطي أيتها الطيور الضئيلة،

أو ستشون في أعشاشكم!

غن، غن يا طيور ضئيلة!

لماذا لا تغني؟! لم؟"

رد عليهم جاندلف صارخا "إذهبوا بعيدا يا صبيان! هذا ليس وقت أعشاش الطيور كما أن

الأطفال الأشقياء الذين يلعبون بالنار يعاقبون!"

قالها ليغصديهم ويريهم أنه ليس خائفا منهم رغم أنه بالطبع كان خائفا - رغم كونه ساحرا- لكنهم

تجاهلوه واستمروا في الغناء:





"احرق احرق الشجر والسرخس  
اذبله واحرقه! مشعل الفشل  
أن يضيء الليل لبهجتنا،  
يااه هيا

اخيزهم وحمصهم، اقلهم واشوهم  
حتى تلتهب الذقون وتسيح العيون  
تفوح رائحة الشعر، ويتشقق الجلد  
سمن ذائب، و عظم أسود  
في الرماد يرقد  
تحت السماء!

ستموت الأقرام جدًا،  
و يضيء الليل لبهجتنا،  
يااا هيا

ياااا هاااا ربيي هيبببب  
هووي يااا!"

وعند هذه الهوي يااا وصل اللهب لأسفل شجرة جاندلف وفي لحظة انتشر للباقيات وأمسكت النار في اللحاء فتسلق جاندلف لقمة شجرته مطلقا تلك الومضات الشبيهة بالبرق من عصاه وقد استعد للقفز فوق رماح الغيلان ورغم أن في هذا نهايته فسيقضي على الكثير منهم قبله حين يندفع بينهم كالصاعقة لكنه لم يقفز أبدا.

عند هذه اللحظة تحديدا سيد النسور حلق لأسفل ممسكا إياه بين مخالبه وذهب بعيدا وانطلقت صيحات الغضب والمفاجأة من الغيلان بأعلى صراخ على سيد النسور الذي بدأ جاندلف يحدثه الآن ليعود للطيور الضخمة التي تتبعه لتهبط كظلال عملاقة سوداء لتتبرم الذئاب وتصر أسنانها وتصرخ الغيلان وتدب بأقدامها وتقذف رماحها الثقيلة في الهواء بلا جدوى وفوقهم تحلق النسور لتقوم الهجمة المظلمة لأجنحتها بإلقائهم أرضا وإجبارهم على الرحيل ومزقت مخالبهم وجوه الغيلان بينما قامت بعض الطيور الأخرى بالهبوط لقمم الأشجار والإمساك بالأقرام الذين ارتفعوا بأعلى كثيرا مما كانوا يجروا.

ببيلبو الصغير المسكين كاد أن يترك خلفهم مرة أخرى! لكنه نجح في الإمساك بقدم دوري بينما دوري كان آخر من أنقذوه وطاروا جميعا فوق الفوضى والحريق وحلق ببيلبو في الهواء وذراعيه يكادا أن ينكسرا وبعيدا في الأسفل الغيلان والذئاب تنتشر في أنحاء الغابة وبعض النسور مازالت تحلق في سماء المعركة وصعد اللهب فجأة للفروع العليا ليرتفع لسان هائل من اللهب وتتحطم الأشجار وتسقط في النار لقد نجا ببيلبو في اللحظة الأخيرة!

وسرعان ما خفتت أضواء النار لتبدو كمصباح أحمر في أرضية سوداء وهاهم يرتفعون في السماء في دوائر قوية محلقة لم ينس ببيلبو أبدا هذا التحليق متشبها بكعب دوري وقد أخذ ينوح "ذراعي! ذراعي!" فيتذمر دوري "قدمي المسكينتان! قدمي المسكينتان!" كان الارتفاع يجعل ببيلبو يشعر بالدوران وفي أفضل الأوقات اعتاد أن ينحرف بسرعة إذا ما نظر من أعلى جرف صغير ولم يحب أبدا السلالم أو تسلق الأشجار - لكنه لا يمانع في استخدامها للنجاة من الذئاب! - ولذا فلك أن تتخيل كم سبحت رأسه الآن عندما نظر لأسفل من بين أقدامه المتدلية ويرى الأراضي المظلمة الشاسعة أسفله مضاءة هنا وهناك بضوء القمر المنعكس على مرتفع صخري أو مجرى مائي في السهول

القمة الشاحبة للجبال أخذت في الاقتراب والتتواءات الصخرية اللامعة في ضوء القمر تبرز من الظلال السوداء وسواء كنا في الصيف أم لا فقد كان الجو باردا أغلق عيناه بقوة وقد أخذ في التساؤل هل سيصمد للنهاية أم لا ويتخيل ماذا سيحدث لو لم يصمد فشرع بالعثيان وقد انتهت الرحلة الجوية بالكاد في الوقت المناسب له قبيل أن تتراخي ذراعيه وترك كعب دوري وهو





يلهث ليسقط فوق المنصة الخشنة لوكر النسور وعندها رقد دون نبس شفة وكانت أفكاره مزيجا من الدهشة لنجاته من الحريق والخوف من أن يسقط من هذا المكان الضيق في الأعماق المظلمة من أيّا من الجانبين وكان يشعر بغثيان شديد في الحقيقة يعصف برأسه لأنه الآن قد مر بمغامرات مريعة لمدة ثلاثة أيام دون طعام ووجد نفسه يقول بصوت عال :

"الآن أعرف إحساس قطعة اللحم حين توضع على المقلاة ثم تلتقط فجأة بالشوكة لتلقى على الرف!"

رد عليه دوري "كلا لاتعرف! لأن اللحم يعرف أنه سيعود للمقلاة أجلا أو عاجلا كما أن لنا أن نأمل أنه لايجب تشبيه النسور بالشوكة!"

"أوه لا بالطبع لاوجه للمقارنة بين الطيور والشوكة"

قالها بيلبو بقلق وهو ينظر للطائر العملاق الجاثم بجواره وهو يتساءل ما هذه الحماقات التي يتفوه بها واما إذا ما اعتبرها النسور وقاحة فيجب ألا تكون وقحا مع النسور حين يكون حجمك حجم هوبيت وفي وكرهم ليلا! لكن النسور اكتفى بسن منقاره على الصخور وهندمة ريشه ولم يلق بالالا. وسرعان ما أتى نسر آخر :

"سيد النسور يطلب منكم إحضار سجنائكم للسطح العظيم"

ثم قفل عائدا بينما قام الآخر بالإمساك بدوري وطار تاركا بيلبو وحيدا تماما وكان عنده ما يكفي من القوة ليتساءل ماذا يعني هذا الرسول بقوله سجناء؟ وبدأ يفكر في أمر أن يمزق للعشاء كالأرنب حين يأتي دوره وعاد النسور ليمسكه بين مخالبه من مؤخرة معطفه ويطيّر هذه المرة لمسافة قصيرة وسرعان ما نزل بيلبو يرتعد من الخوف على سطح عريض من الصخور على جانب الجبل ولم يكن هناك طريق لأسفل غير الطيران بإستثناء القفز على حافة الهاوية وهناك وجد الآخرون مسندون ظهورهم للجبل وسيد النسور معهم يتحدث مع جاندلف وبدا أن بيلبو لن يؤكل اليوم إطلاقا فجاندلف وسيد النسور بدا أنهما يعرفان بعضهما مسبقا وربما حتى يتبادلان ألقاب الصداقة. في الحقيقة جاندلف الذي اعتاد المجيء للجبل أسدى من قبل خدمة للنسور وعالج سيدهم من جرح سهم ولذا كما ترى فإن كلمة سجناء تعني فقط السجناء الذين تم إنقاذهم من الغيلان وليس الذين أمسكهم النسور وبينما بيلبو يستمع للحديث مع جاندلف أدرك أنهم أخيرا سيهربون حقا وحقيقة من تلك الجبال المريعة وأنه يناقش مع سيد النسور أن يحملوه مع الأقزام وبيلبو لأسفل ويضعونهم على مسار رحلتهم في السهول التي بالأسفل ولم يكن سيد النسور ليأخذهم أبدا قرب أي مكان به بشر

"سيهاجمونا بأفواسهم ومقالعهم الكبيرة لأنهم سيظنوننا نسعى لغنمهم وفي أي وقت آخر سيكونون محقين. لا! نحن سعداء لإفساد رياضة الغيلان تلك وسعداء لرد المعروف لك لكننا لن نخاطر بأنفسنا من أجل الأقزام في السهول الجنوبية."

قال جاندلف "حسنا جدا! خذنا لأقصى ما تستطيع فنحن بالفعل مدينين لك بالكثير لكن في الوقت الحالي فنحن نكاد نموت من الجوع!"

قال بيلبو بصوت خافت لم يسمعه غيره "لقد قتلني الجوع بالفعل!"

قال سيد النسور "هذا أمر يمكن تدبيره"

فيما بعد أمكنك أن ترى نارا لامعة على ذلك السطح الصخري وظلال الأقزام تلتف حولها تقوم بالطبخ مصدرين رائحة شواء طيبة فقد أحضر النسور الحطب الجاف كوقود والأرانب والأرانب الوحشية وبعض النعاج الصغيرة وتولى الأقزام إعداد كل شيء فقد كان بيلبو أضعف من أن يساعد وعلى أي حال لم يكن بارعا في سلخ الأرانب أو تقطيع اللحم لإعتياده الحصول عليه جاهزا من الجزار معدا للطبخ جاندلف أيضا جلس مسترخيا بعد أن أدى دوره بإشعال النار بعد أن فقد أوين وجلوبين صندوق النفط فالأقزام لم تعتد أبدا على استخدام الكبريت.

وهكذا انتهت المغامرة في الجبال الضبابية وسرعان ما أحست معدة بيلبو بالراحة والامتلاء أخيرا وشعر أنه يستطيع النوم مرتاحا رغم أنه في الحقيقة كان يفضل رغيفا مع الزبد عن قطع اللحم المشوي ونام منكورا على الصخر القاسي مشخرا أكثر مما فعل في سرير الريش في حجره





الصغير بالوطن لكنه طوال الليلة كان يحلم أنه في الوطن ويتجول في حلمه بين كل حجراته المتعددة لا يستطيع العثور عليه أو تذكر شكله.





## الفصل (٧)

### النزل العجيب

في الصباح التالي استيقظ بيلبو وشمس الشروق في عينه وقفز ليرى ما هو الوقت ليضع غلايته ليكتشف فجأة أنه ليس في منزله على الإطلاق وجلس أرضا وهو يتمنى عبثا حماما وفرشاة لم يحصل عليهما هما أو الشاي والخبز مع القديد فقط لحم الأرانب البارد مع الضأن للإفطار وكان عليه بعدها الاستعداد لبداية جديدة.

هذه المرة سمح له بإعتلاء ظهر نسر والتشبث بما بين جناحيه واندفع الهواء في وجهه ليجبره على إغلاق عينيه بينما الأقزام يهتفون بتحيات الوداع ويعدون سيد النسور برد الجميل إذا ما استطاعوا وهكذا على ظهر خمسة عشر نسرا عملاقا من نسور الجبل انطلقوا بينما الشمس مازالت على حافة المشرق في صباح بارد والضباب يغطي الأودية والجحور ويلتف هنا وهناك على رؤوس الجبال وقمم التلال وفتح بيلبو إحدى عينيه ليختلس النظر ليجد الطيور على ارتفاع



هائل والعالم بعيدا جدا أسفلهم والجبال تتراجع للخلف أسفلهم فأغلق عينه ثانية وزاد تشبثه فقال له النسر "لا تقرصني! لا داع لأن ترتعب كالأرنب حتى لو كان شكك يشبهه! هذا صباح جميل بريح هادئة ماذا يمكن أن يكون أجمل من الطيران؟"

أراد بيلبو أن يقول "حمام دافيء وإفطار متأخر يتبعه الاسترخاء في المرج" لكنه فكر أن من الأفضل الا يقول شيئا على الإطلاق وأن يقلل من تشبثه قليلا جدا! وبعد فترة لا بد أن النسور رأت النقطة التي سيبدءون منها رغم ارتفاعها العالي فقد بدأت في الانخفاض في دوائر ليهبطوا في مسار حلزوني ضخم وظلوا على هذا زمنا ثم خاطر الهوبيت أخيرا بفتح عينيه كانت الأرض تقترب أكثر وأكثر وتحتهم أشجار تبدو كالبلوط والدردار وأراضي عشبية واسعة ونهر يخترق كل هذا لكن يظهر من الأرض في مسار النهر الذي يتلوى حولها تنبت صخور عظيمة تبدو كاتل

الصخري أو قطعة مهولة رميت لأميال في السهول بواسطة أحد المردة وفوق هذه الصخرة هبطت النسور واحدا تلو الآخر وأنزلت راعيها وقالوا "وداعا أينما ارتحلتم نقول لوكركم أن يستقبلكم في نهاية الرحلة" وهذا قول مهذب عند النسور

فأجابه جانديلف "فلتجري الرياح تحت أجنحتكم لتحملكم حيث تبحر الشمس ويمشي القمر!" وهكذا تعرف أنت الرد الصحيح على تحيتهم.

وهكذا انفصلوا ورغم أنه بعد هذا أصبح سيد النسور ملكا على كل الطيور وارتدى التاج الذهبي وزعماء عشائره الخمسة عشر ارتدوا الأطواق الذهبية (مصنوعة من الذهب الذي أعطاه لهم الأقزام) لم يراهم بيلبو بعد ذلك أبدا باستثناء من بعد وهم على مسافة عالية في سماء معركة الجيوش الخمسة ولما كان هذا في نهاية قصتنا فلن نقول عنهم الآن أكثر من ذلك.

كان هناك فضاء مسطح على قمة تل الصخور ذلك وطريق محفور جيدا بدرجات كثيرة تقود للنهر عند مخاضة من صخرة مسطحة ضخمة تؤدي للأرض العشبية وراء النهر وكان يوجد كهف صغير حسن مفروش بالحصى عند سفح التل قرب المخاضة الصخرية وهنا اجتمعت الرفقة لتناقش ما الذي ستفعله بعد ذلك.

قال الساحر "كنت أسعى لأن أراكم جميعا سالمين عبر الجبال ما أمكنني هذا وبالسعي الجيد وبعض الحظ نجحنا في هذا في الحقيقة نحن على مسافة لا بأس بها أبعد شرقا من أقصى ما كنت





أنوي البقاء معكم فيه ففي النهاية هذه ليست مغامرتي ربما أتدخل فيها ثانية قبل أن تنتهي لكن الآن عندي أعمال أخرى تشغلني أنوي فعلها"

زمرج الأقرام وبدوا منزعين بينما بكى بيلبو فقد بدعوا يظنون أن جاندلف سيأتي معهم لنهاية الطريق وسيكون موجودا دائما كلما ألمت بهم المصاعب. وقال "أنا لن أختفي في هذه اللحظة بإمكانني منحكم يوما أو اثنين آخرين ربما أمكنني مساعدتكم في مأزقكم الحالي وأنا نفسي أحتاج لبعض المساعدة فليس عندنا طعام أو متاع أو أفراس لنركبها وأنتم لا تعرفون أين أنتم والآن يمكنني إخباركم بهذا أنتم على مسافة أميال قليلة شمال الطريق الذي كان يجب أن نتبعه إذا لم نكن غادرنا طريق الجبال بعجلة. هناك القليل للغاية من الناس يعيش في هذه الأنحاء ما لم يكن المزيد قد أتى منذ أن كنت هنا في المرة الأخيرة منذ عدة سنوات لكن هناك شخص ما أعرفه ليس بعيدا عن هنا هذا الشخص هو الذي حفر الدرجات في تلك الصخرة العظيمة الكاروك (Carrock) كما أظنه يسميها ولا يأتي هنا عادة بالتأكيد ليس في ضوء النهار وليس من المجدي أن ننتظره في الحقيقة سيكون خطرا للغاية فيجب أن نذهب ونعثر عليه وإذا سار كل شيء على ما يرام في لقاءنا فأظن أنني سأترككم وأتمنى لكم كما فعلت النسور السلامة أينما ذهبتم!"

توسلوا له ألا يتركهم وعرضوا عليه ذهب التنين والجواهر والفضة لكن ما كان هذا ليغير رأيه "سوف نرى سوف نرى! واعتقد أنني بالفعل استحققت بعضا من ذهب تنينكم حين تحصلون عليه"

بعد هذا توقفوا عن الرجاء وخلعوا ملابسهم واغتسلوا في النهر الذي كان ضحلا ورائقا وأرضيته صخرية عند المخاضة وحين جفوا في الشمس التي كانت الآن قوية ودافئة كانوا قد انتعشوا وإن كان بهم بعض الحزن والجوع وسرعان ما عبروا المخاضة - وهم يحملون الهوبيت - ثم بدعوا في المسير عبر أراضي العشب الطويلة وأسفل خطوط البلوط العريضة والرددار الطويلة.

سأل بيلبو حين سار جوار الساحر "ولم يسمى الكاروك؟"

"يسميه الكاروك لأن الكاروك هو كلمته التي يمنحها له هو يسمي الأشياء المماثلة الكاروكات وهذا هو الكاروك لأنه الوحيد هنا والقريب من منزله وهو يعرفه جيدا"

"من الذي يسميها هكذا؟"

"الشخص الذي قلت لكم عليه شخص عظيم للغاية يجب أن تكونوا جميعا مهذبين حين أقدمكم له. سأقدمكم ببطء اثنان تلو الاثنان كما أعتقد ويجب أن تحذروا لكي لا تضايقوه وإلا فالله وحده يعلم كم ستكون العاقبة يمكنه أن يكون مرعبا حين يغضب رغم أنه طيب بما يكفي لتداعبه ومع هذا أحذركم أنه سريع الغضب"

تجمع الأقرام حوله حين سمعوا حديث الساحر لبيلبو وسألوه "هل هذا هو الشخص الذي كنت تحدثنا عنه الآن؟ ألم تستطع إيجاد شخص أكثر هدوءا؟ ألا تستطيع التوضيح أكثر قليلا؟" إلى آخره

"نعم بالتأكيد هو! لا لم أجد! وأنا أوضح لكم بمنتهى الحذر" كانت هذه إجابته المتتابعة وأكمل "لو لكم أن تعرفوا المزيد فاسمه بيورن (Beorn) وهو قوي جدا كما أنه مبدل جلود".

سأله بيلبو "ماذا! تاجر فراء! أهو ذلك الرجل الذي يسمى الأرانب جراء حين لا يحول فرائهم لسناجب!"

قال جاندلف "ي إله السماوات! كلا، كلا، كلا، كلا! لا تكن أحقا سيد باجينز إذا أمكنك هذا! وباسم كل العجائب استحلفك ألا تذكر كلمة تاجر فراء مادمت على بعد مائة ميل من منزله ولا بساط أو قبعة صوفية أو ذيل الأكام (الإسورة) أو الياقة أو القفاز أو أي من هذه الكلمات التعيسة! هو مبدل جلود أي يبدل جلده أحيانا هو دب أسود ضخم، أحيانا هو رجل مشعر أسود قوي عظيم مع أسلحة ضخمة وحية عظيمة. ولا أستطيع أن أخبرك بالمزيد رغم أن هذا يجب أن يكون كافيا. البعض يقول أنه دب منحدر من سلالة الدببة العظيمة القديمة من الجبال التي عاشت هناك قبل مجيء الجبابرة والمردة. آخرون يقولون أنه بشر من سلالة البشر الأوائل قبل أن يأتي سماوج وغيره من التنانين إلى هذا الجزء من العالم وقبل أن يأتي الغيلان للتلال من





الشمال لأستطيع القول رغم تصوري أن الأخيرة هي القصة الحقيقية وهو ليس من نوع الأشخاص الذين تستطيع سؤالهم.

وفي جميع الأحوال هو لا يخضع لسلطان أحد غير نفسه يعيش في غابة بلوط وعنده منزل خشبي ضخم وكبشر فهو يحتفظ بالماشية والخيول التي تكاد تكون في روعته هو نفسه يعملون له ويتحدثون إليه ولا يأكلهم أبدا كما لا يصيد أو يأكل الحيوانات البرية ويربي الكثير والكثير من خلايا النحل الشرس القوي ويعيش عادة على الشمع والعسل. أما حين يكون دبا فهو يذهب بعيدا في البرية شاهده مرة وحيدا تماما يجلس على قمة الكاروك في الليل يراقب القمر يغيب خلف الجبال الضبابية وسمعته يزمجر بلسان الدببة "سيأتي اليوم حين يفنون وعندها أعود" وهو ما يجعلني أعتقد أنه أتى ذات يوم من الجبال"

كان الآن عند بيلبو والأقزام الكثير ليفكروا فيه لذا لم يسألوا أية أسئلة أخرى كان أمامهم مسافة كبيرة ليسيروها صاعدين ومنحدرين عبر الأودية وهم متناقلون فالجو يزداد حرارة وفي بعض الأحيان يرتاحون أسفل الأشجار وأحس بيلبو أنه جائع لدرجة أنه يستطيع أن يأكل جوز البلوط إذا كان قد نضج بعضه بما يكفي ليسقط على الأرض.

كان الوقت منتصف الظهيرة حين لاحظوا أن رقعا كبيرة من الزهور بدأت في التفتح كل نوع يزهر معا في وقت واحد كما لو كان مزروعا خاصة النفل والنفل الأرجواني وأبسطة واسعة من نفل ذو رائحة العسل الجميل وكان هناك طينينا وقرقعة ودندنة تملأ الهواء والنحل مشغولا في كل مكان وياله من نحل! لم ير بيلبو له مثيلا أبدا

دار ذهنه "لو أن إحداها لدغنتني فسأنتفخ لضعف حجمي " كانوا أكبر من الدبابير. والذكور أكبر من إبهامك، بقدر كبير، والأشرطة الصفراء على أجسامهم السوداء الداكنة تلمع مثل ذهب نارٍ قال جاندلف "إننا نقترّب نحن على حافة مناخه "

بعد برهة أتوا لنطاق من شجر بلوط عتيق وعال وورائه سياج شائك مرتفع لا تستطيع أن تزحف أسفله أو تنتظر خلاله. قال جاندلف للأقزام:

"من الأفضل أن تنتظروا هنا وحين أناديكم أو أصفر لكم ابدؤوا في اتباعي وستجدون الطريق الذي سرت فيه لكن فقط كأزواج افهموا هذا بين كل اثنين خمس دقائق بومبر اسمنكم وسيحسب كزوج وحده من الأفضل أن يأتي وحده في النهاية هيا يا سيد باجينز هناك بوابة في مكان ما هنا" وهكذا انطلق بجوار السياج أخذا الهوبيت المرتعب معه.

وسرعان ما وصلا إلى بوابة خشبية عالية وواسعة يستطيعان أن يريا خلفها حديقة ومجموعة من المباني الخشبية المنخفضة بعضها مسقوف ومصنوع من فروع غير مهذبة وحظائر وإسطبلات وسقائف وبيت خشبي طويل منخفض، داخل السياج الكبير ناحية الجنوب صفوف تلو الصفوف من خلايا النحل لها قمم مخروطية من القش والنحل العملاق يصدر ضجيجا وهو يطير هنا وهناك ويتزاحم في الدخول والخروج ليملاً الهواء.



دفع الساحر والهوبيت البوابة الثقيلة ذات الصرير ليسيرا عبر مدق عريض متجه للمنزل بعض الخيول -كانت لامعة للغاية ومجهزة جيدا- اسرعت نحوهما تنظر لتعرف نواياهما بوجوه ذكية للغاية ثم جرت عائدة للمباني.

قال جاندلف "لقد ذهبت لتخبره بمجيء غرباء"

وسريعا ما أتيا لفناء ثلاثة من جدرانه مكونة من المنزل وجناحيه الطويلين

وفي منتصفه جذع بلوط عملاق بجواره الكثير من الفروع المقطوعة يقف بجواره رجل ضخم بشعر ولحية سودين كثيفين وذراعين ضخمين عاربيين وقدمين ممثلتين بالعضلات كان يرتدي رداً قصيرا من الصوف يصل لركبتيه ويستند على بلطة ضخمة والخيول بجواره حيث تصل أنوفهم لأكتافه

قال الرجل لخيوله "هه هاهم ذا لا يبيدون خطرنا بامكانكم الذهاب"

وضحك ضحكة هائلة مريعة متدفقة منزلا بلطته ومتقدما نحوهما وسألها بخشونة " من أنتما وماذا تريدان؟"







واقفا امامهما وقد بدا أعلى بكثير من جاندلف أما بيلبو فكان يستطيع بسهولة أن يعبر بين قدمي الرجل دون أن يحتاج لخفض رأسه كي يتحاشى حافة الرداء البني!



قال الساحر " أنا جاندلف"

زمرج الرجل "لم اسمع عنه من قبل وماذا عن رفيقك الضئيل " وانحنى ليعبس في وجه الهوبيت برموشه الكثة

قال جاندلف "هذا هو السيد باجينز هوبيت من عائلة نبيلة ذات سمعة طيبة " انحنى بيلبو ولم يكن له قبعة ليخلعها وكان متألماً لإدراكه انه فقد الكثير من أزرار سترته أكمل جاندلف "أنا ساحر وقد سمعت عنك وإن كنت لم تسمع عني لكن ربما سمعت عن قريبي الطيب راداجاست (Radagast) الذي يعيش قرب الحافة الجنوبية لميركود؟" قال بيورن "نعم ليس رفيقا سيئا كالسحرة كما اظنه، لقد اعتدت رؤيته بين وقت والتالي حسنا أنا أعرف الآن من أنت أو من تزعم أنه أنت فماذا تريد؟"

"لأصدقك القول فقد فقدنا متاعنا وتقريبا فقدنا طريقنا ونحن في أشد الحاجة للمساعدة أو على الأقل للنصيحة ويمكنني القول أننا مررنا بوقت عصيب حقا مع الغيلان في الجبال." قال الرجل الكبير بلهجة أقل خشونة "غيلان؟ أووه إذا فأنت واجهت المتاعب معهم أليس كذلك؟ لماذا مررت بجوارهم إذا؟"

"لم نقصد هذا لقد فاجئونا أثناء الليل ونحن نعبر في طريق لا بديل له فقد أتينا من الأراضي الغربية لهذه البلاد. إنها قصة طويلة"



"إذا فمن الأفضل أن تأتي للدخل وتحكي لي بعضها ما لم تكن ستأخذ اليوم بطوله" قالها الرجل وهو يقودهم لباب داكن يؤدي عبر الفناء للمنزل .

تبعا ليجدا نفسيهما في قاعة واسعة بها مكان للنار في منتصفها ورغم أنهم كانوا صيفا إلا أن الحطب كان مشتعلا والدخان يتصاعد ليسود السقف أثناء بحثه عن مخرج فلا يجد إلا فتحة في السقف كانت هي والنار مصدر الضوء الوحيد





لتلك القاعة المعتمدة ووصلوا إلى باب أصغر يؤدي إلى ما يشبه الشرفة منتصبية على أعمدة خشبية كلا منها مصنوع من جذع شجرة واحد، كانت مقابلة للجنوب ومازالت دافئة ويملؤها ضوء الشمس الغاربة المنحدرة نحوها وتسقط أشعتها الذهبية على زهور الحديقة المنتصبية لأعلى.

وهناك جلسوا على أرائك خشبية بينما بدأ جاندلف يحكي قصته بينما بيلبو يؤرجح رجليه المتدلّيتان وينظر للزهور في الحديقة متسائلا عما يمكن أن تكون أسماؤها لأنه لم ير من قبل أكثر من نصفها.

قال الساحر "لقد أتيت من الجبال مع صديق أو اثنين ....."  
قاطعهم بيورن "أو اثنين؟ أنا لا أرى إلا واحدا وهو صغير مع هذا!"  
"حسنا لأكون صادقا لم أحب مضايقتك بالكثير منا حتى أرى إن كنت مشغولا سأنادي إن لم تمنع!"  
"فلتفعل فلتنادي."

وهكذا أطلق جاندلف صغيرا حادا وفورا أتى ثورين ودوري حول المنزل من الحديقة وانحنيا نحوهما فقال بيورن "واحدا أو ثلاثة تعني كما أرى لكنهم ليسوا هوبيت إنهم أقزام"  
قال القرمين "ثورين أو كينشيلد في خدمتك! دوري في خدمتك!"  
قال بيورن "لست في حاجة لخدمتكما شكرا لكني أتوقع أن تحتاجوا لخدماتي أنا لا أحب الأقزام كثيرا لكن لو صح أنك ثورين ابن ثراين ابن ثرور كما أعتقد وهؤلاء رفاقك المحترمون وأنتم أعداء للغيلان ولا تريدون إحداث أي أذى في أراضي هل تتوون هذا بالمناسبة؟"  
قال جاندلف "إنهم في طريقهم لأراضي أجدادهم بعيدا في الشرق وراء ميركوود لقد كانت صدفة بحتة أن نمر بأرضك كنا نمر في الطريق العالي الذي من المفترض أن يؤدي بنا إلى الطريق الواقع جنوب أراضيكم حين هجومنا من الغيلان الشريرة كما كنت أنوي إخبارك"  
قال بيورن الذي لم يتمتع أبدا بالتهذيب "استمر في إخباري إذا"  
"كانت هناك عاصفة مريجة ومردة الصخور خرجت تتقاذف الصخور وعلى قمة الممر إلتجانا لكهف أنا والهوبيت والعديد من رفاقنا ....."  
"هل تسمي الاثنين عديدا؟"

"حسنا في الحقيقة كان هناك أكثر من اثنين"  
"وأين هم هل أكلوا أو قتلوا أو عادوا لبيوتهم؟"  
"حسنا لا لكن يبدو أنهم لم يأتوا جميعا حين صفرت لهم خجولين كما أظن يخشون أن يكونوا كثيرين على ضيافتك"

زمجر بيورن "هيا صفر مرة أخرى أنا وسط حفلة وواحد أو اثنين آخرين لن يشكلا فارقا"  
صفر جاندلف لكن نوري وأوري أتيا قبل أن ينهي صفيحه فقد أخبرهم جاندلف أن يأتوا أزواج كل خمس دقائق

قال بيورن "أهلا لقد أتيتم سريعا أين كنتما مختبئين؟ تعالا يا عفريتي العلية!"  
شرعا في القول نوري وأوري في خدمتك لكنه قاطعهما "شكرا حين أحتاج لمساعدة فسوف أطلبها منكما اجلسا ودعونا نستمر في تلك الحكاية وإلا فسيأتي وقت العشاء قبل نهايتها"  
أكمل جاندلف "ما أن بدأنا في النوم فتح شق في نهاية الكهف ودخل الغيلان وأمسكوا بهوبيت والأقزام وقافلة أفراسنا ....."  
"قافلة من الأفراس؟ هل أنتم سيرك متنقل أم كنتم تحملون الكثير من البضائع أم لعلك تسمي الستة قافلة؟"

"آه لا في الحقيقة كنا أكثر من ستة وحسنا ها هما اثنان آخران منا " ففي هذه اللحظة بالين ودوالين ظهرا وانحنيا بشدة حتى أن لحيتهما لامستا الأرض الحجرية تجهم الرجل الكبير في البداية لكنهما بذلا قصارى جهديهما ليبدوا في أفزع درجات التهذيب واستمرا في الإنحناء





والإنخفاض والإنثناء والتقوس والتلويح بقلنسوتيهما قبالة ركبتيهما كما تقضي آداب الأقرام حتى زال عبوسه وغرق في ضحك مكتوم فقد بديا مثيرين للسخرية "قافلة أليس كذلك؟ قافلة لطيفة ومضحكة تعال يا رجلاي المرحين وما اسميكما وأنا لا أريد خدماتكما الآن فقط اسميكما ثم اجلسا وكفا عن التلويح"

قالا وهما لا يكادا يجروان على عدم عرض خدمتيهما "بالين ودوالين" وجلسا على الأرض وقد بدا عليهما المفاجأة

قال بيورين للساحر "الآن أكمل"

"أين كنت أهه نعم لم يتم إمساكي فقد قتلت غول أو اثنين بومضة.."

"جيد من الجيد أن تكون ساحرا. ثم؟"

"وتسللت من الشق قبل أن يغلق وتبعتهم لأسفل للقاعة الرئيسية التي كانت مزدحمة بالغيلان وكان الغول العظيم هناك مع ثلاثين أو أربعين حارسا مسلحا وقلت لنفسى أنه حتى لو لم يكونوا جميعا مقيدين معا فماذا يمكن لدسته أن تفعل في مواجهة الكثيرين؟"

"دسته؟ هذه أول مرة أسمع فيها أن الثمانية تسمى دسته أم أنه مازال هناك المزيد من العفاريث لم تخرجها من علبتها بعد؟"

"حسنا يبدو أن هناك زوج آخر منها قد أتى الآن فيلي وكيلى على ما يبدو" قالها جاندف بينما أتى الاثنان بيتسمان وينحنيان

قال بيورن " هذا يكفي اجلسا واصمنا الآن أكمل يا جاندف"

فأكمل جاندف حتى أتى للقتال في الظلام واكتشافهم للبوابة السفلية وخوفهم حين اكتشفوا أن السيد باجينز كان غائبا "قمنا بإحصاء عددنا فلم نجد الهوبيت وجدنا فقط نحن الأربعة عشر موجودين"

"أربعة عشر! هذه أول مرة أسمع فيها أن واحد مفقود من عشرة يعطي أربعة عشر أو أن هناك أسماء أخرى من رفقتك لم تخبرني بها "

"حسنا بالطبع أنت لم تر أوين وجلوين بعد فليباركني الله هاهما ذا أتمنى أن تغفر لهما الإثقال عليك"

"أووه دعهما يأتيا أنتما الاثنان اجلسا لكن يا جاندف حتى الآن يوجد أنت وعشرة من الأقرام الى جانب المفقود وهو ما يجعلكم أحد عشر وليس أربعة عشر ما لم يكن السحرة يقومون بالعد بطريقة مختلفة عن البشر لكن مع هذا أرجوك أكمل الحكاية "

لم يظهر بيورن هذا بقدر ما يستطيع لكنه أصبح شديد التشوق لسماع حكايتهم في الأيام الخوالي كان يعرف كل جزء من الجبال وصفه جاندف وهز رأسه وهمهم حين سمع عن ظهور الهوبيت مرة أخرى وعن زحفهم عبر المنحدر الحجري وعن حلقة الذئاب في الغابة وحين أتى جاندف لتسلقهم الأشجار بينما الذئاب أسفلهم قفز وتقدم وهدر بصوته "أتمنى لو أنني كنت موجودا كنت سألقنهم ما هو أشد من الألعاب النارية "

قال جاندف وهو سعيد أن حكايته أعطت انطبعا طيبا "حسنا كنت أبذل أقصى ما في وسعي كنا هناك والذئاب تحت أقدامنا والغابة تلتهب في أكثر من مكان حين نزل الغيلان من التلال واكتشفوا وجودنا فصرخوا بابتهاج وغنوا أغاني تصورنا بخمسة عشر طائرا في خمس أعشاش محترقة"

زمجر بيورن "ياللسماء لا تزعم أن الغيلان لا تستطيع العد فهم يستطيعون والاثنى عشر ليسوا خمسة عشر وهم يعرفون هذا "

"وكذلك أنا كان هناك معنا بوفور وبيفور أيضا لم أجرؤ على تقديمهما لك من قبل لكن ها هما أتيا"

وأتى بوفور وبيفور "وأنا!" لهث بومبر مندفعا خلفهم فقد كان سميئا، وأيضا غاضبا في من أن يترك للأخر ورفض أن ينتظر خمسة دقائق، و تبع فورا بعد الإثنان. "حسنا، الآن هناك خمسة





عشر منكم؛ و حيث أن الغيلان تقدر أن تعدّ، أنا أتصوّر كلّ الذي كان هناك فوق الأشجار موجود هنا. الآن ربّما نقدر أن ننتهي من هذه القصة بدون أيّ مقاطعات أخرى." رأى السيد باجينز كم كان ذكياً جانديلف. كانت تلك المقاطعات حقاً جعلت بيورن أكثر تشوقاً للقصة والقصة منعتهم من طرد الأقرام في الحال مثل المتسولين المشبوهين. لم يدع أبداً أحداً لبيته، قدر استطاعته. كان له القليل جداً من الأصدقاء وعاشوا بعيداً بما يكفي؛ ولم يدع من هؤلاء أكثر من زوج في وقت واحد. الآن عنده خمس عشرة غريباً متربعون في شرفته! و حين كان الساحر قد أنهى حكايته وكان ذكر إنقاذ النسور لهم و كيف أحضروهم للكاروك، كانت قد سقطت الشمس خلف قمم الجبال الضبابية وكانت الظلال طويلة في حديقة بيورن.

"حكاية جيّدة جداً! الأفضل التي سمعتها لمدة طويلة. إذا قدر كلّ المتسولون أن يحكوا واحدة جيّدة مثلها، ربّما وجدوني أرحم. ربّما قد تكون مختلفة بالكامل، طبعاً، لكن تستحقّ عشاءاً للقصة والكل أيضاً. دعونا نعد شيء ما يأكل!"

"نعم، نرجوك!" قالوا كلهم معاً. "شكراً جزيلاً!"

في القاعة التي كانت مظلمة تماماً الآن. صقّ بيورن بيديه، وفي الحال هرولت أربع أفراس بيضاء جميلة والعديد من الكلاب ذات الأجسام الرمادية الكبيرة الطويلة. وقال بيورن شيء ما إليهم في لغة شاذة كما لو أن الضجّة الحيوانية تستخدم في الحديث. خرجوا مرّة ثانية وسريعاً رجعوا يحملون مشاعلاً داخل أفواههم ووضعوها على رف منخفض على الأعمدة في القاعة عند الموقد المركزي. تقدر الكلاب أن تقف على أرجلها الخلفية حين تريد وتحمل الأشياء بأرجلها الأمامية. بسرعة أخرجوا حطباً ومنضدة وحوامل من الجدران الجانبية ووضعوها بالقرب من النار.

ثم سمعوا مائة مائة مائة!! وأنت خرفان بيضاء كالتلج يقودوها كبش كبير أسود كالفحم واحد يحمل قماشاً مطرزة حوافه بأشكال الحيوانات وأخرون يحملون صوان عريضة عليها أطباق وصحون وملاعق وسكاكين خشبية وسرعان ما أخذتها الكلاب لتضعها على المناضد التي كانت منخفضة للغاية حتى أنها كانت كافية لبيبلو ليجلس عليها مرتاحاً وقربهم فرس دفع اثنتان من المقاعد المنخفضة لها قاعدة عريضة وأرجل سميكة قصيرة لجانديلف و ثورين، بينما في أقصى النهاية وضع بيورن كرسيّ أسوداً كبيراً النوع نفسه جلس فيه وأرجله العظيمة بارزة بعيداً خارج الطاولة. كانت هذه كلّ الكراسي عنده داخل قاعته، وربما جعلها منخفضة مثل الطاولة لراحة الحيوانات العجيبة التي تخدمه. علام سيجلس الباقون؟ لم يكونوا منسيين. دخلت الأفراس مدرجة أجزاء مستديرة من الحطب تشبه الطبول ناعمة ومصقولة وارتفاعها منخفض بما يكفي حتى لبيبلو وسريعاً ما جلسوا جميعاً على مائدة بيورن الذي لم تر قاعته مثل هذا الحشد منذ سنوات عديدة. وهناك تناولوا العشاء أو الغذاء، الذي لم يحصلوا على مثيله منذ مغادرتهم المنزل البيتي الأخير في الغرب وودعوا إلرون.

كان ضوء المشاعل والنار يتراقص حولهم، وكان على الطاولة اثنتان من شموع شمع العسل الحمراء الطويلة. طوال الوقت أكلوا وبيورن بصوته المجلجل العميق يحكى حكايات البراري على هذا الجانب من الجبال، ولا سيّما عن الغابة الخطرة والمظلمة، تلك الممتدة بعيداً شمالاً وجنوباً على بعد يوم ركوباً أمامهم، بإستثناء طريقهم تجاه الشرق، الغابة الرهيبة ميركوود (Mirkwood). أصغت الأقرام وهزّت لحاها، لمعرفتهم أنّ عليهم حتماً المغامرة في تلك الغابة قريباً وأنّ بعد الجبال كان هذا أسوأ الأخطار التي يجب أن يمرّوا بها قبل أن يصلوا إلى قلعة النّئين. عندما انتهى العشاء بدؤوا حكاياتهم، لكن بدا أن بيورن يزداد خمولاً وأعطاهم القليل من الانتباه. تكلموا أكثر عن الذهب والفضة والجواهر وصياغة الأشياء والحدادة، ولم يظهر بيورن أنه يهتمّ بمثل هذه الأشياء: لم تكن هناك أشياء من الفضة أو الذهب في قاعته، فقط القليل من السكاكين المعدنية وهذا كل ما لديه. جلسوا طويلاً على الطاولة مع كووسهم الخشبية المملوءة بخمر العسل حتى تسلل الليل المظلم بالخارج. كانت النيران في منتصف القاعة غديت بالحطب الطازج وأطفئت المشاعل، وظلّوا جالسين على ضوء اللهب الراقص وأعمدة البيت الطويلة





خلفهم وظلمة جاقة على قمتها كأشجار الغابة. سواء ما كان سحريًا أو لا بدا لبيلبو أنه سمع صوت الرياح وسط الفروع من بين العرائض الخشبية ومعه نعيق اليوم. سريعًا ما بدأ يومئ مع النوم و بدت الأصوات تزداد بعدا، إلى أن استيقظ مع البداية: كان الباب العظيم قد صرّ ودوى. كان بيورن قد ذهب.

كان الأقزام يجلسون القرفصاء على الأرضية حول النار، وفي الوقت الحاضر بدؤوا الغناء. كانت بعض الأبيات مثل هذه، لكن كان هناك الكثير غيرها، واستمر غنائهم لمدة طويلة:

" كانت الرياح على المرج الذابل،  
لكن في الغابة لم تهتز ورقة  
ترقد الظلال هناك ليل نهار،  
و أشياء مظلمة تزحف تحتها صامتة.  
أتت الرياح من الجبال باردة،  
مثل الأمواج زارت ودارت؛  
تأوهت الفروع، وتأوهت الغابة،  
و طرحت الأوراق على الأرض بقوة فوق العفن.  
استمرت الرياح من الغرب إلى الشرق؛  
وقفت كل الحركة في الغابة،  
إلا من صرخة وألم عبر المستنقع  
أصواتها الصافرة اكتشفت.  
فحّت الأعشاب، والذرة تقوّست،  
كان القصب مهرولا  
يااه إررر بركة تهتز تحت سموات باردة  
حيث مزقت السحب المتسابقة وتركت  
مرّ بسفح الجبل الوحيد  
و انزلت أعلى من عرين التّنين  
هناك مظلمة سوداء ترقد جلاميد صارمة  
و كان دخان طائر في الهواء.  
غادر العالم و أخذ رحلته جوا  
فوق بحار الليل العريضة.  
القمر المبحر فوق العاصفة،  
و أثيرت النجوم إلى مصباح وثاب."

بدأ بيلبو في النعاس مرّة ثانية. فجأة قام جانديلف وقال "إنه وقت نومنا، لنا لكن ليس كما أظن لبيورن. في هذه القاعة نقدر أن نريح صوتنا ونأمن، لكن أحدركم كلكم أن تنسوا ما قال بيورن قبل أن يغادرا: لا يجب أن ننتشر بالخارج حتى طلوع الشمس، الخطر عليكم."

وجد بيلبو الأفرشة بالفعل فرشت بجانب القاعة، فوق نوع من المنصات البارزة بين الأعمدة والجدار الخارجي كان نصيبه فراش من قش قليل وبطاطين صوفية دنا منهم بسرور بالغ، ورغم أنهم كانوا صيفا. أشعلت نار منخفضة و سقط نائما. كان الوقت مازال ليلا حين استيقظ: كانت النار قد غرقت الآن لتصبح بضع جمرات وكان الأقزام وجانديلف نائمون تماما، كما يبدو من تنفسهم؛ وقليل من الرذاذ الأبيض أتى من القمر العالي الذي يحدق بهم عبر فتحة الدخان في السقف، كان هناك بالخارج صوت هادر، وضجة ما يبدو كحيوان عظيم يتشاجر عند الباب. تساءل بيلبو ما كان؟ وإذا ما كان بيورن في تجسد مسحور، وإذا ما كان سيدخل مثل الدبّ ويقتلهم. انفضّ على البطاطين و أخفى رأسه، و سقط نائما مرّة ثانية في النهاية بالرغم من مخاوفه.





كان صباحا مشحونا عندما صحا. أحد الأقزام وقع عليه في الظلال حيث يرقد ليدور ساقطا مع الصدمة من فوق المنصة إلى الأرضية. كان بوفور، وكان يتذمر منه، عندما فتح بيلبو عيونته.  
"استيقظ أيتها العظام الكسولة وإلا لن يبق لك أي شيء من الإفطار"  
قفز بيلبو. "الإفطار!" وصرخ "أين الإفطار؟"  
"أغلبه داخلنا،" أجاب عن الأقزام الأخرى التي كانت تتحرك حول القاعة؛ "لكن ما تبقى في الشرفة. كنا نبحث عن بيورن منذ طلوع الشمس؛ لكن ليس له أثر في أي مكان، ولو أنا وجدنا الفطور معدا حالما خرجنا."  
"أين جاندلف؟" سأل بيلبو وهو يتحرك ليجد شيء ما يأكله بأسرع ما يمكنه  
أخبروه "أه بالخارج و عند مكان ما،".

لكنه لم يشاهد أثرا للساحر طوال اليوم حتى المساء. بالكاد قبل الغروب مشى في القاعة، حيث كانت الأقزام والهوبيت تتناول العشاء، مخدومة بواسطة حيوانات بيورن العجيبة، حيث مكثوا طوال النهار لم يسمعوا أو يروا أي أثر لبيورن منذ الليلة الماضية، وكانوا يزدادون تحيرا.  
هتفوا جميعا لجاندلف حين عاد "أين مضيفنا، و أين كنت أنت طوال النهار؟"  
" سؤال واحد في المرة الواحدة -ولن يكون أيها قبل العشاء! لم أتناول أي لقمة منذ الفطور."  
أخيرا أبعد جاندلف صحنه و إبريقه - كان قد أكل إثنان من الأرغفة (مع كميات كبيرة من الزبد والعسل والقشدة) وشرب على الأقل ربع جالون من خمر العسل وأشعل غليونه.  
قال " سأجيب عن السؤال الثاني أولاً، لكن فليباركني الرب! هذا مكان رائع لحفلات دخان!"  
في الحقيقة لوقت طويل لم يقدروا أن ينالوا منه شيئا آخر كان مشغولا جدا يرسل حلقات الدخان التي تراوغ وتدور حول أعمدة القاعة، ويغيرها إلى كل الأنواع والأشكال والألوان المختلفة ويجعلها أخيرا تطارد بعضها خارج الثقب في السقف. لا بد أنها بدت غريبة جدا لمن ينظر من الخارج، تندفع خارجا في الهواء واحدة بعد أخرى، بلون أخضر، أبيض مصفر، رمادي فضي، أحمر، أزرق واحدة كبيرة أخرى صغيرة؛ الصغار تمر عبر الكبار وتتضمم معا في أشكال ثمانية، وتتطلق مثل سرب طيور لمسافة.

قال أخيرا. " كنت أقتفي آثار الدببة لا بد أنه كان هنا لقاء معتاد للدببة الليلة البارحة. تبين لي سريعا أن بيورن لا يمكن أن يكون صاحبها كلها: كان هناك الكثير جدا منهم، وكانت لأحجام متعددة أكثر مما ينبغي. يجب أن أقول كان هناك الدببة الأصغر، ودببة كبيرة، ودببة عادية، ودببة هائلة، كلها بالخارج ترقص من الظلمة إلى الفجر. أتوا من كل الجهة تقريبا، باستثناء من الغرب من ضفة النهر عند الجبال. في تلك الجهة فقط أثر لقدم واحد ذاهب لا يأتي، فقط واحد يذهب بعيدا عن هنا. لحقت به إلى الكاروك. وهناك اختفت الآثار في النهر، كان الماء أكثر عمقا وشدة وراء الصخرة من أن اعبره من السهل، كما تتذكرون، أن تعبر من هذا النهر إلى الكاروك بواسطة المخاضة، لكن على الجانب الآخر منحدر صاعد يصنع قناة دوامية. كان يجب أن اسير لأميال قبل أن أجد مكانا حيث النهر عريض وضحل كفاية لي للخوض والسباحة، ثم أميال ثانية مرة ثانية لإقتفاء الأثر مرة أخرى. وأصبح الوقت متأخرا لكي ألاحقها. اتجهت باستقامة بعيدا في جهة غابة الصنوبر - على الشترق إلى جانب الجبال الضبابية، حيث كان عندنا حفلتنا الصغيرة السارة مع الوارجات الليلة قبل الماضية والآن أظن أنني قد أجبت عن سؤالكم الأول، أكثر مما ينبغي،"

انتهى جاندلف، وجلس مدة طويلة صامتا.

ظن بيلبو أنه عرف ما يعنى الساحر. هتف "ماذا فعل؟ إذا ما قاد كل الوارجات و الغيلان لهنأ؟ سيمسكون بنا ونقتل جميعا! ظننت أنك قلت أنه لم يكن صديق لهم."  
"حقا فعلت. ولا تكن سخيفا! يجب أن تذهب إلى الفراش، فطنتك ناعسة!"

أحس الهوبيت أنه تحطم، و مادام لا شيء خلاف ذلك يمكن أن يفعله ذهب إلى الفراش؛ وبينما كانت تغني الأقزام سقط نائما، وهو مازال متحيرا عن بيورن، حتى حلم حلما لمئات الدببة السوداء ترقص رقصات ثقيلة بطيئة تدور وتدور في ضوء القمر في الفناء. ثم أستيقظ عندما كان





الجميع نائما، وسمع بالحكّ نفسه، التشاجر، اللهاث، والهدير في الأمام للمرّة الثانية في صباح أو قظوا كلهمّ بواسطة بيورن نفسه.

"إذا فجميعكم ما زال هنا!" قالها والتقط الهوبيت وضحك: "لم تأكل بعد بواسطة الوارجات أو الغيلان أودبية شرييرة وكما أرى!" ونخس صدرية السيد باجينز بازدرأ. "الأرنب الصغير ازداد لطفا وسمنة من الخبز والعسل مرة أخرى" وضحك. "تعال وتناول المزيد منه!"

وهكذا ذهبوا إلى الفطور معه. كان بيورن أكثر مرحا وكمثال على التغيير فقد أبدا حقار ورحا مرحة للغاية وأخذ يضحكهم بقصصه المضحكة؛ لم يسألوه أين كان أو لماذا كان لطيفا جدّا معهم، لأنه أخبرهم بنفسه. كان قد عبر النهر ومضى نحو الجبال-من هذا تقدر أن تخمّن أنه قد يفدر أن يسافر بسرعة، في شكل الدبّ على الأقل. من ساحة الوارجات المشتعلة كان قد اكتشف سريعا أن ذلك الجزء من قصتهم كان حقيقيّا؛ لكن كان عنده أكثر من ذلك: كان قد أمسك وارج وغول متجول في الغابة. من هؤلاء حصل على أخبار: كانت تطوف دورية الغيلان مع تلك الوارجات لاصطياد الأقرام، وكانوا غاضبين بشدة بسبب مقتل الغول العظيم، و أيضا بسبب حرق أنف الذئب الزعيم ومقتل العديد من خدمه الرئيسيّون من نار الساحر. ورغم أنهم أخبروه بالكثير عندما أجبرهم، لكنه ظنّ أنّ هناك ما هو أكثر شرا، وعلم أن غارة عظيمة لجيش الغيلان الكامل مع أتباعهم الذئاب في الأراضي المظلمة بالجبال تعد قريبا لتعثر على الأقرام، أو أن تلقي بالثأر على الرجال والكاننات التي تعيش هناك، والذين ظنّوا حتما أنهم يحمونهم.

"كانت قصتك جيّدة"، قال بيورن، لكن الأجل والأحسن فيها الآن أنني واثق أنها حقيقيّة. يجب أن تعفو عني لعدم الأخذ بكلامك. إذا عشت بالقرب من حافة ميركوود، لن تأخذ الكلمة من أي أحد ذلك أنك لا تعرف حقا أخيك أو ربما من هو أقرب وحيث أن الأمر كذلك أقدر أن أقول فقط أنني قد أسرعت للبيت بأسرع ما أستطيع لأطمئن أنكم آمنون، ولأقدّم لكم أيّ مساعدة أستطيعها. فكرتني عن الأقرام أفضل كثيرا منذ الآن. قتل الغول العظيم، قتل الغول العظيم!" هتف بقوة لنفسه.



"ماذا فعلت بالغول و الوارج؟" سأل بيلبو فجأة.

"ائت، وانظر!" قال بيورن، ولحقوا به حول البيت.

الغول غرز رأسه خارج الباب وثبتت جلد الوارج على الشجرة خلفه تماما. كان بيورن عدوّا متوحّشا. لكنه الآن صديقهم، وظن جاندلف أن الأفضل هو إخباره قصتهم الكاملة وسبب رحلتهم، لكي ينالوا منه أكبر مساعدة يقدر عليها وهو الأمر الذي وعدهم به فسيزودهم بأفراس وحصان لجاندلف لأجل رحلتهم نحو الغابة وسيمدهم بطعام يكفيهم لأسابيع مع بعض الحرص وعباه بحيث يسهل حمله: مكسّرات، طحين جرار محكمة الغلق مليئة بالفواكه المجففة، وقدر خزيّة حمراء للعسل، وكعك مجفف تم خبزه مرتين ليبقى صالحا مدة طويلة ويستطيعون أن يكتفوا بالقليل منه لمدة طويلة كانت طريقة صناعته يعتبرها أحد أسرارها لكنها تحوي العسل، مثل معظم طعامه وكانت شهية ولو أنها تزيد الإحساس بالعطش كما أخبرهم. إلا أنه قال "لن يكون الماء مشكلة في هذا الجانب من الغابة فلا حاجة لحمله فهناك ينابيع وعيون طوال الطريق لكن طريقكم خلال ميركوود مظلم خطر ووعر من الصعب العثور على الماء هناك وكذلك الطعام فلم يأت موسم البندق بعد رغم أنه قد يأت وينتهي قبل أن تعبروا للجانب الآخر والبندق هو الشيء الوحيد الذي ينمو هناك ويصلح للأكل هناك أشياء كائنات برية شرييرة وغريبة وشرسة سأمدم ببعض الجلود لحمل الماء وبعض الأقواس والسهم لكنني أشك بشدة أن ما ستجدوه في ميركوود سيكون قابلا للأكل أو للشرب هناك مجرى وحيد أعرفه أسود وقوي يمر بالطريق يجب ألا تشربوا منه أو تغتسلوا فيه لأنني سمعت أنه يحمل الكثير من الفتنة والنعاس والنسيان وداخل ظلال ذلك المكان الخافتة لا أظنّ أنكم ستستطيعون إصابة أي شيء نافع أو مؤذي، بدون أن تتوه من الطريق. الأمر الذي يجب ألا تفعله، لأيّ سبب. "تلك كلّ النصائح التي أقدر أن أمنحكم. ما وراء حدود الغابة لا أقدر أن أساعدكم كثيرا؛ يجب أن تعتمدوا على حظكم و شجاعتكم و الغذاء الذي منحتكم إياه. على أبواب الغابة يجب أن أطلب منكم أن تعيدوا لي حصاني





وأفراسي. لكن أتمنى لكم رحلة طيبة سريعة، وبيتي مفتوح لكم دائما، إذا رجعت من هنا مرة ثانية".

شكروه مع العديد من الانحناءات ورفع الفلنسات بالطبع ومع العديد من "في خدمتك، يا سيد القاعات الخشبية العريضة!" لكن غرقت أرواحهم في كلماته الخطيرة وأحس الكل أنّ المغامرة كانت أخطر بكثير مما ظنوا إلى جانب أنه في النهاية وطوال الوقت، حتى وهم يمزون بكلّ أخطار الطريق، ينتظروهم التنين في نهايته.

طوال الصباح كانوا منشغلين في التحضيرات. قرب منتصف النهار أكلوا مع بيورن للمرة الأخيرة، وبعد الطعام ارتقوا الجياد التي أعارها لهم، وتمنوا له كل الأمان الطيبة وانطلقوا بخطى واثقة عبر بوابته الكبيرة حالما غادروا أسيجته العالية في الشرق من أراضي المسورة انعطفوا نحو الشمال ثم انطلقوا تجاه الشمال الغربي. متبعين نصيحته لم يتجهوا لطريق الغابة الرئيسي جنوب أراضيهم فلو اتبعوا هذا الطريق سيقودهم إلى المجري القادم من الجبال الذي ينضم للنهر العظيم على بعد أميال جنوب الكاروك وعند هذه المنطقة توجد مخاضة عميقة يمكنهم عبورها إذا استطاعوا الحفاظ على أفراسهم وبعد هذا مدق يؤدي إلى تخوم الغابة والوصول لطريق الغابة القديم لكن بيورن حذرهم أن هذا الطريق يستخدمه الغيلان كثيرا بينما طريق الغابة نفسه سمع أنه قد هجر ونمت عليه الأشجار في نهايته الشرقية وأصبح يؤدي إلى مستنقعات لا يمكن عبورها حيث أن الطرق قد ضاعت ملامحها منذ زمن بعيد. وفتحته الشرقية أيضا تؤدي بعيدا جنوب الجبل الوحيد، وقد يقودهم ذلك لمسيرة صعبة ناحية الشمال حين يصلوا إلى الجانب الآخر.

شمال الكاروك توجد حافة ميركوود الأقرب إلى حدود النهر العظيم، ورغم أنّ الجبال أقرب ممّا ينبغي، فقد نصحهم بيورن باتخاذ هذا الطريق لأنه في مكان ما على بعد عدة أيام شمال الكاروك بداية طريق صغير معروف لميركوود يكاد أن يؤدي مباشرة للجبل الوحيد وقال بيورن "الغيلان لا تجرؤ على عبور النهر الكبير لمسافة مئات الأميال شمال الكاروك ولا أن تقترب من منزلي وهو آمن بما يكفي ليلا لكن يجب أن تنطلقوا سريعا لأنهم إذا قاموا بغارتهم قريبا فسيعبرون النهر من الجنوب ويمشطون حواف الغابة بحثا عنكم والوارجات تجري أسرع من الأفراس ومع هذا فمن الأكثر أمانا الذهاب شمالا رغم أنكم تبدون كما لو كنتم عائدتين لحصون الغيلان إلا أن هذا سيكون آخر أمر يتوقعونه وسيندفعون لأبعد ما يستطيعون لكي يلحقوكم فانطلقوا الآن بأسرع ما تقدرون"

ولهذا انطلقوا في صمت مهرولين كلما أتوا على أرض منبسطة خضراء والجبال المظلمة على يسارهم وعلى مسافة يقترب حثيثا مجرى النهر بأشجاره وكانت الشمس بالكاد تبدأ رحلتها للغرب حين انطلقوا وظلت حتى المساء تصبغ الأراضي حولهم بلونها الذهبي كان من المرهق التفكير في مطاردة الغيلان لهم وبعد أن باعدت الأميال بينهم وبين بيت بيورن عادوا إلى الغناء والحديث وتناسي طريق الغابة المظلمة أمامهم لكن عند المساء ومع بداية تسلل الشفق فوق قمم الجبال المتوهجة جهة الغروب أقاموا معسكرا ووضعوا حرسا بينما نام معظمهم بصعوبة وقد داهمتهم الكوابيس الممتلئة بعواء ذئب الصيد وصراخ الغيلان لكن اليوم التالي أتى ساطعا ولطيفا مرة أخرى فقد كان هناك ضبابا أبيض خريفي المذاق منتشر على الأرض والهواء به لسعة برد لكن ما أن طلعت الشمس الحمراء من الشرق حتى بددت الضباب. وما أن استطال الظل انطلقوا ثانية وساروا مسيرة يومين آخرين دون أن يقابلهم شيء سوى العشب والزهر والطيور وشجيرات مبعثرات وأحيانا قطعانا صغيرة من الطيبان الحمراء ترعى أو تحتمي بالظل في الظهيرة وفي بعض الأحيان كان بيلبو يرى قرون الأيائل تبرز من بين الأعشاب الطويلة فحسبها في البداية غصونا ميتة سقطت من الأشجار!

وفي ذلك المساء الثالث حثوا الخطى بشدة لأن بيورن كان قد قال أنهم يجب أن يبلغوا باب الغابة مبكرا في اليوم الرابع، فاستمروا في المسير بعد الغسق وفي الليل تحت القمر. وحين يخفت







الضوء يظن بيلبو أنه يرى بعيدا على أقصى اليمين أو اليسار ظل دب عملاق يتجول في الجهة نفسها. لكن إذا تجاسر على تنبيه جاندلف قال الساحر فقط: "صه! لا تهتم!"، في اليوم التالي بدؤوا قبل الفجر، رغم أن ليلهم كان قصيرا. وعند أول ضوء استطاعوا أن يروا الغابة تقترب كما لو كنت تتجه نحوهم لتقابلهم أو تنتظرهم كجدار أسود عبوس وبدأت الأرض في الارتفاع لأعلى وأعلى وبدا للهوبيت كما لو أن الصمت ينشر عباءته فوقهم فالطيور أقل غناء واختفت الغزلان ولم يظهر حتى أرنب على مدى البصر وعند الظهرية بلغوا حواف غابة ميركوود الرهيبة. وانتظروا ليلتقطوا الأنفاس تحت أشجارها الخارجية الكثيفة كانت جذوعها هائلة وكثبية وفروعها متشابكة ملتفة وأوراقها طويلة مظلمة واللبلاب ينمو عليها ويتدلى على الأرض.

قال جاندلف: "جيدا، ههنا ميركوود! إنها الأكثر عظمة بين الغابات في العالم الشمالي. أمل أن تحبوا ما تروه منها. الآن يجب أن تعيدوا هذه الأفراس الممتازة التي استعرتموها." مالت الأفرام للذم من هذا، لكن أخبرهم الساحر بمدى حماقتهم.

"بيورن ليس بعيدا كما تظنون، ومن الأفضل أن تحفظوا وعودكم على أية حال، لهو عدو سيء. السيد باجينز له عيون أحد من عيونكم إذا لم تكونوا رأيتم الدب الكبير الذي يحوم حولكم كل ليلة أو يجلس يشاهد القمر بعيدا عن مخيمنا. وهو لم يأت فقط ليحمينا ويرشدنا لكن ليحفظ بعينه على أفراسه أيضا. ربّما يكون بيورن صديقكم، لكنه يحب حيواناته مثل أطفاله. لا تتصورون مقدار ما وصلت إليه شففته لكي يعيرها للأفرام يركبونها بعيدا مسرعين ولن تتصوروا مقدار ما سيفعله بكم إذا جربتم أن تأخذوها في الغابة."

"ماذا عن الحصان، إذا؟" قال ثورين. "لم تذكر شيئا عن إعادته."

"لم أفعل، لأني لن أرسله."

"ماذا عن عدك؟"

"سأعتني بهذا الأمر. لن أرسل الحصان، سأركبه!"

ثم عرفوا أنّ جاندلف سيغادرهم عند الحافة الحادة جدًا لميركوود، وكانوا في يأس. لكن لم يكن هناك ما يقولونه ليغير رأيه قال " الآن لقد تناقشنا في كل هذا من قبل عندما حططنا على الكاروك، فلا فائدة من الجدل فعندي، كما أخبرتكم، بعض العمل الملحّ بعيدا جنوبا؛ والآن أنا متأخر وتناقلت معكم يا قوم. ربّما قد نلتقي مرّة ثانية قبل نهاية الأمر، وبالطبع ربما لا. هذا يعتمد حظكم وعلى شجاعتكم وإحساسكم؛ وأرسل السيد باجينز معكم. قد أخبرتكم من قبل أن عنده الكثير أكثر مما تظنون، وأنتم ستكتشفون ذلك قبل أن يمر وقت طويل. لذا فأسعد يا بيلبو ولا يبد عليك كل هذا الحزن ابتهج يا ثورين أنت ورفاقك! هذه حملتكم في النهاية فكروا في الكنز عند النهاية وتناسوا الغابة والتنين على الأقل حتى نهار الغد."

عندما أتى صباح الغد ظل يقول الشيء نفسه.

الآن لم يعد أمامهم ما يستطيعون فعله سوى ملاقاة الماء من ينبوع صافي عثروا عليه بجانب بوابة الغابة، ويرفعون المتاع عن الأفراس ويوزعونها بأعدل ما يقدرون ولو أنّ بيلبو ظنّ نصيبه كان ثقيلًا مضجر، ولم يحب مطلقًا فكرة المشي مجهداً لأميال وأميال مع كلّ هذا الذي على ظهره.

قال ثورين: " لا تحمل همًا! سيخف أكثر من اللازم. قبل أن يمر وقت طويل فقط انتظر. سنرغب كلنا لو أن حزمنا أثقل، عندما يبدأ الغذاء في النفاد."

ثمّ أخيرا ودعوا أفراسهم وأداروا رؤوسها للبيت. بعيدا هرولت بمرح، تبدو مسرورة جدًا أن تضع ذبولها نحو ظلّ ميركوود. عندما انصرفت كاد بيلبو أن يحلف أنّ شيء مثل دب نحو اليسار غادر ظلّ الأشجار ومشى بتناقل بعيدا بسرعة خلفهم. جلس بيلبو على الساحة متأثرا جدًا حزينا و يتوق إلى أن يجاور الساحر على حصانه الطويل. وذهب داخل الغابة بعد فطور (بأس جدًا) وكان قد بدت ظلمة الداخل هناك في الصباح كما في المساء، وشديدة الغموض. قال لنفسه " ضرب من المراقبة وأحاسيس الإنتظار،".





"مع السلامة!" قال جاندلف لثورين. "و مع السلامة لكم، جميعا مع السلامة! باستقامة إلى الغابة طريقك الآن. لا تضل من الطريق! إذا فعلت، إته ألف إلى واحد أنك لن تجده أبدا مرة ثانية وأبدا لن تخرج من ميركوود؛ ومن ثم لا أتصور أنا، أو أي أحد آخر أننا سنراك مرة ثانية." "هل حقا يجب أن نمر منها؟" تأوّه الهوبيت.

"نعم، يجب!" قال الساحر "إذا رغبت أن تصل إلى الجانب الآخر إما أن تعيرها أو تتخلى عن هدفك. ولن أسمح بأن تتسحب من الآن، أيها السيد باجينز. أنا خجل منك لتفكيرك في هذا. أنت واجب عليك رعاية هذه الأقزام من أجلي" وضحك.

"لا! لا!" قال بيلبو. "لم أقصد هذا. عنيت، هل يوجد أي طريق آخر حولها؟"

"هناك إذا كنت مهتما بمائتي ميل ذهابا خارج طريقك نحو الشمال، ومثل ذلك مرتين جنوبا. لكن لن تتال طريقا أمنا حتى ولو فعلت. لا طرق آمنة في هذا الجزء من العالم. تذكر أنك وسط أطراف البراري الآن، وداخلها كل أنواع المزاح حيثما تذهب. قبل أن تقدر على الإلتفاف حول ميركوود من الشمال سوف تكون تماما وسط مرتفعات الجبال الرمادية وهي ببساطة كتلة من الغيلان والغيلان العابثة إلى أسوء ما يمكن أن يوصف من كائنات قبل أن تلتف حولها من الجنوب ستدخل أراضي النيكرومانسر وحتى أنت بيلبو لا تحتاج أن أحكي لك قصصا عن الساحر الأسود لا أنصحكم أن تمرؤا قرب أي مكان يظلل به برجه الأسود الزمؤا طريق الغابة واحتفظؤا بمعنؤياتكم عالية تمنؤا الأفضل وبجرة ضخمة من الحظ ستخرجون منها يوما ما وترون المستنقعات الطويلة أسفلكم وورائها في أعلى المشرق الجبل الوحيد حيث العزيز سماؤج يعيش وأرجؤ ألا يكون منتظركم."

"من المريح جدا أنك واثق جدا،" هدر ثورين. "مع السلامة! إذا كنت لن تأت معنا، فمن الأفضل أن تمضي دون المزيد من اللغو!"

"مع السلامة إذا، وحقا مع السلامة!" قال جاندلف، وأدار حصانه ومضى نحو الغرب. لكنه لم يقدر أن يقاوم الإغراء لأن تكون له الكلمة الأخيرة قبل أن يمضي بعيدا عن أسماعهم توقف وهتف "الوداع كونوا طيبين! اعتنؤا بأنفسكم ولا تتركؤا الطريق!"

ثم جرى بعيدا لتفقدہ الأنظار

قال الأقزام بغضب "أوه مع السلامة واذهب بعيدا". كانوا قد امتلؤوا جزعا لفقدہ. والآن بدأ أكثر الأجزاء خطرا في الرحلة.

وحملؤا جميعا المتاع الثقيل وقرب الماء التي يتشاركون فيها وتركؤا الضوء القادم من خارج الغابة ليغرقؤا بها.





## الفصل (٨) ذباب وعناكب

مشوا في صف واحد كان مدخل طريق الغابة الصغير يشبه قوسا يؤدي لنفق مظلم صنعته شجرتان مهولتان متعاقتان عجوزتان للغاية وقد التف حوليهما اللبلاب الطويل وعلق بهما الطحالب فلا تحملان أكثر من أوراق مسودة قليلة والطريق نفسه كان ضيقا ويمضي داخلا وخارجا بين الأشجار وسرعان ما أصبح الضوء القادم من البوابة أشبه بكوة تلمع من مسافة بعيدة خلفهم والسكون شديد حتى أن دبيب أقدامهم ظاهر بينما كل الأشجار تنحني عليهم وتتنصت وحين بدأت الأعين المختلسة تعتاد الظلام استطاعت أن ترى قليلا على الجانبين على هدى ما يشبه وهجا ذو لون أخضر داكن وأحيانا على هدى شعاع تائه من الشمس المشرقة فوقهم كان له من الحظ ما يكفي لإختراق الأوراق الكثيفة بالأعلى والمزيد من الحظ لكي لا يقع في أيدي الفروع المتشابكة والأغصان المتعاقبة أسفلها فيتناثر ما تبقى منه رفيعا ولامعا أمامهم لكن هذا كان نادر الحدوث وسرعان ما تلاشى تماما.



كان بالغابة سناجب سوداء حيث كانت عينا بيلبو الحادتين الفضوليتين قد اعتادتا على رؤيتهن ينسلون على جانبي الطريق ويختفون خلف جذوع الأشجار كان هناك أيضا أصوات غريبة تخور وتتشاجر وتهرول تحت الأرض ومن وسط أكوام الأوراق التي تبدو في بعض الأجزاء لا حد لحجمها لكن ما الذي يصنع هذه الضوضاء لم يقدر أن يراه وكان أبشع ما رأوا هو بيوت العناكب سوداء كثيفة بخيوط ذات سمك غير عادي ممتدة من شجرة لأخرى أو ملتفة حول الفروع السفلى على كلا الجانبين لكن لا يوجد أي منها يقطع الطريق هل هذا بسبب سحر خاص يحميه أم لسبب آخر لم يستطيعوا التخمين.

وبالطبع لم يمض وقت طويل حتى تضاعفت كراهيتهم للغابة مثل حقدهم على أنفاق الغيلان وبدت أنها تقدم لهم أمالا أقل عن النهاية لكن كان عليهم أن يستمروا في السير ويسيروا ويسيروا طويلا حتى أضناهم الشغف لمنظر الشمس ومشهد السماء ولمدة أطول لكي يرضيهم الشغف لمداعبة النسيم لوجوههم فلم يكن الهواء يتحرك مطلقا أسفل سقف الغابة كان راكدا





وساكننا ومظلما ولزجا وحتى الأقزام المعتادة على الأنفاق والمناجم أحست بهذا رغم أنها تعيش لأزمان طويلة دون أن ترى الشمس فماذا عن الهوبيت المسكين الذي قد يجعل من الجحر بيتا لكنه لا يقضي أيام الصيف فيه لقد كان يشعر أنه يختنق ببطء.

أما الليل فقد كان أظفح كان يصبح أسود كالح ليس كما تصف الشيء أنه أسود كالح لكنه كالح بالفعل شديد الظلمة حتى أنك لا تقدر على رؤية أي شيء حاول بيلبو أن يمد يده قبالة أنفه فلم يقدر على رؤيتها كان هناك شيء واحد يستطيعون رؤيته : عيون! فناموا متلاصقين متكومين على بعضهم البعض ويتبادلون نوبات الحراسة وحين أتى دور بيلبو بدا له وجود وهج في الظلام حولهم وفي بعض الأحيان يظهر زوج من عيون صفراء أو حمراء أو خضراء تحديق فيه من مسافة قريبة ثم تختف ببطء حتى تختفي قبل أن تتألق ثانية في مكان آخر وأحيانا تنوهج من الفروع التي تعلوه مباشرة وهذه كانت أشدهم إرعايا له أما أقلها لطفا فكانت عينان رهيبتان شاحبتان ذات شكل بصلي ففكر "عيون حشرة ليست لحيوان هي فقط كبيرة جدا "

ورغم أن البرد لم يكن شديدا فقد حاولوا إشعال النار للمراقبة في الليل لكنهم بأسوا سريعا فقد بدا أنها اجتذبت مئات العيون حولهم رغم أن هذه المخلوقات أيا كانت طبيعتها كانت أشد حذرا من أن تظهر أي جزء من أجسامها داخل دائرة النار والأسوأ أنها اجتذبت الآلاف من الفراشات الرمادية والسوداء بعضها كبير بحجم كف يدك ترفرف وتحوم حول آذانهم فلم يتحملوها كما لم يصمدوا أمام الخفافيش العملاقة التي كانت هي الأخرى أشد سوادا من بهيم الليل المظلم لذا اطفئوا النار وجلسوا في الليل يحاولون النوم بين أسوأ أنواع الظلمات.

واستمر الحال على هذا لزمنا بدا للهوبيت كدهور تلي دهور وكان دوما جائعا بينما هم دوما شديدي الحرص على مؤنهم ورغم هذا ومع مرور الأيام والغابة لا تتغير في أعينهم بدئوا في القلق فلن يفهم الطعام للأبد وقد بدأ في التناقص فحاولوا صيد بعض السناجب ليضيعوا الكثير من السهام قبل أن ينجحوا في الإيقاع بأحدها داخل الطريق لكن ما أن قاموا بشيه فوجئوا ببشاعة طعمه فلم يحاولوا صيد المزيد كانوا عطشى أيضا فلم يكن معهم الكثير من الماء وهم لم يروا أي ينبوع أو مجرى حتى الآن فكان هذا حالهم حين وجدوا طريقهم قد قطعه مجرى مائي يندفع بقوة وشدة لكنه ليس عريضا وكان أسود اللون أو يبدو هكذا في الظلام ومن الجيد أن بيورن قد حذرهم منه وإلا لكانوا شربوا منه مهما كان لونه ولمثلوا منه بعضا من قربهم الفارغة لكن كان كل ما جاء في ذهنهم هو كيف يعبرونه دون أن يبتلوا بمائه كان هناك جسر خشبي عليه لكن السوس نخره وانهار فلم يبق منه إلا الأعمدة المحطمة فجئا بيلبو على الحافة ونظر بشدة ثم قال "هناك قارب على الضفة الأخرى لماذا لم يكن على هذا الضفة!!!" سأله ثورين "كم يبعد في ظنك؟" فقد عرفوا الآن أن بيلبو أحدهم بصرا

"ليس بعيدا على الإطلاق لا أظنه أبعد من اثنا عشر ياردة "

"اثنا عشر ياردة ! لم أكن لأخمن أقل من ثلاثين لكن عيناى لم تعودا كما كانتا منذ مائة عام ومع هذا فاثنا عشر ياردة ليست بأفضل من ميل لا نستطيع أن نقفز عبرها ولا نجرؤ على محاولة خوض هذا الماء أو السباحة فيه "

"ألا يستطيع أحدكم أن يلقي حبلا؟"

"وما الفائدة؟ فلا بد أن الزورق مربوط من الناحية الأخرى فلن نستطيع جذبه حتى لو نجحنا في الإمساك به وهو ما أشك في قدرتنا عليه "

قال بيلبو "لا أظنه مربوطا رغم أنني لا يمكن أن أكون واثقا في هذا الضوء لكنه يبدو لي كما لو كان جذب فقط على الضفة في المكان الذي تتخضض فيه عند مكان انغمار الطريق بالماء "

"دوري هو الأقوى لكن فيلي هو الأصغر وأظنه أفضلنا بصرا تعال يا فيلي وانظر إن كنت تستطيع أن ترى القارب الذي يتحدث عنه السيد باجينز "

س

ظن فيلي أنه يستطيع لهذا بينما هو يحدق محاولا أن يتصور الاتجاه أحضر الآخرون له حبلا وكان عندهم عددا منها وفي

طرف أطولها ثبتوا واحدا من الخطاطيف الحديدية الكبيرة التي يستخدمونها لتثبيت حقائب متاعهم





على ظهورهم فأمسك به فيلي وأرجحه للحظة ثم ألقاه عبر المجرى فسمعوا صوت رذاذ الماء وقال بيلبو وهو يحملق "ليس بالبعد الكافي زد قدمين وستجعله يدخل داخل القارب حاول مرة أخرى لا أظن أن السحر من القوة بحيث يصيبك إذا لمست حبل مبلولا بالماء " فالتقط فيلي الخطاف ثانية والشك يملئوه وهذه المرة ألقاه بقوة أكبر.

قال بيلبو "توقف لقد ألقيت في المكان الصحيح هذه المرة على الجانب الآخر من الغابة اسحبه بهدوء."

فأخذ فيلي يسحبه في هدوء إلى أن قال بيلبو "بحرص إنه على القارب الآن فلنتمنى أن يكون الخطاف أمسك به بقوة "

وبالفعل أصبح الحبل مشدودا وفشل فيلي في جذبه فأتى كيلى لمساعدته ثم أوبن وجلوين فأخذوا يجذبون ويجذبون ثم فجأة سقطوا جميعا على ظهورهم لكن بيلبو الذي كان يراقب أمسك بالحبل وبعضا صغيرة أعاق القارب الأسود الصغير الذي أتى مندفعاً عبر المجرى ثم صرخ "النجدة!"

ليأتي بالين في الوقت المناسب لينقذ القارب قبل أن يندفع مع المجرى وقال "كان مربوطاً رغم هذا "وهو ينظر لبقايا حبل القارب الذي مازال يتدلى منه "كانت هذه جذبه قوية يا فتيتاني ومن الجيد أن حبلنا كان أقوى "

تسائل بيلبو "من سيعبر أولاً؟"

قال ثورين "أنا وستأتي معي أنت وفيلي وبالين فهذا أقصى ما يحمله القارب في المرة الواحدة بعدها كيلى وأوين وجلوين ودوري ثم نوري وبوفور وبيفور وأخيراً بومبر ودوالين "

قال بومبر "أنا دائماً في المؤخرة لا أحب هذا! اليوم سيكون دور شخص آخر "

"إذاً كان يجب ألا تكون بهذا الوزن الثقيل وبما أنك هكذا يجب أن تكون في آخر وأخف حمولة فلا تبدأ في التذمر على الأوامر وإلا أصابك ما تكره "

تسائل الهوبيت "لا توجد مجاديف كيف ستدفعون القارب للضفة الأخرى؟"

قال فيلي "أعطوني حبلًا آخر بخطاف آخر"

وحين فعلوا رفعه وسط الظلام وبأعلى ما استطاع قذفه وبما أن الحبل لم ينزل لأسفل فقد عرفوا أن الخطاف قد علق بالأغصان فقال "هيا اركبوا وليدفع أحدكم بيديه على الحبل المعلق بالأشجار في الجانب الآخر بينما يمسك أحد الباقيين بذلك الحبل المثبت في القارب وحين نصل بأمان للجانب الآخر سيستطيع أن يجذبه ناحيتهم مرة أخرى فيسحب القارب عائداً"

وبهذه الطريقة عبروا جميعاً بأمان للجانب الآخر من النهر السحري كان دوالين قد خرج منه حاملاً لفة من الحبال بينما بومبر الذي كان مازال يزمجر يستعد ليلتبعه حين بدأت الأحداث السيئة كان هناك صوت حوافر يطير في الأمام يصل لهم ومن الظلمة خرج فجأة غزال طائر هجم على الأقرام وأخذ ينطحهم ثم أعد نفسه للوثوب وعالياً قفز ليتجاوز الماء بقفزة مهولة لكنه لم يصل بأمان للجانب الآخر وكان ثورين الوحيد بينهم الذي ظل واقفاً ومحتفظاً برباطة جأشه فما أن هبطوا كان قد أعد قوسه وسهمه في حال وجود أي حرس مختبئ يحرسون القارب والآن أطلق طلقة سريعة وسديدة على الوحش القافز فما أن وصل للجانب الآخر حتى سقط ليلتبعه الظلام لكن سرعان ما سمعوا صوت الحوافر يترنح ويستمر قبل أن يستطيعوا البدء في مديح هذه الرمية عويل بيلبو أطار من الجميع التفكير في لحم الأطباء فقد صرخ "بومبر سقط بومبر يغرق "

وللأسف كان هذا شديد الصحة.

فقد كان بومبر يضع قدم واحدة على الأرض حين نطحه الطيبي ليطيح به فتعثر ودفع القارب بعيداً عن الشاطئ ثم انقلب في الماء الأسود وأصابه تنزلق من الجذور الموحلة على الحافة بينما القارب يختفي ببطء.

كانوا مازالوا يستطيعون رؤية قلنسوته فوق الماء حين أسرعوا للضفة وسرعان ما ألقوا له بحبل أمسكته يدها ليجذبه للشاطئ فكان مبلولا من أخصم قدميه إلى قمة رأسه لكن هذا لم يكن أسوأ ما في الأمر حين أرقده على الأرض سرعان ما سقط في النوم بينما إحدى يديه تمسك بالحبل بقوة رهيبة فلم يستطيعوا نزعها من مخالبه واستمر في نومه العميق رغم كل ما فعلوه كانوا مازالوا





فوقه يلعنون حظهم العاثر وحمافة بومبر وينعبون لفقدانهم القارب مما يجعل من المستحيل عليهم العودة ومطاردة ذلك الطيبي حين انتبهوا لذلك الصوت الخافت لبوق في الغابة وما يبدو كصوت كلاب تنبح بعيدا فصمتوا جميعا وأجمعوا أنهم يسمعون ما يبدو كصوت حفلة صيد كبيرة تجري في الشمال رغم أنهم لا يرون لها أي أثر فجلسوا جميعا لمدة طويلة ولم يجرؤا على التحرك بينما بومبر نائم وابتسامته تعلوا وجهه البدين كما لو كان لم يعد بيالي لكل ما يكدرهم من متاعب.

وفجأة على الطريق أمامهم ظهر غزال أبيض ظبية وأولادها شديدي البياض كما كان الطيبي شديد السواد تألقوا في الظلام وقبل أن يصرخ ثورين قفز ثلاثة من الأقرام لسهامهم ولم ينجح أيهم في اصابتها فالتفت الطيباء واختفت بين الأشجار بصمت مثلما جاءت بينما الأقرام تتابعها بسهامها فصرخ ثورين "توقفوا! توقفوا!" لكنه كان متأخرا فالأقرام المتحمسة أضاعوا آخر سهامهم لتصبح تلك الأقواس التي منحهم إياها بيورن بلا فائدة.

كانوا جماعة مكتئبة تلك الليلة والكآبة تزداد حولهم في الأيام التالية فقد عبروا النهر الفتان لكن وراءه يبدو الطريق متلكئا كما كان ولم يقدرُوا أن يروا أي تغيير في الغابة لكنهم لو عرفوا المزيد عنها وفهموا معنى أصوات الصيد والطيبي الأبيض الذي مروا به لعلموا أنهم أخيرا يتجهون للحافة الشرقية ولوصلوا (لو أنهم احتفظوا بشجاعته وأمالهم) لأشجار أرفع وأماكن تصل إليها الشمس.

لكنهم لم يعرفوا هذا وكانوا يأنون تحت الحمل الثقيل لجسد بومبر الثقيل الذي كان عليهم حمله طوال الطريق بأقصى ما يستطيعون متبادلين الواجب الثقيل على كل أربعة منهم بينما يحمل الآخرون حقائبهم وإن أصبحت هذه خفيفة للغاية في الأيام الأخيرة مما مكنهم من فعل هذا فأصبح بومبر الثقيل المبتسم بديلا سينا لحقائب الطعام الثقيلة وقد أتى يوم لم يعد فيه شيء يذكر للأكل أو الشرب ولم يروا شيئا ينمو بين الأشجار فقط بعض الفطر والأعشاب ذات الأوراق الباهتة والرائحة السيئة وبعد أربعة أيام من تجاوز المجرى الفتان أتوا لمكان كل أشجاره من الزان وكانت أول علامة تغيير مما جعلهم يهللون فلم يكن هنا المزيد من النباتات النامية بالأسفل والظلام أقل كثافة فهناك ضوء أخضر حولهم وأماكن يرون فيها لمسافة لا بأس بها ومع هذا فلم يريهم الضوء في الأمام إلا المزيد من جذوع الأشجار اللامتناهية منتصبه كأعمدة بهو عتيق ورغم أنه كان هناك أنفاس للهواء وأصوات للرياح لكنها أصوات حزينه وأوراق قليلة تتساقط لتذكرهم أنه بالخارج قد اقترب الخريف ونفضت أقدامهم الأوراق الميتة المتركمة من مواسم خريف لا تحصى مضت على الغابة لتحيل جوانب الطريق إلى بساط أحمر داكن بينما بومبر مازال نائما وهم يزدادون ضجرا. وفي بعض المرات يسمعون ضحكا مقلقا وأحيانا يسمعون غناء أيضا كان الضحك لأصوات لطيفة ليست للغيلان والغناء جميل لكنه يبدو غريبا ومخيفا فلم يرتاحوا له في الحقيقة لقد أسرعوا بعيدا بكل ما تبقى لهم من قوة.

بعد يومين وجدوا طريقهم ينحدر لأسفل وسرعان ما وجدوا أنفسهم في واد ممتلئ تماما ببلوط عملاق.

قال ثورين "أما من نهاية لهذه الغابة اللعينة؟"

"لا بد لشخص ما أن يتسلق إحدى الأشجار ويرى إذا كان يستطيع أن يعلو فوق سقف الغابة ويلقي نظرة والطريقة الوحيدة هي اختيار أطول شجرة تميل على الطريق"

بالطبع هذا الشخص ما لم يكن إلا بيلبو وقد اجمعوا على اختياره لكي يكون له فائدة ما كان على المتسلق أن يعلو برأسه على الأوراق العلوية ولهذا يجب أن يكون خفيفا لكي تتحملة الفروع العليا الرفيعة لكن السيد باجينز المسكين لم يتدرب في حياته بما يكفي لتسلق الأشجار لكنهم رفعوه لأعلى فوق أدنى الفروع لبلوطة ضخمة تنمو وسط الطريق وكان عليه أن يبذل أقصى ما في وسعه فدفع نفسه عبر الفروع المتشابكة التي اندفع الكثير منها نحو عينيه وقد غطاه اللون الأخضر والغبار من اللحاء القديم من الفروع العملاقة وانزلق أكثر من مرة وأنقذ نفسه في اللحظة الأخيرة وأخيرا بعد كفاح مرير في مكان لا يبدو له فيه أي فروع مناسبة وصل للقمة وطوال الطريق كان يتسائل عما إذا كان هناك عناكب في الشجرة وبأي طريقة غير الوقوع





سينزل في النهاية أطل برأسه فوق سقف الأوراق ليجد الكثير من العناكب لكنها جميعا صغيرة من الحجم العادي وكانت تطارد الفراشات.

كادت عيناه أن تعمى من الضوء وكان يستطيع سماع صوت الأقرام التي تهتف منادية عليه بعيدا من أسفل لكنه لم يستطع أن يجيبهم اكتفى بالتشبث وأخذت عيناه تطرفان فقد كانت الشمس مشرقة بسطوح شديد ومر وقت طويل حتى اعتاد عليها وحين فعل كان كل ما رآه حوله بحر من الخضرة الداكنة يتموج هنا وهناك بفعل الرياح وفي كل مكان المنات من الفراشات أظنها كانت نوع من الإمبراطور الأحمر وهي فراشة تحب قمم البلوط لكن هذه لم تكن حمراء إطلاقا كانت سوداء سوادا داكنا يشبه القطيفة السوداء بدون أي علامات عليها.

ظل يتأمل تلك الإمبراطورات السوداء لمدة ويتمتع بإحساسه بالنسيم على شعره ووجهه لكن



الصراخ القادم من أسفل حيث تحولوا لنموذج لعدم الصبر مذكريه بمهمته الأصلية لكن الأمر لم يكن جيدا دقق ببصره بأقصى ما استطاع فلم ير أي نهاية للأشجار والأوراق في أي اتجاه وقلبه الذي طفا لرؤية الشمس ومداعبة النسيم غرق مرة أخرى فلم يكن هناك أي طعام ينتظره هناك بالأسفل.

في الحقيقة كما قلت لكم لم يكونوا بعيدين عن حافة الغابة وربما كان يبيلبو على حق فيما رآه لكن الشجرة التي تسلقها رغم طولها كانت في واد كبير منخفض (لاحظ أن الطريق انحدر لأسفل منذ قليل) لهذا فمن قمتها سيبدو كل شيء محاطا بالأشجار مثل حافة وعاء عملاق فهبط الهوبيت ممتلئا بالإحباط ليعود للقاع مرة أخرى مخدوشا ومحبطا وتعسا ولم يقدر أن ير أي شيء في الظلام بالأسفل وجعلت أنباءه الباقون في تعاسة مماثلة.

"الغابة ممتدة للأبد والأبد والأبد في كل الإتجاهات فماذا يمكننا أن نفعل وما فائدة إرسال هوبيت؟" هكذا أخذوا في الصراخ كما لو كان الأمر ذنبه لم يلقوا بالا لحديثه عن الفراشات ولم يزداهم كلامه عن النسيم إلا غضبا لأنهم كانوا أثقل من أن يتسلقوا لينالوا حظهم منه.

وفي هذه الليلة أكلوا آخر فئات الطعام وكسور الخبز وحين استيقظوا في الصباح التالي كان أول ما شعروا به هو الجوع الأليم يقرصهم والشيء الثاني أنها تمطر وأن وفي كل مكان تتساقط القطرات الثقيلة على أرض الغابة وهو ما ذكرهم أنهم أيضا يحترقون من العطش دون أن يملكوا شيئا حيال الأمر فأنت لا تستطيع أن تطفئ لظى العطش الشديد بالانتظار تحت شجرة بلوط فاتحا فمك منتظرا القطرات الثقيلة أن تسقط فيه. بارقة الأمل الوحيدة أتت من بومبر.

لقد استيقظ فجأة وجلس يحك في رأسه لم يستطع أن يعي أين هو إطلاقا ولا لماذا يحس بالجوع لأنه نسي كل شيء حدث منذ أن بدأ الرحلة في ذلك الصباح من مايو وآخر ما كان يتذكره هو الحفلة في بيت الهوبيت وقد لاقوا معاناة كبيرة في إقناعه بقصتهم عن كل ما مروا به من





مغامرات منذ ذلك الوقت وحين سمع أنه لا يوجد شيء يؤكل جلس أرضا وانهار وأخذ يندب لأنه كان يشعر بضعف شديد وبأرجل خائفة

"لماذا استيقظت لقد كنت في أحلام جميلة كنت أمشي في غابة غير هذه مضائفة بمشاعل من الأشجار ومصاييح متدلّية من الفروع ونار قادمة من الأرض وهناك وليمة عظيمة مستمرة للأبد وملك أرض الغابة هناك بتاجه المصنوع من أوراق لشجر وكان هناك غناء سعيد ولا أستطيع أن أحصي أو أصف كل ما كان هناك ليؤكل أو يشرب "

قال ثورين "لا داعي لأن تحاول في الحقيقة إذا لم تقدر على أن تقول شيئا آخر فمن الأفضل أن تبق صامتا فنحن متصايقين بما يكفي كما نحن! إذا لم تكن استيقظت كنا تركناك مع أحلامك الخرقاء في الغابة فحملك ليس سهلا حتى بعد أسابيع من المشي في الحدائق!"

لم يكن هناك ما يقدرّون عليه سوى إحكام الأحزمة حول بطونهم الخاوية ورفع حقائبهم الفارغة ومجابهة الطريق دون أي أمل في إنهاءه قبل أن يضنيهم التعب فيسقطوا ليموتوا من الجوع وكان كل ما فعلوه طوال اليوم هو المضي ببطء وسأم بينما بومبر مستمر في العويل على قدميه اللتان لا تقدران على حمله وأنه يريد أن يسقط وينام فقالوا له "لا لن تفعل لتأخذ قدماك نصيبها من الجهد فقد حملناك بما يكفي لمسافة طويلة "

فإذا به يرفض أن يمضي خطوة أخرى وسقط على الأرض وقال "استمروا أنتم إن أردتم سأكتفي بالرقاد هنا والنوم والحلم بالطعام وإذا لم تكن هناك طريقة أخرى أتمنى أن أنام للأبد!"

وهنا قال بالين الذي كان في المقدمة "ما هذا أظنني رأيت ومضة ضوء في الغابة " نظروا جميعا ظهر شاهدوا بريق أحمر وسط الظلام ثم آخر وآخر يظهر بوجاره وحتى بومبر نهض واندفعوا نحوه لايهتمون إن كان لغيلان أو عمالقة كان الضوء أمامهم من يسار الطريق وحين أخيرا أتوا لمكان قريب منه وجدوه سهلا مضاءا بمشاعل ومصاييح مشتعلة أسفل الأشجار لكن على مسافة بعيدة من الطريق.

لهث بومبر " يبدو أن حلمي يتحقق " وهو ينفخ خلفهم كان يريد أن يهرع مباشرة للضوء لكن الآخرون يتذكرون جيدا جدا تحذير الساحر وبيورن.

فقال ثورين "لن تكون الوليمة جيدة إذا لم نخرج منها أحياء" فرد بومبر "لكن بدون وليمة لن نبقى على قيد الحياة"

وواقفه يبيلبو بحماس فأخذوا يتجادلون حول الأمر مدة طويلة حتى اتفقوا على إرسال زوج ليتجسس ويزحف قرب النار ويرى ما هنالك لكنهم لم يستطيعوا أن يتفقوا على من يرسلوا فلم يرتاح أيا منهم لفكرة أن يتوه ولا يعثر أبدا على أصدقائه مرة أخرى لكن في النهاية ورغم المحاذير حسم الجوع أمرهم فقد أخذ بومبر يتحدث عن كل الأشياء الرائعة التي تنتظر التهامها كما في حلمه في وليمة أرض الغابة لذا غادروا جميعا الطريق واندفعوا مقامرّين نحو الأضواء معا.

وبعد حظ طيب من الزحف والتدحرج اختلسوا النظر حول الجذوع ليجدوا مكانا حيث الأشجار قطعت والأرض تم تسويتها وناس كثيرون هناك. كانوا قوما يشبهون الجن كلهم يرتدون الأخضر والبني ويجلسون على الجذوع المقطوعة المستديرة في دائرة ضخمة ونار في الوسط ومشاعل مثبتة على بعض الأشجار حولهم لكن أشد ما يخطف الأنظار أنهم كانوا يأكلون ويشربون ويضحكون في سعادة.

كانت رائحة اللحم المشوي فاتنة لدرجة أنهم بدون أن يتشاوروا كل منهم اندفع زاحفا نحو الحلقة وفكرة واحدة تسيطر عليهم هي أن يتوسلوا لبعض الطعام وما أن وصل أولهم إلى الساحة حتى اختفت كل الأضواء كما لو كانت سحرا شخص ما ركل النار واختفت وسط صواروخ من الشرارات المتألقة واختفى. كانوا ضائعين تماما داخل ظلمة بلا أي ضياء ولم يقدرّوا أن يجدوا بعضهم، ليس حتى مرور وقت طويل على أي حال. بعد التخبط باهتياج في الظلمات، والسقوط فوق الحطب، والاصطدام المروع بالأشجار، ويصرخون وينادون حتى أنهم حتما أيقظوا كل من







في الغابة لأميال وفي النهاية نجحوا في جمع أنفسهم معا وإحصاء عددهم باللمس وبالطبع كانوا قد نسوا تماما في أي اتجاه كان الطريق وقد تاهوا بلا أمل على الأقل حتى الصباح. ولم يكن بأيديهم ما يفعلونه سوى الجلوس حيث هم طوال الليل لم يجرؤوا حتى على البحث عن فئات الطعام خشية أن يتشتتوا ثانية لكن لم ينتظروا طويلا، فحين بدأ بيلبو في الخمول، هتف دوري الذي كان عليه أول دور في المراقبة، " المصاييح هنالك، و هناك عدد أكثر منهم ". قفزوا جميعا لأعلى. هناك، حقا، ليس بعيدا كان عددا من وميض المشاعل، وسمعوا بالأصوات والضحك واضح تماما زحفوا ببطء نحوهم، في خط مفرد، كلّ منهم يلمس ظهر من أمامه. عندما اقتربوا قال ثورين

"لا تسرعوا إلى الأمام هذه المرة! لن يتحرك أحد من مخبأه أمركم. سأرسل السيد باجينز أولا ليخاطبهم. لن يرتعوا منه (فكر بيلبو وماذا عني منهم؟) وفي جميع الأحوال أمل ألا يصيبه منهم أي شيء كريبه "

وحين وصلوا لحافة دائرة المصاييح دفعوا بيلبو فجأة من الخلف. قبل أن يكون عنده الوقت الكافي ليرتدي خاتمته مضى إلى الأمام متعثرا في وسط لهيب النار والمشاعل. لم يكن الأمر جيدا اختفت كلّ المصاييح مرّة ثانية وسقطت الظلمة الكاملة. إذا كان صعبا أن يجمعوا أنفسهم من قبل، كان الأمر أسوأ بكثير هذه المرة. وهم ببساطة لا يقدرّون أن يجدوا الهوبيت. كلّ مرّة عدّوا أنفسهم ثلاثة عشر. صرخوا ونادوا: " باجينز بيلبو! هوبيت! أنت أيها الهوبيت اللعين! هيا! هوبيت، فليضل عقلك أنت، أين أنت؟" وأشياء أخرى من ذلك القبيل، لكن لم يكن هناك أي جواب. كانوا يتنازلون الآن عن الأمل، عندما تعثر دوري به بمحض صدفة. في الظلمة سقط على ما ظنه كان كتلة الخشب، فوجده الهوبيت متكورا على نفسه ونائم أخذ يهزه كثيرا ليوقظه، وعندما استيقظ لم يكن راضيا إطلاقا تذرّ " كنت في حلم جميل، كله حول أفضل وليمة رائعة ". قالوا " ياللسماء! قد ذهب مثل بومبر، لا تخبرنا عن أي أحلام. أحلام الولايم ليست جيدة ولا نستطيع أن ننقاسمها. "

غمغم " هم على الأرجح أفضل ما سأحصل عليه في هذا المكان الفظ، " وهو يرقب الأقزام وحاول أن يرجع إلى النوم ويجد حلمه مرّة ثانية. لكن هذا لم يكن آخر أضواء الغابة. في ما بعد عندما توغل الليل على الأرجح، كيلى الذي كان يسهر في الحراسة أتى وأيقظهم جميعا مرّة ثانية، يقول:

" هناك ضوء مصاييح منتظم ظهر على مسافة ليست بعيدة. مئات المشاعل والكثير من المصاييح أضيئت معا حتما بفعل السحر وأصغوا للغناء وموسيقى القيثارة! " بعد أن كمنوا يصغون ويراقبون مدّة، وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يصمدوا أمام الرغبة في الذهاب لمسافة أقرب والمحاولة مرة أخرى لنيل المساعدة. فانطلقوا مرّة ثانية وهذه المرة النتيجة كانت مشؤومة. الوليمة التي شاهدوها الآن كانت أعظم وأكثر روعة من قبل؛ وفي رأس خطّ طويل من المحتفلين جلس ملك الغابة مع تاج أوراق فوق شعره الذهبي، مماثل لوصف بومبر لحلمه. كان قوم الجن يتبادلون الأطباق من يد ليد و عبر النيران، والبعض كان يعزف والعديد كان يغني. وشعرهم الداكن مجدول مع الأزهار أخضر وأبيض ولمعت مجوهرات على ياقثهم وأسوارهم بينما وجوههم وأغانيتهم مليئة بالمرح. بصوت عال صافي لطيف وقفز ثورين وسطهم. صمت كصمت القبور خيم فجأة حتى أن الكلمات مزقت في منتصفها واختفت كل أضواء النار فقذفت النار أدخنة سوداء. كان الجمر والرماد في عيون الأقزام، وامتلت الغابة مرّة ثانية بصخبهم و صيحاتهم. وجد بيلبو نفسه يركض ويدور ويدور (حسب ظنه) ويهتف ويصرخ:

"دوري، نوري، أوري، أوين، جلوين، فيلي، كيلى، بومبر، بيفور، بوفور، دوالين، بالين، ثورين أو كينشيلد، "

بينما أناس حوله لا يستطيع أن يراهم أو يلمسهم يفعلون الشيء نفسه (مع اضافة "بيلبو!"). لكن صيحات الآخرون كانت تضعف وتبتعد وبدا له أن صراخ استنجادهم قد ذهب بعيدا وضوضائهم ماتت بعيدا وقد ترك وحيدا في ظلام تام وصمت كالقبر تلك كانت إحدى أكثر لحظاته يأسا. لكنه





قرّر سريعاً بعقله أنه لا فائدة من فعل أي شيء حتى يأت النهار مع بعض الضوء وأنه لا جدوى من لوم نفسه لحماقته وإيقاع نفسه في هذا الرهق بلا أمل في أي إقطار يعيده للحياة لذا أسقط نفسه مسنداً ظهره لشجرة ولمرة أخرى ليست أخيرة أخذ يتذكر جحر الهوبيت خاصته البعيد البعيد مع ما بمخازنه من مؤن جميلة كان منغمساً في أفكار لحم الخنزير والبيض والخبز المحمص والزبد عندما أحس بشيء ما يلمسه شيء مثل خيط لزج قوي قبالة يده اليسرى، وعندما حاول أن يتحرّك وجد أنّ رجليه قد غلّقت بذلك الشيء من قبل لذا عندما قام سقط.

ثمّ العنكبوت العظيم، الذي انشغل بتكثيفه أثناء غفلته، أتى من ورائه وبلغه. لم يمكنه أن يرى إلا عينا الشيء لكنه أحس بأرجلها المشعرة بينما هي تسعى لثفت خيوطها البيغضة حوله أكثر. كان محظوظاً أنه استعاد وعيه في الوقت المناسب سريعاً قبل أن تتمكن شل حركته تماماً لذا كان مازال أمامه فرصة لقتال يائس في سبيل حريته دفع هذا الكائن بيديه بينما هو يحاول أن يسممه ليثله كما تفعل العناكب الصغيرة بالذباب ثم تذكر سيفه وانتزعه فقفزت العنكبوت للخلف ليملك الوقت لتمزيق ما حوله من خيوط ليحرر قدميه وأصبح هذا دوره للهجوم وكان من الجلي أن العنكبوت ليست معتادة على تلك الكائنات التي تحمل ما يلدغ في جوانبها وإلا كانت قد ابتعدت بأسرع مما فعلت فبلغه بيلبو قبل قد يقدر أن يختفي وضربه مباشرة بسيفه في العين. ومن ثمّ جنّ وقفز ورقص ورمى أرجله في رجة مريعة، إلى أن قتله بضربة أخرى ثم سقط ولم يتذكر أي شيء لمدة طويلة.



كان هناك الضوء الرماديّ الخافت المعتاد لنهار الغابة عندما أتى إلى وعيه، والعنكبوت الميتة ترفد جواره وسيفه نصله أسود ملطّخ. بطريقة أو بأخرى قتل العنكبوت الهائل، في عزلة وحده في الظلمة بدون مساعدة الساحر أو الأقزام أو أيّ شخص آخر أحدث هذا اختلافاً عظيماً في السيد باجيزن. أحس أنه شخص مختلف واستبدل إحساس المعدة الفارغة الكئيب بشعور القوة والجرأة بينما هو يمسح سيفه في العشب ويعيده ثانية لجرابه،

" سأعطيك اسماً، "قال له، "وسأسميك اللادغ. (Sting)"

بعدئذ شرع يستكشف. كانت الغابة قاسية و صامتة، لكن بوضوح قبل كل شيء يجب أن يبحث عن أصدقائه، الذين كانوا على الأرجح ليسوا بعيدين جداً ما لم يكونوا سجناء بواسطة الجن (أو ما هو أسوأ).





أحسّ بيلبو أنّه من الخطر أن يصرخ، وظل مدّة طويلة يتساءل في أي جهة يجد الطريق، وفي أي جهة يجب أن يذهب أوّلا ليبحث عن الأقزام. "أه لماذا لم نتذكر نصيحة بيورن، وجاندلف!" انتحب. "ما الفوضى التي نحن داخلها الآن! نحن! أرغب فقط أنّ نكون نحن: إنّها كائن مريع تلك العزلة."

في النهاية بذل قصارى جهده لتخمين الجهة التي أتى منها صراخهم تلك الليلة وبمحض حظ (وقد ولد بقدر جيد منه) خمن تخمينا صحيح كما سنرى وما أن اتخذ قراره زحف بأمر ما يستطيع والهوبيت عامة شديدة البراعة في التخفي والهدوء وبالذات في الغابات كما ذكرت من قبل كما أن بيلبو ارتدى خاتمه قبل أن يبدأ لهذا لم تفقد العناكب أن تراه أو تسمعه.

كان قد قطع طريقه خلسة لبعض المسافة، عندما التفت لمكان به ظلّ أسود كثيف حتّى بالنسبة لتلك العابة، مثل رقعة من منتصف الليل لم يزيلها النهار فزحف أقرب ليجده مصنوع من كومة من العناكب الواحد جوار الآخر وفوقه وأسفله ورأى فجأة عناكب مهولة مفزعة على الفروع فوقه وسواء بالخاتم أو بدونه ارتعد من الخوف خشية أن يكتشفوه ومن خلف شجرة أخذ يراقب مجموعة منهم لفترة ثمّ في الصمت وسكون العابة أدرك أنّ تلك الكائنات الكريهة تتكلم الواحد إلى آخر. كانت أصواتهم ضرب من صرير و فحّ رفيع لكنه قدر أن يحصي العديد من الكلمات. كانوا يتحدّثون عن الأقزام!

" كان صراعا حادًا، لكن يستحق،" قال أحدهم. " غبيّ كريبه جلدهم\* يجب أن نكون واثقين، لكن سأراهن أن أسفله الكثير من العصارة الجيدة."

قال آخر. "نعم، هم كذلك، سيكونون لذيذي الأكل حين نعلقهم ونقضم،"

" لا تعلقهم أكثر ممّا ينبغي،" قال ثالث. "هم لن يكونوا سميئين كما يبدو عليهم. لم يأكلوا جيدا كثيرا في المدة الأخيرة كما أظنّ."

"اقتلوهم أقول لكم،" فح الرابع؛ "اقتلوهم الآن و علقوهم موتى لمدة."

" هم ميتون الآن، أنا واثق،" قال الأوّل.

"هم ليسوا كذلك. شاهدت أحدهم الذين يكافحون الآن. الآن يدور مرّة ثانية، يجب أن أقول، بعد نوم جمبييل سأريك."

عند ذلك أحد العناكب السمينة جذب حبالا حتى أتى لدسته من اللفائف معلقة في صف على فرع عال ارتعب بيلبو، الآن حين لاحظهم للمرة الأولى يتدلون في الظلال ورأى أقدام قزمية تبرز من بعض اللفائف وهنا وهناك طرف أنف أو قمة قلنسوة أو جزء من لحية ولأضح لفة اتجه العنكبوت السمين وفكر بيلبو "إنه بومبر العجوز المسكين كما أظنّ" فقرص العنكبوت الأنف لتصدر صرخة ألم مكتومة من الداخل واصبع قدم تحرك لركل العنكبوت كان مازال بومبر حيا وكانت هناك ضجّة مثل ركل كرة قدم مترهلة، وعنكبوت مغتاط سقط من الفرع، فقط امسك نفسه بخيطه الخاصّ في الوقت المناسب.

الأخرون ضحكوا. "كنت، على حق وهو كذلك اللحم حيّ ويركل!"

" سأضع نهاية قريبا لهذا،" فح العنكبوت الغاضب وتسلق عائدا الفرع.

رأى بيلبو أنّ اللحظة قد أنتت فيجب أن يفعل شيء ما إنه لا يستطيع أن يهزم الوحش و ليس عنده شيء يطلقه لكن تفحصّ حوله فشاهد في هذا المكان هناك العديد من الأحجار موجودة فيما يبدو كمجرى مائي قديم جف الآن وكان بيلبو بارعا في قذف الأحجار بدقة ولم يمر وقت طويل حتى عثر على واحدة جيدة تشبه البيضة تناسب يده، كصبي اعتاد أن يتدرب على قذف الأحجار على الأشياء لدرجة أن الأرانب والسناجب، وحتى الطيور، تهرب من طريقه بسرعة مثل البرق إذا رأوه ينحني وحتى حين كبر قضى وقت طيب في لعبة الكوت (قذف الحلقات) ورمي الرمح والتصويب على العصا والنبال والزجاجات وغيرها من ألعاب التصويب والرمي الحقيقة أنه كان يجيد الكثير من الأشياء غير نفث حلقات الدخان وحل الألبان والطهي لم يكن عندي وقت

\* في النص الانجليزي تتحدث العناكب بلغة ركيكة بعض الشيء





لأخبركم عنها كما أنه لا يوجد وقت الآن فقد التقط الصخرة حين كان العنكبوت قد وصل لبومبر الذي سرعان ما سيصبح في عداد الموتى وعند هذه اللحظة قذف بيلبو الحجر ضرب الحجر العنكبوت بقوة على الرأس، فسقط فاقد الوعي من الشجرة، مصطدما بالأرض مع كل أرجله الملفوفة لفوق.

مرّ الحجر القادم عبر شبكة عنكبوت كبيرة ممزقا حبالها ليسقط العنكبوت في المنتصف مصدرا دويًا ليقع ميتًا. بعدئذ كان هناك اضطراب في مستعمرة العناكب، ويمكنني القول أنهم نسوا الأقرام لفترة. لم يقدرُوا أن يشاهدوا بيلبو، لكن قدرُوا أن يخمّنوا جيدا الجهة التي كانت تأتي الأحجار منها. مثل البرق أتوا مسرعين ومتأرجحين نحو الهوبيت ملقين خيوطهم الطويلة في كلّ الجهات، حتى امتلأ الهواء بالأفخاخ المتموجة لكن بيلبو سريعا ما انسل مبتعدا إلى مكان آخر وقد واتته فكرة أن يقود العناكب الغاضبة إلى مكان آخر بعيدا عن الأقرام لو استطاع إثارة إهتمامهم واستفزاز غضبهم واستدراجهم فإذا بأكثر من خمسين عنكبوتا قد اندفعوا نحو المكان الذي كان فيه رمى بعض أحجار أكثر على هؤلاء، وعلى آخرين كانوا قد وقفوا خلفهم؛ ثم رقص بين الأشجار وبدأ يغني أغنية لتغضبهم وليحضرهم كلهم خلفه، وأيضا ليمنّ الأقرام من سماع صوته.

هذا ما غني:

" غزل عنكبوت سمين قديم في الشجرة!  
لا يقدر عنكبوت سمين قديم أن يراني!  
الخنافس! الخنافس!

ألن تتوقفوا،

أوقف غزلك و ابحت عني!

مدلل عجوز، كله جثة كبيرة،

لا يقدر مدلل عجوز أن يلاحظني!

الخنافس! الخنافس!

لأسفل وقعت!

لن تلحق بي أبدا فوق شجرتك!"

ربما ليست جيدة في حد ذاتها، ولكن من ناحية ثانية يجب أن تتذكّر أنه يجب أن يؤلفها من وحي اللحظة وفي وقت خطر. وعلى أي حال فقد فعلت ما رغبه منها. عندما غني رمى بعض الأحجار أكثر وهرب. فعليا كلّ العناكب في المكان لاحقته: بعضها سقط إلى الساحة، آخرون تسابقوا على الفروع، وتأرجحت من شجرة إلى شجرة، أو رمت حبال جديدة على الأركان المظلمة وقد حركهم شغبه بأسرع مما توقع كانوا قد امتلكوا غضبا مخيفا. بغض النظر عن الأحجار فإن العنكبوت تكره أن تتأذى بالخنافس، ومدلل إهانة لأيّ شخص.

اتجه بيلبو لمكان جديد، لكن كان عدد من العناكب قد ركض إلى نقاط مختلفة إلى الساحة التي يأوون فيها وانشغلوا بغزل الشباك بين الأشجار وسرعان ما سيقع الهوبيت وسط سياج كثيف منها أو على الأقل كانت هذه خطة العناكب الجلوس في المنتصف وصيد الفرائس بالشباك حولها فاستجمع بيلبو شجاعته وغنى أغنية جديدة:

" كرات كسولة وعناكب مجنونة

تنسج شباكا لتسكني.

أنا حلو أكثر بكثير من اللحم الآخر،

لكن مع ذلك لا يقدرُون أن يجدوني!

هاهنا أنا، ذبابة صغيرة غير مطيعة؛

أنت سمين و كسول.

لا تقدر أن توقعني، ومهما حاولت،

في أنسجة عناكبكم البلهاء."





وعند هذا استدار ليجد أن آخر فراغ بين شجرتين عاليتين أغلق بالشباك لكن لحسن الحظ ليست شبكة مناسبة، فقط خيطين مزدوجين من نسيج العنكبوت تمضي من أمام وخلف الشجر فأخرج سيفه ومزق الخيوط وخرج يغني شاهدت العناكب السيف، ولو أنني لا أفترض أنهم عرفوا ما هو، وفورا اندفع قطيعهم بالكامل يجري خلف الهوبيت على الأرض وبين الأشجار تلوح بأرجلها المشعرة وتقضب بكلاياتها وتلقي بشباكها المغزولة وعبونهم تفرقع، مليئة بالرغوة والهيّاج لحقوه في الغابة حتى ذهب بيلبو بقدر ما تجاسر. ثم أهدأ من الفأر انسلّ ثانية. كان عنده وقت قليل ثمين، قبل أن تسأم العناكب وترجع إلى أشجارها حيث علقت الأقرام خلال هذا يجب أن ينقذهم. أسوأ جزأ كان العمل فوق الفرع الطويل حيث تتدلى اللفائف. لا أفترض أنه كان سينجح، لولا أن عنكبوتا لحسن الحظ ترك حبل يتدلى وبمساعده رغم انه كان يلتصق بيديه ويؤلمه تسلق فقط ليقابل عنكبوت عجوز سمين لنيم كان بقي وراءهم ليحرس السجناء، وقد انشغل بقرصهم ليعرف أيهم الأكثر عصارة ليأكله. كان قد فكر في البدء في الوليمة بينما الآخرون غائبون، لكن كان السيد باحيز مستعجلا، وقبل أن يفهم العنكبوت ما حدث أحس بالادغ يطعنه وسقط على الأرض ميتا عمل بيلبو القادم هو تحرير الأقرام. ماذا يفعل؟ إذا قصّ الخيط الذي يعلقهم، قد يتلقى القزم البائس صدمة عنيفة من الأرض كما تسقط الثمرة الناضجة من أعلى شجرة فأخذ يمشي على الفرع (الأمر الذي جعل كل الأقرام ترقص) بلغ الرزمة الأولى. "فيلي أو كيللي"، فكر بسبب طرف قلنسوة زرقاء تبرز خارجا "على الأرجح جدا فيلي" فكر لأن طرف أنف طويل ينخس خيوط اللفة. تمكّن عبر الميل فوقه أن يقصّ أكثر الخيوط القوية التي تلفه وهكذا بركلة وبعض الكفاح خرج معظم جسد فيلي أخشى أن أقول أن بيلبو بالفعل ضحك لمنظره وهو يهز يدها وقدماه كما لو كان يرقص بينما هو معلق بالخيوط تحت إبطيه. مثل تلك العرائس المضحكة المعلقة بخيط!

بطريقة أو بأخرى اعتلى فيلي قمة الفرع وأخذ يساعد الهوبيت بذلا قصارى جهده، بالرغم من أنه كان يحسّ بالغثيان جدا والمرض من سم العنكبوت ومن الشنق أكثر الليل والقرص والجرح طوال النهار التالي وقضى دهرًا في نزع تلك الأشياء المقيتة من عينه ورموشه وبالنسبة للحيتة فقد اضطر لقطع معظمها.

في البداية بدءا معا في تحرير قزم ثم آخر وإنزالهم من الشجرة ولم يكن أيهم أفضل حالا من فيلي وبعضهم كان أسوأ كان بعضهم بالكاد يستطيع التنفس (كما ترى فإن للأنف الطويل بعض الفوائد) والبعض تسمّم أكثر من غيره. وبهذه الطريقة أنقذوا كيللي، بيفور، بوفور، دوري و نوري.

بومبر العجوز المسكين كان أكثرهم إرهاقا فقد كان أسمنهم وأكثر من تعرض باستمرار للقرص واللدغ حتى أنه سقط من الفرع وانقلب على وجهه أرضا لحسن الحظ فوق كومة أوراق وظل راقدا مكانه لكن كان مازال هناك خمسة أقرام معلقة في الشجرة حين بدأت العناكب بالعودة مليئة بالكثير من الغضب أكثر من أي وقت مضى. ذهب بيلبو فورا حتى نهاية الفرع قرب جذع الشجرة وبقي خلف أولئك الزاحفون كان قد نزع خاتمه قبل أن ينقذ كيللي ونسى أن يلبسه ثانية لذا فقد بدأوا في الفحيح

"الآن نراك، أنت مخلوقا ضئيل كريبه! سنأكلك وسنترك عظامك وجلدك على الشجرة. أف! معه لادغ أليس كذلك؟ حسنا حسنا سنناله على أي حال، ثم سنعلقه رأسه إلى أسفل ليوم أو إثنان." بينما كان هذا يحدث، كانت الأقرام الأخرى تعمل على تحرير باق الأسرى، ويقصّون الخيوط بسكاكينهم. قريبا الكلّ يكون حرا، ولو أنه لم يكن واضحا ما قد يحدث بعدئذ. كانت العناكب أمسكتهم بسهولة الليلة الماضية لكنهم أخذوا على غرة وفي الظلام بدا هذه المرة أن هناك معركة مريعة.

فجأة بيلبو لاحظ بعض العناكب قد التفتت حول جسد بومبر المسجى أرضا وقامت بلفه ثانية وبدأت في سحبه أصدر صيحة وذبح العنكبوت الواقف قبالة سرعان ما فروا من أمامه وتسلقوا شجرة وقفزوا وسط أولئك الذين على الأرض كان سيفه الصغير شيء جديد عليهم في اللدغ أهه





كيف انقضّ وكر وفر! لمع بالبهجة كلما طعن فيهم. قتل نصف دسته منهم قبل أن يتراجعوا ويتزكوا بومبر له وهتف لباق الأقرام على الفرع :  
"انزلوا انزلوا لا تنتظروا بالأعلى حتى تصطادكم."

لأنه شاهد بعض العناكب تعطي الأشجار المجاورة وتسعى نحو الفروع التي تعلوهم نزلت الأقرام متسلقة أو قفزت وسقطت، أحد عشر في كومة معظمهم مرتجف الأوصال ولا فائدة منهم إن وقفوا على الأقدام وهكذا كانوا أخيرا اثنا عشر بحساب بومبر العجوز المسكين الذي اسند من جانبية على أكتاف قريبه الأخوين بيفور وبوفور وبيلبو يتراقص ملوحا باللاذغ ومئات العناكب تحمق بهم من حولهم ووقهم فبدوا بانسين بلا أمل.

ثم المعركة بدأت. كان عند بعض الأقرام سكاكين، والبعض عصي، والكل يقدر أن يصل للحجارة وعند بيلبو خنجر الجن ومرة تلو الأخرى تهزم العناكب وقتل منهم الكثير لكن هذا ما كان ليستمّر للأبد فقد بدأ بيلبو يشعر بالإرهاق والأقرام تقف بصعوبة فقط أربعة منهم كانوا صامدين وسرعان ما يهزمون مثل الذباب التعسة وبالفعل كانت العناكب الآن قد بدأت تنسج شبكة حولهم من الشجرة إلى الشجرة. في النهاية ببيلبو لم يقدر أن يفكر في خطة باستثناء أن يخبر الأقرام بسرّه عن الخاتم كان أسفا لهذا لكن لم يكن هناك حل آخر.

" سأخفي،" قال. " سأجذب العناكب، إذا قدرت بعيدا؛ و يجب أن تبقوا معا وتمضوا في الجهة المقابلة. إلى اليسار هناك، هذا تقريبا الاتجاه نحو المكان الذي رأينا فيه نار الجن آخر مرة." كان صعبا أن يجعلهم يفهمونه برؤوسهم الدائخة والصياح والضرب بالعصي وقذف الأحجار لكنه في النهاية احس أنه لا يستطيع التأخر أكثر من ذلك فدائرة العناكب تضيق أكثر فارتدى خاتمه فجأة وكم كان ذهول الأقرام لاختفائه!

سريعا بدأ صوت "الكرات الكسولة" و "الخنافس" من بين الأشجار بعيدا على اليمين. مما أزعج العناكب بشدة. توقفوا عن الهجوم وبعضهم مضى تجاه الصوت "الخنافس" جعلتهم يستشيطون غضبا حتى خسروا فطنتهم. ثم بالين، الذي كان قد فهم خطة بيلبو أفضل من الباقيين قاد هجوما تجمعت الأقرام معا في كتلة وأرسلوا سيلا من الحجارة تجاه العناكب وحملوا على العناكب التي يسارهم واخترقوا الحلقة ليصبح خلفهم بعيدا الآن الصياح والغناء الذي توقف فجأة. وعلى أمل أن ببيلبو لم يقع في أيديهم استمر الأقرام في المسير لكن ليس بالسرعة الكافية لأنهم كانوا مرضى ومرهقين ولم يستطيعوا أن يمشوا بأشد من العرج والتأرجح رغم أن العديد من العناكب كانت قريبة لذا من حين لآخر يجب أن يستديروا ويقاثلوا تلك الكائنات التي كانت تتجاوزهم وبالفعل كان بعض العناكب الآن فوقهم على الأشجار تلقي بخيوط طويلة متأرجحة لتبدو الأمور سيئة بشدة مرة أخرى حين ظهر ببيلبو فجأة لينقض على تلك العناكب المذهولة من الجانب حيث لم يتوقعوه.

"استمروا! استمروا!" صرخ. " سأقوم باللاذغ!" وقد فعل كر وفر إلى الوراء وإلى الأمام، شق خيوط العنكبوت ينقض على أرجلهم ويطعن أجسادهم السمينة إذا اقتربوا منه فامتلت العناكب غضبا وأرغت وأزبدت وفحت بلعناث رهيبية لكنهم امتلئوا بخوف مميت من اللاذغ ولم يعودوا يجرؤن على الإقتراب والآن عادوا مرة أخرى فليلعن أولئك العناكب كما يشاءون لكن فرائسهم يبتعدون. ببيطء لكن بنبات بعيدا. كان أكثر الأعمال التي قام بها فظاعة، وبدا أنه سيظل على هذا الحال لساعات. لكن أخيرا، عندما أحس ببيلبو أنه لن يقدر أن يرفع يده لضربة أخرى استسلمت العناكب فجأة وبدلا من تتبعهم عادوا خائبين لمستعمرتهم المظلمة.

لاحظ الأقرام أنهم وصلوا لحافة مكان كانت به حلقة نيران للجن لكنهم لم يستطيعوا أن يتأكدوا إن كانت واحدة من تلك التي مروا بها أمس لكن كان واضحا أن هناك سحر فعال مازال موجودا في المكان، الذي لم تحبه العناكب. على أي حال هنا الضوء كان أكثر خضرة، والغصون قليلة ومتوعدة وكان عندهم فرصة للراحة والنقاط الأنفس.

هناك رقدوا بعض الوقت يلهثون ويتأففون. لكن سريعا ما بدعوا في التساؤل كان عندهم أمر الاختفاء أولا ليسئلوا عنه ومعرفتهم بأمر الخاتم أثار اهتمامهم بشدة حتى نسوا متاعبهم لبرهة





بالين بالذات أصر على سماع قصة الأحاجي وجولام كلها بالكامل مرة أخرى حيث الخاتم يقوم بدوره فيها لكن حين بدأ الضوء في الخفوت انتقلوا لأسئلة أخرى أين هم وأين الطريق وهل هناك أي طعام وماذا سيفعلون فيما بعد؟ سألوا هذه الأسئلة عدة مرات وبدا أنهم ينتظرون من الضئيل بيلبو الإجابة الأمر الذي يخبرك أنهم قد غيروا رأيهم في السيد باجيزز تماما وبدءوا ينظرون له باحترام كبير كما أخبرهم جاندلف أنهم سيفعلون في الحقيقة كانوا ينتظرون منه التفكير في خطة رائعة ما تخرجهم من مأزقهم ودون تدمير فقد كانوا يعرفون أنهم جميعا سيكونون موتى لولا الهوبيت وشكروه عدة مرات. قام بعض منهم حتى وانحنى تماما في الساحة أمامه، ولو أنهم سقطوا من الجهد ولم يقدرُوا أن ينهضوا على أرجلهم مرة ثانية لوقت طويل. ومعرفتهم حقيقة أمر الاختفاء لم تقلل من احترامهم له على الإطلاق لأنهم رأوا أنه يملك الكثير من الفطنة إلى جانب الحظ وخاتم سحري وثلاثتها ممتلكات مفيدة للغاية. فعلا مدحوه جدًا كثيرا حتى بدأ بيلبو يعتقد أن المغامرات الجريئة ربما تليق به حقا رغم أنه كان سيحس بجرأة أعظم لو أن هناك شيء ما يؤكل لكن لم يكن هناك أي شيء أي شيء على الإطلاق ولم يكن أيهم مستعد للذهاب والبحث عن أي شيء أو أن يبحث عن الطريق المفقود. الطريق المفقود! لم تأت فكرة أخرى لذهن بيلبو المرهق إلا عنه فقط جلس يحملق في أشجار بلا نهاية أمامه وسرعان ما عم الصمت ثانية باستثناء بالين الذي أخذ يغمغم ويقول لنفسه "جولام! فليرحمني الرب! هكذا مر منه! وهكذا تسلل مني الآن اعرف! الآن زحف بهدوء على طول فعلقك، السيد باجيزز؟ أزرار في كل العتبة؟ بيلبو القديم الجيد-بيلبو-بيلبو-بوبو بو" ثم سقط نائما وكان هناك صمت كامل لوقت طويل.

كانت صدمة فظيعة. طبعا كان هناك فقط ثلاثة عشر، إثننا عشرة من الأقزام والهوبيت. حقا أين كان ثورين؟ تساءلوا أي قدر شريير أصابه وحوش مظلمة أو سحرية؛ واقشعروا وهم مفقودون في الغابة. هناك تساقطوا واحدا بعد الآخر في نوم غير مريح مليء بأحلام مريعة، عندما أتى المساء بظلام ليله؛ وهناك نضطر لتركهم في هذه البقعة وهم مرهقون ومتعبون حتى أنهم لا يستطيعون ترتيب حراسة لهم.

أمسك بثورين أسرع بكثير من الباقيين. تتذكر أن بيلبو سقط مثل لوح الخشب في النوم، عندما خطا في دائرة النار؟ في المرة التالية كان ثورين الذي خطا إلى الأمام، وعندما اختفت الأضواء سقط كالحجر المفتون وكل ضجة الأقزام في الليل، صيحاتهم من العناكب ووثبتهم، وكل الأصوات في اليوم التالي للمعركة، كانت قد مضت دون أن يسمعها ثم أتى جن الغابة لأجله فالقوم المحنقون كانوا جن الغابة وهم ليسوا أشرار وإن كان بهم عيب فهو عدم الثقة بالغرباء. ولو أن سحرهم قوي، حتى في تلك الأيام هم شديدي الحذر اختلفوا عن جن الغرب العالي، وكانوا شديدي الخطر وأقل حكمة. أغلبهم (بالإضافة لأقاربهم المنتشرين في التلال والجبال) ينحدرون من القبائل القديمة التي لم تذهب أبدا لأرض الجنيات في الغرب فهناك عاش جن المصاييح وكن الأعماق وكن البحر لعقود ليشبوا أحكم وأطف وأكثر تعلما، واخترعوا سحرهم وحرهم الماكرة، لصنع أشياء مذهلة وجميلة، قبل أن يعود بعضهم للعالم الواسع وفي العالم الواسع تخلف جن الغابة في شفق شمسنا وقمرنا لكن أكثر ما أحبته هو النجوم وتجوّلوا في الغابات العظيمة التي نمت طويلا في أراض فقدت الآن سكنوا أكثر الأحيان على حواف الغابات التي قد يفقدون أن يهربوا منها للصيد أو أحيانا يطوفون، أو يركبون في الأراضي المفتوحة في ضوء القمر والنجوم وبعد مجيء البشر اتجهوا أكثر وأكثر إلى الغسق والظلام. لكنهم يظنون جنا في النهاية وتلك شعوب جيدة.

في مغارة عظيمة على بعد بضعة أميال من حافة ميركوود فوق جانبها الشرقي عاش هناك أعظم ملوكهم في هذا الوقت. أمام أبوابه الضخمة الصخرية يجري نهرا من أعالي الغابة ويتدفق على وخارج المستنقعات على سفح أرض الغابات العالية. هذه المغارة العظيمة، التي تفتح منها عدد لانهائي من المغارات الصغيرة على كل الجوانب تتعمق بعيدا تحت الأرض وكان لها العديد من المعابر وقاعات عريضة؛ لكن كانت أكثر إضاءة وأجمل من أي من أنفاق الغيلان وليست شديدة





العمق أو خطرة في الحقيقة فإن أتباع الملك يعيشون ويصطادون في الغابات المفتوحة ولهم بيوت أو أكواخ على الأرض وفي الفروع. كانت شجر الزان شجرهم المفضل. لكن كانت مغارة الملك قصره، و مكان كنوزه الحصين والقلعة الأمنة لشعوبه ضد أعدائهم. وكانت أيضا زنزانة سجنائه. وهكذا إلى المغارة جرّوا ثورين بالكثير من اللطف فهم يكرهون الأقرام وظنوه عدوا ففي الأيام الغابرة كانت لهم حروب مع بعض الأقرام الذين اتهموهم بسرقة كنوزهم ومن المنصف أن نقول أن الأقرام كان لهم وجهة نظر مختلفة فهم أخذوا ما يرونه أجرهم لأن ملك الجن كان اتفق معهم على صياغة

ذهبه الخام وفضته ثم رفض أن يدفع لهم أجرهم ذلك أنه لو كان لملك الجن نقطة ضعف فهي الكنوز خاصة للفضة والمجوهرات؛ و ولو أنه كان غنياً، كان متلهفاً على الكثير دائماً، لأن ليس عنده ما يماثل باق سادة الجن القدماء وشعوبه لا تقوم بالتعدين أو صياغة المعادن أو الجواهر، ولا يتحملون مشقة التنقل للتجارة أو فلاحه الأرض كان هذا معروفاً جداً لكلّ قزم، ولو أنّ عائلة ثورين لا علاقة لها بالمشاجرة القديمة التي قتلها لكم . نتيجة لذلك ثورين كان غاضباً من معاملتهم له حين رفعوا تعاويذهم عنه وعاد لوعيه وأدرك أنه لا يجب أن يذكر كلمة عن الذهب أو الجواهر.

نظر الملك بصرامة لثورين، عندما أحيل إليه، وسأله العديد من الأسئلة. لكن ثورين أجاب فقط بأنه كان يتضور جوعاً.

"لماذا أنت وقومك حاولتم ثلاث مرات مهاجمة رجالي في احتفالهم؟ " سأل الملك.

" لم نهاجمهم،" أجاب ثورين؛ " بل جننا نلتمس المساعدة لأننا كنا نتضور جوعاً "

"أين أصدقائك الآن، و ماذا يفعلون؟"

" لا أعرف، لكن أظنهم يموتون من الجوع في الغابة."

"ماذا كنت تفعل في الغابة؟"

"نبحث عن الغذاء و شراب، لأننا كنا نتضور جوعاً."

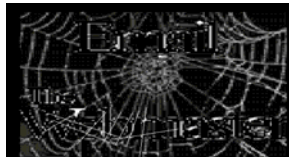
"لكن ما أدخلك الغابة أصلاً؟" سأل الملك بغضب.

وهنا أطبق ثورين فمه ولم يقل كلمة أخرى.

قال الملك "حسناً جداً خذوه بعيداً وأبقوه في أمان حتى ينكسر غروره ويخبرنا الحقيقة حتى لو انتظر مائة عام لهذا!"

لذا وضع الجن رباطاً عليه وحبسوه في أحد أعمق الكهوف الداخلية بباب خشبي قوي وتركوه وأعطوه طعاماً وشراباً الكثير منهما لكن ليس من أطايبهما فلم يكن جن الغابة مثل الغيلان وكانوا يحسنون معاملة ألد أعدائهم إن وقعوا في أيديهم فقط العناكب العملاقة كانت المخلوق الوحيد الذي لا يلق منهم رحمة.

وهناك في سجن الملك جلس ثورين المسكين وبعد أن أدى الشكر على ما ناله من الخبز واللحم والماء بدأ يتسائل عما أصاب رفاقه التعساء ولم يمض وقت طويل حتى انجلي الأمر لكن هذا يتبع الفصل التالي ومغامرة أخرى اثبت فيها الهوبيت مجدداً نفعه.







## الفصل (٩)

### براميل بلا لجام

في اليوم التالي للمعركة مع العناكب بدأ بيلبو والأقزام محاولة يائسة أخيرة لإيجاد مخرج قبل أن يقتلهم الجوع والعطش فبدأوا في التراجع في الاتجاه الذي خمن ثمانية من ثلاثة عشر هم أنه اتجاه الطريق لكنهم لم يكتشفوا أبداً إن كانوا على حق وقد بدأ نهار الغاية مرة أخرى في الخفوت نحو ظلمة ليلها حين تألقت حولهم فجأة أضواء مئات المصابيح حولهم كما لو كانت مئات نجوم حمراء وقفز نحوهم جن الغاية بأقواسهم ورماحهم وهتفوا بالأقزام أن يتمهلوا.

لم يكن هناك مجالاً للتفكير في القتال حتى لو لم يكن الأقزام في تلك الحالة التي تجعلهم سعداء بالأسر فسكاكينهم الصغيرة وهي السلاح الوحيد الذي يملكونه لن تكون ذات نفع أمام أقواس الجن الذين يستطيعون إصابة عين طائر في الظلام. لذا ببساطة توقفوا كالموتى وجلسوا جميعاً ماعدا بيلبو الذي التقط خاتمه وارتداه وانسل مبتعداً على أحد الجانبين وهكذا حين قيد الجن الأقزام في خطٍ طويل، دبر واحد الآخر، وأحصوهم، لم يجدوا أو يحصوا الهوبيت أبداً. ولا سمعوه أو احسوا به يهرول خلفهم بعيداً عن أضواء المشاعل بينما يقودون أسراهم في الغاية. كان كل قزم معصوب العينين، لكن لم يكن هناك اختلافاً، فحتى بيلبو بعينيه المدربتين لم يقدر أن ير أين هم ذاهبون ولم يكن أيهم يعرف من أين بدءوا الرحلة وأخذ بيلبو يحاول ملاحقة المشاعل أمامه حيث دفع الجن الأقزام للمضي بأسرع ما يقدر وهم على حالهم من المرض والتعب فقد أمرهم الملك بالسرعة فجأة توقفت المشاعل، وكان عند الهوبيت الوقت بالكاد ليلحق بهم قبل أن يعبروا الجسر. كان هذا الجسر الذي يؤدّي عبر النهر إلى أبواب الملك. تدفق الماء خطافاً مظلماً وقويّاً تحتهم؛ وفي النهاية البعيدة أبواب أمام فم المغارة الضخمة في جانب منحدر شديد مغطى بالأشجار. هناك شجر الزان العظيم يأتي نحو ضفة النهر حتى تلتقي معه وعبر هذا الجسر مر الجن دافعين سجنائهم لكن بيلبو تردد في الخلف فلم يحب على الإطلاق منظر الفم الفاجر للكهف ثم عقد عزمه على ألا يتخلى عن أصدقائه وفي الوقت المناسب قفز خلف أرجل الجن الراكض قبل أن تغلق أبواب الملك العظيمة خلفهم بضجة.

داخل المعابر أضى بمشاعل حمراء، والحراس تنشد أثناء السير خلال المنحنيات والتقاطعات والطرق التي تردد الصدى ولم تكن مثل مدينة الغيلان فقد كانت أصغر وأقل بعداً عن سطح الأرض وهوائها نقي. في قاعة عظيمة مع الأعمدة المنحوتة من الحجر الحيّ جلس ملك الجن على كرسيّ من الخشب المنقوش. فوق رأسه تاج من التوت وأوراق حمراء فالخريف جاء ثانية. في الربيع يلبس تاج من أزهار الغاية. في يده صولجان منقوش من البلوط.

أحيل السجناء إليه؛ ولو أنّه نظر بتجهم لهم فقد أخبر رجاله أن يفكوا قيودهم لأنهم مرهقون "علاوة على ذلك لا يحتاجون حبلاً بالداخل هنا فليس هناك مهرب من أبواب السحرية لمن أحضر للداخل مرةً."

استجوب الأقزام كثيراً وتفصيلاً عن أعمالهم، وأين كانوا ذاهبين، ومن أين أتوا لكن حصل منهم على القليل أكثر مما قال ثورين. كانوا فظين وغاضبين ولم يتظاهروا حتى بالأدب.

"ماذا نفعل، يا ملك؟" قال بالين، الذي كان الأكبر سناً. "هل جريمة أن تتوه في الغاية، أن تكون جائعاً وعطشاناً، أن تقع في فخّ بواسطة العناكب؟ هل العناكب دواجنكم أو حيواناتكم الأليفة، إذا كان قتلهم جعلكم غضبي؟"

جعلت تلك الأسئلة طبعاً الملك أشد غضباً من أي وقت مضى، وأجاب:

"إنها جريمة أن تتجول في مجالي بدون إذن. هل تنسى أنك كنت في مملكتي، مستخدماً الطريق الذي صنعه شعوبي؟ ألم تتابع ثلاث مرات وتضايق شعبي في الغاية؟ وإيقاظ العناكب بشغبك وصخبك؟ رغم كل ذلك الاضطراب أنت منحتني الحق الكامل لأن أعرف ما أحضرك هنا، وإذا لم تخبرني الآن، سأضعكم جميعاً في السجن حتى تتعلموا التهذيب والأخلاق."





ثم أمر بالأقزام كل إلى نفق ويعطى لهم غذاء وشراب، لكن لا يجوز لهم عبور أبواب زنازينهم حتى يخبره أحدهم على الأقل كل ما يريد أن يعرف لكن لم يخبرهم أن ثورين كان أيضا سجين معهم. كان بيلبو من اكتشف ذلك.

مسكين السيد باجينز - كان مرهقا لوقت طويل وبقي في ذلك المكان وحيدا، ودائما في الإخفاء، أبدا لم يتجاسر أن يخلع خاتمه، بصعوبة تجاسر أن ينام، يبقى في الأركان الأشد ظلما والأقل نشاطا التي استطاع إيجادها. ليفعل أي شيء يشغله أخذ يتجول في قصر ملك الجن ورغم أن السحر أغلق الأبواب، لكنه استطاع أن يخرج أحيانا، إذا كان سريعا بمرافقة جن الغابة، أحيانا والملك على رأسهم، الذي كان من وقت لآخر يركب للصيد أو لباقي مشاغله في الغابة والأراضي شرقها وإذا كان بيلبو شديد الرشاقة يستطيع أن ينسل خلفهم رغم أن هذا كان خطرا فأكثر من مرة كادت الأبواب أن تمسكه بينما هي تتعلق خلف آخر جني كما أنه لم يمض وسطهم خوفا من ظله الذي يظهر في أضواء المشاعل شاحبا ومتذبذبا أو خشية أن يصطدم ويكتشف. وعندما يخرج - الأمر الذي كان قلما يحدث فلم يرغب في أن يهجر الأقزام، وحقا لم يعرف كيف يذهب إلى أي مكان في العالم- لم يكن يستطيع متابعة الجن أثناء الصيد طوال الوقت لهذا لم يكتشف أبدا طرق الخروج من الغابة ليترك وحيدا تعسا في الغابة مرتعبا من فكرة أن يتوه فيها حتى تأتي فرصة العودة للداخل وكان شديد الجوع بالخارج لأنه لم يكن يجيد الصيد لكن بالداخل يستطيع اكتساب قوته بنوع من الإختلاس من المخزن أو المائدة حين لايمد أحد يده ويقول لنفسه "أنا مثل الصعلوك الذي لا يستطيع الخروج لكنه يستمر في الصعلكة والهجوم على نفس البيت مرارا وتكرارا هذا هو أكثر جزء تعب ووحشة طوال هذه المغامرة المرهقة المملة البائسة! أتمنى العودة للبيت حيث مدفأتي الدافئة بجوار مصباحي المنير!" كثيرا ما تمنى أيضا أن يستطيع إرسال رسالة نجدة للساحر لكن هذا بالطبع كان مستحيلا وسرعان ما أدرك أنه إذا كان يجب أن يفعل شخص ما أي شيء فيجب أن يكون السيد باجينز وليس أي شخص آخر وهكذا بعد أسبوع أو اثنان من حياة الإختلاس تلك ومراقبة الحراس وانتهاز كل فرصة تلوح له استطاع معرفة أين وضع كل قزم فعرف زنازينهم الاثنى عشر في مختلف أماكن القصر وبعد مدة عرف طريقه جيدا وما فاجأة بشدة أن سمع بعض الحراس يتحدثون ويذكرون وجود قزم آخر حبيس في مكان خاص عميق مظلم وبالطبع فهم على الفور أنهم يتحدثون عن ثورين وبعد وقت معين وجد تخمينه صحيح. أخيرا بعد العديد من المصاعب استطاع أن يجد المكان الذي لم يكن به أحد وتبادل كلمة مع زعيم الأقزام كان ثورين أتس من أن يكون غاضبا من حظه التعس وبل بدأ يفكر في إخبار الملك كل شيء عن ثروته وبحثه (الأمر الذي يظهر إلى أي مدى أصبح مكتئبا) عندما سمع بصوت بيلبو الضئيل من ثقب مفتاحه. لم يصدق أذنيه حتى أدرك أنه ليس مخطئ واتجه للباب ليتبادل همسا طويلا مع الهوبيت وهكذا استطاع بيلبو أن ينقل رسائل ثورين السرية لباقي المساجين وأن يخبرهم أنه سجينا مثلهم وهكذا فعلهم ألا يقولوا كلمة إلا بعد إذن ثورين. فتورين كان قد استعاد روحه حين سمع كيف انقذ الهوبيت رفاقه من العناكب وعقد العزم مرة أخرى ألا يفندي نفسه بوعده للملك بنصيب من الكنز حتى يتبخر كل أمل آخر في الهروب وحتى يفشل تماما الرائع الخفي السيد باجينز (الذي بدأ يكون عنه رأيا راقيا جدا حقا) في أن يفكر في شيء ما ذكي. وافقت الأقزام الأخرى تماما عندما حصلوا على الرسالة. فقد رأوا أن أسهمهم في الثروة (اعتبروها لهم بالرغم من ورطتهم و التئنين الذي لا يقهر الساكن فوقها!) قد تتأذى بجدية إذا طالب جن الغابة بجزء منه، ووثقوا جميعا ببيلبو تماما كما أخبرهم جاندلف أنهم سيفعلون ولعل هذا كان أحد أسباب رحيله وتركه لهم.

لم يشعر بيلبو، مع ذلك بالتفاؤل مثلما فعلوا. لم يحب أن يكون محط آمال الجميع وتمنى لو كان الساحر معه لكن بلا فائدة فلعل كل المسافة المظلمة لميركوود تقع بينهما فجلس وفكر ثم فكر إلى أن انفجر رأسه تقريبا، لكن بلا فكرة ساطعة. قد يكون من الحسن أن يملك خاتم إخفاء لكنه قليل النفع بين أربعة عشر بالطبع في النهاية كما خمنت فقد استطاع إنقاذ أصدقائه كيف؟ هذا ما حدث: ذات يوم بينما هو يفتش ويتجول اكتشف بيلبو شيء مثيرا جدا الأبواب العظيمة لم تكن المدخل





الوحيد إلى المغارات. يتدفق مجرى تحت جزء من المناطق السفلية في القصر ويتصل بنهر الغابة في مكان ما بعيد شرقا بعد المنحدر الحاد الذي ينبع منه الينبوع الرئيسي حيث هذا المجرى الجوفي يأتي نابعا من جانب التلال حيث توجد بوابة مائية وهناك رصيف صخري ينحدر نحو



سطح الماء حيث وضع سياج يمكن إسقاطه لقاع النهر ليمنع أي شخص من الدخول أو الخروج. لكن كانت البوابة مفتوحة غالبا، حيث توجد حركة مرور كبيرة عبر البوابة المائية وإذا أتى أي شخص عبر هذا المكان سيجد نفسه في نفق مظلم خشن يؤدي لقلب التل لكن في منطقة

معينة حيث يمر المجرى تحت الكهوف قطع الرصيف الصخري وغطي بأبواب سحرية عملاقة من خشب البلوط مفتوحة إلى الأعلى في سراديب الملك. وهناك وضعت براميل، وبراميل، وبراميل؛ لجن الغابة ولاسيما ملكهم، كان مولعا جدا بالخمير، ولو أن الكروم تندر في تلك الأجزاء. الخمير، وبضائع أخرى، كانت تحضر من بعيد، من أنسابهم في الجنوب، أو من بساتين العنب للبشر في أراضي بعيدة.

وبينما هو يختبئ خلف أحد أكبر البراميل اكتشف بيلبو الأبواب السحرية واستعمالها، وظل هناك، يستمع إلى حديث خدم الملك فعلم كيف أن الخمير وبضائع أخرى تأتي عبر الأنهار، أو فوق الأرض إلى بحيرة لونج البحيرة الطويلة. يبدو أن مدينة بشر تزدهر هناك، بنيت على الجسور بعيدا في الماء للحماية ضد الأعداء من كل الأنواع، ولاسيما ضد تنين الجبل. ومن مدينة البحيرة تأتي البراميل لنهر الغابة. غالبا كانت تربط معا جيدا مثل طوف كبير وتجذب أو تدفع مع التيار أو أحيانا تحمل على قوارب كبيرة عندما تفرغ البراميل تلقياها الجن من الأبواب السحرية فتمضي عبر البوابة المائية المفتوحة لتطفو البراميل مع التيار تتراقص على سطحه حتى يحملها التيار لمكان بعيد أسفل النهر حيث تبرز الضفة قريبا من نهاية الحافة الشرقية لميركوود وهناك تجمع وتربط وتطفو عبر النهر إلى مدينة البحيرة القريبة من مصب النهر في بحيرة لونج لمدة أخذ بيلبو يفكر في تلك البوابة المائية كمهرب لأصدقائه وأخيرا بدأ في أول خطوة يائسة من خطته.

وزعت الأكلة المسائية على السجناء. كان الحراس يمضون بعيدا آخذين معهم ضوء المشاعل عبر الممرات تاركين كل شيء في الظلام وسمع بيلبو رئيس خدم الملك يلقي تحية المساء على الحراس.

"الآن تعال معي وتذوق الخمير الجديد الذي أتى الآن. سأعمل بجهد هذا المساء في تفرغ الأقبية من الخشب ولذا دعونا نأخذ شرابا يخفف عنا مخاض الليلة."

ضحك رئيس الحراس. "حسنا جدا. سأذوق معك، وأرى إذا كان صالحا لمائدة الملك. هناك عيد هذا المساء ولن يكون من الجيد أن ترسل له بضاعة سيئة"

عند هذا رفر بيلبو من السعادة فقد أحس أن الحظ يساندته وعنده فرصة نادرة لتنفيذ خطته اليائسة فتبع كلا الجنيين حتى دخلا قبو صغير وجلسا على مائدة عليها إبريقان كبيران وبدءا يشربان ويضحكان بفرح.

كان حظ من نوع غير عادي يؤيد بيلبو. يجب أن يكون الخمير قويا ليجعل جني غابة خاملا؛ لكن هذا الخمير، هذا الخمير كان خمير مسكر من أفضل مواسم الكروم من حدائق دروينيون (Dorwinion) ليس لجنوده أو خدمه، لكن لأعياد الملك فقط، وليصب في كؤوس صغيرة وليس في إبريق كبير الخدم الضخم.

سريعا جدا ما أسقط رئيس الحرس رأسه، ثم طرحه على الطاولة وسقط مستغرقا في النوم. استمر كبير الخدم في الضحك والكلام لنفسه لفترة بدون أن يلتفت، لكن سريعا ما انحنى على الطاولة هو الآخر وسقط نائما يغط قرب صديقه. ثم دخل الهوبيت زاحفا. سريعا جدا لم يعد رئيس الحرس يحمل مفاتيحه لكن كان بيلبو يهرول بأسرع ما يمكنه طوال النفق نحو الزنازين وقد بدت الحلقة الكبيرة ثقيلة جدا له ويكاد يقفز قلبه من فمه رغم ارتدائه الخاتم لأنه لم يستطع منع المفاتيح من إصدار رنينها كل وقت وآخر مما أثار رجفته.





بدأ أولاً بتحريير بالين وأغلق الباب بحرص ثانية ما أن خرج القزم بالين كان مندهشاً بشدة كما يمكنك أن تتصور لكن سعادته بالخروج من حبسه الحجري الضيق كانت الغالبة رغب أن يتوقف ويسأل أسئلة، و يعرف ماذا سيفعل وكل ما إلى ذلك.

قال الهوبيت "لا وقت الآن! يجب أن نبقى كلنا معا ولا نجازف بأن ننفصل. يجب أن نفرّ كلنا أولاً أحد، وهذه فرصتنا الأخيرة. إذا اكتشف هذا، الرب وحده يعلم أين سيضعكم الملك مع السلاسل على أيديكم والأقدام أيضاً كما أظن. لا تناقش! كن رقيقاً طيباً "

ثم انطلقا من باب لباب حتى تبعه اثنا عشر قرماً ليس منهم من يملك رشاقة كافية وهو الأمر الذي مع سجنهم الطويل والظلام المخيم أثار الرعب في قلب بيلبو كلما اصطدم أحدهم بالآخر أو زمجر أو همس في الظلام فقال لنفسه "أف لذلك الخرق القزمي "

لكن كل شيء مضى على ما يرام ولم يلاقوا أي حراس ففي الحقيقة كان هناك عيد خريفي عظيم في الغابة في ذلك الوقت ويمتد للتلال فوقها فكان كل شعب الملك تقريباً يحتفل ويمرح وأخيراً بعد الكثير من التخبط وصلوا لزنزانة ثورين الموجودة بعيداً في مكان عميق لكنه لحسن الحظ قريب من الأقبية قال ثورين حين همس له بيلبو لينضم لهم "أنا عند كلمتي! قال جاندالف الحقيقة كعادته لقد قمت بصعلكة رائعة وحين يحين الوقت أؤكد لك أننا جميعاً سنكون في خدمتك مهما حدث بعد الآن لكن ماذا سنفعل الآن؟"

ف رأى بيلبو أن الوقت حان لشرح فكرته بأفضل ما يمكن لكنه لم يكن واثقاً عن كيف سيتقبلها الأقرام وكانت مخاوفه في محلها فلم تلق منهم قبولاً وبدعوا في التذمر بصوت عال رغم الخطر المحقق بهم.

" سنرضّ ونذك إلى أشتات، ونغرق أيضاً بالتأكيد ظنناً أنك عند بعض الفهم والإدراك، عندما تمكنت من أن تتحصّل على المفاتيح. هذه فكرة مجنونة!"

"حسناً جداً!" قال بيلبو وهو مكتئب للغاية، وأيضاً متضايق. "هيا بنا نعود لزننازيناكم اللطيفة، وسأغلق عليكم مرة أخرى ويمكن أن ترتاحوا هناك حتى تأت لكم فكرة أفضل لكن لا أظن أنني سأحصل على المفاتيح ثانية أبداً حتى لو شعرت أنني مستعد لذلك "

كان ذلك قاسياً جداً لهم، وهدعوا على الفور وفي النهاية، طبعاً، اتبعوا ما اقترحه بيلبو فقد بدا لهم واضحاً أنه من المستحيل عليهم البحث عن طريقهم في القاعات العلوية، أو أن يشقوا بالقتال طريقهم خارج الأبواب التي تغلق بالسحر؛ ولم يكن التذمر جيداً وهم في الممرات لكي يقبض عليهم ثانية لذا تبعوا الهوبيت لأسفل حيث أعمق الأقبية التي زحفوا لها وعبروا باباً وهم يرون رئيس الحرس وكبير الخدم يغطون في نومهم السعيد وابتسامة جميلة تعلق وجوههم من أحلامهم الرائعة العميقة التي يأتي بها خمر دوروينيون وسيكون هناك تعبير مختلف تماماً على وجه رئيس الحرس في اليوم التالي رغم أن بيلبو قبل أن يذهب تسلل وبطبيعة قلب أعاد له المفاتيح لحزامه وقال: هذا سيوفر عليه بعض المتاعب التي سيقع فيها فقد كان شخصاً جيداً وعطوفاً ومحترماً مع المساجين سينصرون أننا امتلكننا سحراً قوياً للغاية لكي نعبر من كل تلك الأبواب المغلقة ونختفي. نختفي! يجب أن نذهب بسرعة شديدة إذا أردنا لهذا أن يحدث."

أمر بالين أن يراقب الحارس وكبير الخدم ويمنح إنذاراً إذا تحركوا. ذهب الباقيون إلى القبو التالي الذي يحوي الأبواب المسحورة. كان هناك القليل من الوقت ليخسره. فلن يمضي وقت طويل كما يعلم بيلبو وسيأتي بعض الجن لمساعدة كبير الخدم لكي يفرغ البراميل الفارغة عبر الأبواب في المجرى. وهي البراميل التي كانت وضعت بالفعل في صفوف وسط الأرضية في انتظار أن تدفع إلى النهر بعضها كان براميل خمر ولم تكن صالحة لأنه لا يمكن فتحها عند النهاية دون ضجة كبيرة ولا يمكن إغلاقها ثانية بإحكام لكن كان هناك العديد من البراميل الأخرى التي تستخدم لأمتعة مختلفة زبد، تقاح، وكل أنواع الحاجات، إلى قصر الملك. وجدوا سريعاً ثلاثة عشر بها فراغ كاف للقزم في كل واحد. وفي الواقع كان بعضها متسع أكثر من اللازم فأخذ الأقرام يفكرون منزعجين وهم يعتلونها في كم الرج والخبط الذي سينالهم بالداخل رغم أن بيلبو بذل ما في وسعه لجلب القش وغيره من الأشياء ليملاً البراميل بها بأفضل ما يمكن في وقته الضيق





وأخيرا دخل اثنى عشر قزما بها فتورين أثار الكثير من المتاعب وأخذ يدور ويلتف في برميله ويزمجر ككلب عملاق محبوس في قناة ضيقة أما بالين الذي كان في النهاية فآثار الكثير من الجدل عن ثقب التهوية وقال أنه يختنق قبل حتى أن يوضع عليه الغطاء فبذل بيلبو وسعه لغلغ كل الثقوب في جوانب البراميل وإعادة الأغشية بأسلم ما يمكنه والآن عاد وحيدا مرة أخرى يجري ويدور واضعا اللمسات الأخيرة على ما عبأه ويأمل الأمل تلو الآخر أن تمضي خطته على ما يرام ولم يمض وقت طويل فقط دقيقة أو اثنان بعد أن وضع غطاء بالين عليه حتى أتت الأصوات وبريق المشاعل ودلف عدد من الجن يضحكون ويتحدثون ويغنون لداخل القبو وقد تركوا احتفالا مبهجا داخل إحدى القاعات العلوية وينون العودة له بأسرع ما يمكنهم وقال واحد "أين جالوين العجوز كبير الخدم؟ لم أره على الموائد اليوم ينبغي أن يكون هنا الآن ويرينا ماذا نفعل."

قال آخر "سأشتط غضبا إذا تأخر هذا المدرب العجوز فلا نية عندي لإضاعة الوقت هنا بينما الغناء بالأعلى!"  
أنت صيحة "هاهاها هاهو الوغد العجوز ورأسه على الإبريق كان ينال احتفالا خاصا مع صديقه القائد."

صرخ الباقون بنفاد صبر "هزه وأوقظه" ولم يكن جالوين سعيدا إطلاقا بهزه وإيقاظه وكان أبعد ما يكون عن المرح فزمجر "تأخرتم جميعا انتظرت هنا طويلا جدا بينما يارفاق تمرحون وتشربون وتنسون واجباتكم لا عجب إذا سقطت نائما من الملل."  
قال الآخرون "لا عجب بالطبع إذا كان التفسير في الكوب الذي أمامك تعال وأدقنا من رشفاتك المنومة قبل أن نسقط أرضا لا حاجة لإيقاظ السجان فيبدو أنه حصل على نصيبه كما يبدو."  
ثم أخذ كل منهم كأسا وظهرت عليهم السعادة فجأة لكنهم لم يفقدوا عقولهم تماما فصرخ بعضهم "أنقذنا يا جالوين لقد بدأت احتفالك مبكرا وأضعت عقلك! وقد كومت بعض أكوام الكعك هنا بدلا من تلك الفارغة بالأعلى فهل هناك أي شيء ثقيل!"

زمجر فيهم "ابدعوا العمل لا يوجد خطأ في الإحساس بالثقل بين أيدي خمر مثالي تلك هي التي ستذهب ولا يوجد شيء آخر افعلوا كما أمرتكم"  
أجابوا وهم يدرجون البراميل للفتحة "حسنا حسنا ليكن هذا في عقلك إذا ألقيت أمتعة الملك وخمره المفضل في الماء ليحتفل بها بشر البحيرة مجانا"  
"لقة-يلف-يلف-يلف"

لقة-يلف-لف أسقط في الثقب أنا

هووووه رفع! سمين رشاش!

تحت يذهبون، نزولا يتصادمون!"

هكذا غثوا مع أول برميل ثم آخر يتبعه يدمدم إلى الفتحة المظلمة ويسقط في الماء البارد على بعد بضعة أقدام تحتهم. بعض البراميل كان فارغ حقا، البعض كان معبأ بقزم في كل واحد؛ لكن الكل ذهب لأسفل، واحد بعد آخر، مع الكثير من الصدمات والخبطات ترتطم قمة الواحد بمن سبقه وترتطم بالماء، تتدافع قبالة جدران النفق، تدق في بعضهم البعض، وتلتف بعيدا إلى أسفل النهر. في هذه اللحظة بيلبو فجأة اكتشف النقطة الضعيفة في خطته. على الأرجح جدا أنت رأيتها منذ بعض الوقت وقد ضحكت عليه؛ لكن لا أفترض أنك قد تفعل لنفسك بمقدار النصف لو كنت في مكانه. طبعاً لم يكن هو نفسه في برميل! ولم يكن هناك أي شخص ليعبئه في واحد بفرض وجود فرصة للاختباء به بدا كما لو أنه بالتأكيد خسر أصدقائه هذه المرة (تقريباً كلهم كانوا قد اختفوا الآن في الباب المظلم) ويتخلف وحيدا تماما ويجب أن يمكث متربصا كص في كهف الجن للأبد فحتى لو قدر أن يفر إلى الأبواب الأعلى حالا، كان عنده فرصة ضعيفة إلى حد بعيد أن يعثر على الأقرام ثانية. لم يعرف الطريق البري إلى حيث المكان الذي تجمع البراميل به. تساءل ماذا بحق السماء يمكن أن يفعلوا دونه فلم يكن عنده الوقت الكافي ليخبرهم كل ما عرفه وماذا كان ينوي أن يفعل فيما بعد أن يخرجوا من البراميل وبينما كل تلك الأفكار السوداء تمر بعقله كان





الجن المرحون يشرعون في الغناء المبتهج حول الباب وبعضهم بدأ بالفعل في جذب الحبال التي  
ترفع السياج من على بوابة النهر ليتركوا البراميل تطفو مبتعدة  
"أسفل النهر المظلم السريع أنت تذهب  
ارجع إلى الأراضي أنت ذات مرة عرفت!  
اترك القاعات و الكهوف العميقة،  
اترك الجبال الشماليّة منحدرًا،  
حيث الغابة بعيدا و ضوء غائم  
دور في رمادي ظلّ وقاس!  
اطف وراء عالم الأشجار  
خارج في النسمة الهامسة،  
بعد التسرّع، بعد القصب،  
بعد أمواج أعشاب المستنقع،  
إلى الضباب حيث نهوض البياض  
فوق من البحيرة والبركة في المساء!  
اتبع، اتبع النجوم الوائبة  
فوق السموات برد و منحدر؛  
والتف عندما يصيب الفجر أرضًا،  
فوق رمل انتهى، سريع،  
جنوبا بعيدا! و جنوبا بعيدا!  
ابحث عن ضوء الشمس و النهار،  
يرجع إلى المرعى، يرجع إلى خمر العسل،  
أين الأبقار و تغذية ثيران!  
ارجع إلى الحدائق على التلال  
حيث ينتفخ التوت و يحشى  
تحت ضوء الشمس، تحت النهار!  
جنوبا بعيدا! و جنوبا بعيدا!  
أسفل النهر المظلم السريع أنت تذهب  
ارجع إلى الأراضي أنت ذات مرة عرفت!"

الآن لفّ البرميل الأخير إلى الأبواب! في اليأس وعدم معرفة ما خلاف ذلك، أمسك بيلبو الضئيل  
المسكين به ليسقط من الحافة معه. تحت في الماء سقط، طش! في الماء المظلم البارد والبرميل  
فوقه. صعد فوقه ثانية وهو يبقب و يلتصق به مثل الفأر لكن رغم كل ما بذله من جهد لم يستطع  
الصعود على قمته كلّ مرة يجرب، يلتف البرميل ويسقطه أسفله فقد كان فارغا بالفعل ويطفو  
خفيفا كالفلين ورغم أن أذانه كانت مليئة بالماء، قدر أن يسمع بأنّ الجن يغنون في القبو فوقه ثم  
فجأة أغلق الباب بفرقة وتلاشت أصواتهم.

كان في النفق المظلم، يطفو في ماء مثلج، في عزلة لأنك لا تقدر أن تحصي أصدقاء معبأة في  
براميل وسريعا جدًا ظهرت رقعة رمادية عبر الظلام من الأمام. وسمع صرير البوابة المائية  
وهي تفتح لأعلى، ووجد نفسه وسط كومة من البراميل والأزيار والققف تضغط بعضها على  
بعض تريد العبور أسفل قوس البوابة لتخرج إلى التيار المفتوح وبذل قصارى جهده ليتفادى أن  
يعتصر ويتمزق لأشلاء وأخيرا فإن الحشد المتدافع بدأ يتفكك وينسل واحدا تلو الآخر أسفل  
القوس الحجري وبيتعد ووجد عندها أنه ليس من الجيد أن يعتلي البرميل لأنه لا يوجد فراغ يكفي  
حتى الهوبيت ليمر بين قمة البرميل والرصيف المائل بشدة حيث البوابة وهكذا مضوا أسفل  
الفروع المعلقة بالأشجار على ضفتي النهر تساءل بيلبو بم الأقرام تشعر؟ وإذا ما كان الكثير من  
الماء دخل براميلهم. بعض من تلك التي قلبها أثناء صراعه بدت منغمرة في الماء وخمن أن بها





الأقزام وفكر " أمل أنني أحكمت الأغذية كفاية!" لكن لم يمض وقت طويل حتى بدأ يقلق كثيرا على نفسه لكي يتذكر الأقزام فقد نجح في إبقاء رأسه فوق الماء لكنه كان يرتجف من البرد وهو يتساءل إذا كان سيموت بسببه قبل أن يتغير الحظ، ولكم من الوقت سيتمكن من التشبث، وإذا ما كان يجب أن يجازف بفرصة ترك البرميل يذهب ويسبح للضفة.

تغير الحظ للأحسن قبل أن يمض الكثير: التيار الدوامي حمل عدة براميل على اليابسة في لحظة ما و هناك لمدة التصقوا ببعض الجذور المدفونة. ثم انتهز بيلبو الفرصة ليتسلق برميله عندما توقف لاصطدامه ببرميل آخر أمامه فزحف فوقه مثل فأر غارق، ورقد على القمة فاردا جسده ليحفظ التوازن بأفضل ما يمكن وتمنى ألا ينقلب فجأة ثانية ويعود لنقطة الصفر كانت النسمة باردة لكن أفضل من الماء. وقبل زمن طويل تفرقت البراميل ثانية ودارت وتشققت في النهر مرة أخرى وخرجت للتيار الرئيسي ثم وجد أنه من الصعب تماما أن يظل ملتصقا كما هو مثلما كان يخشى؛ لكنه نجح في ذلك بطريقة أو بأخرى، ولو أنه كان وضعا غير مريح لدرجة بائسة. لحسن الحظ أن وزنه كان خفيفا جدا، وكان البرميل كبيرا جيدا ومشقق فتسرب له الماء ليصبح أكثر ثباتا بعض الشيء وبدا الأمر مثل الركوب بدون لجام أو سرج، على فرس منتفخة مستديرة دائما تفكر في التدرج على العشب. بهذه الطريقة وصل أخيرا السيد باجينز إلى مكان تقل فيه كثافة الأشجار على الجانبين وتبدو بينها سماء شاحبة واتسع النهر المظلم فجأة لينضم لنهر الغابة الكبير مسرعا من أبواب الملك العظيمة. كانت هناك بساط من ماء خافت لم يعد مظللا بالأشجار، وعلى سطحه المنزلق انعكاسات متراقصة ومتكسرة لسحب السماء ونجومها ثم دفع الماء المتعجل كل قافلة البراميل إلى الضفة الشمالية التي التهمها خليج واسع له شاطئ من الحصى لضفة منحدره وقد أحيط من الشرق بواسطة صخور بارزة ذات قمم مدببة صغيرة وعلى الماء الضحل جوار الشاطئ جنحت البراميل، ولو أن القليل منها استمر ليصطدم بالرصيف الحجري. كان هناك قوم على مرمى البصر بالضفة. بسرعة دفعوا وجذبوا كل البراميل معا في الضحل، و عندما أحصوهم ربطوهم معا بحبل وتركوهم حتى الصباح بالأقزام المساكين! لم يتركهم بيلبو بسوء نية فقد انسل من برميله وحط على اليابسة ثم تسلل إلى بعض الأكواخ التي قدر أن يراها قرب حافة الماء ولم يفكر مرتين قبل أن يلتقط عشاء غير مدعو له إذا سنحت الفرصة وقد اجبر على فعل ذلك لمدة طويلة ويعلم أيضا وبشدة كيف يكون الحال حين يستبد الجوع فهو ليس مهتما بالمؤن اللذيذة المبهجة كما أنه لمح جذوات نار بين الأشجار مما يعني أن يجفف ملابسه وينعم بالدفع ليست هناك حاجة لأن نخبرك الكثير من مغامراته ذلك الليل، الآن تقترب من نهاية الرحلة الشرقية ونأتي إلى آخر أعظم مغامرة، لذا يجب أن نسرع. طبعا بمساعدة خاتمه السحري بلى بلاء حسنا في البداية لكن وشت به في النهاية أثار أقدامه المبللة وقطرات الماء أينما ذهب أو جلس وأينما حاول أن يختبئ كان يفضحه انفجار مروع لعطساته المكتومة وسرعان ما تبعه حشد لطيف غاضب في القرية نحو النهر لكن بيلبو هرب للغابة يحمل رغيفا و قنينة جلد مدبوغ من الخمر وفطيرة لا تخصه وكان عليه أن يقضي باق الليل مبللا بعيدا عن النار الدافئة لكن القنينة أعانتته على ذلك ونام قليلا على بعض الأوراق الجافة رغم أن العام في نهايته والجو يزداد بردا. استيقظ مرة ثانية بعطسة عالية مميزة. كان الصباح رمادي قد بزغ، وكانت هناك جلبة مرحة عند النهر. ودهم يؤلفون طوفا من البراميل، والجن على الأطواف سيجلبونه سريعا لمدينة البحيرة. عطس بيلبو مرة ثانية لم يعد مبللا لكن يحس البرد ينخر جسده نزل بأسرع ما يستطيع بأرجله المتيبسة وتمكن في الوقت المناسب بالكاد أن يلحق بركب البراميل ويجلس فوقه دون أن يلاحظه أحد وسط الجلبة ولحسن الحظ كانت الشمس غائبة في هذا الوقت فلا تظهر ظلالات تنبهم له وللرحمة لم يعطس مرة ثانية لمدة مناسبة.

كان الجن يدفعون البراميل بقوة بواسطة الأوتاد عبر الماء الضحل. هاج الماء وانطلق. تحررت البراميل كلها الآن وتصادمت بشدة معا مصدرة صريرا وهياجا.

" هذه الحمولة ثقيلة!" تدمر البعض. " تغطس أكثر من المعتاد وحتما بعضها ليس فارغا. لو كانوا وصلوا لليابسة في ضوء النهار، ربّما كنا استطعنا إلقاء نظرة عليها"





صرخ بهم الربان "لا وقت الآن! انطلق!"  
وبعيدا ذهبوا أخيرا، ببطء أولًا، إلى أن مرّوا بنقطة الصخرة التي بها الجن الذين يدفعونهم  
بالأوتاد ثم أسرع فأسرع كلما انحدروا في التيار الرئيسي واندفعوا يبحرون لأسفل النهر نحو  
البحيرة.  
لقد نجوا من زنانة الملك وعبروا أخيرا الغابة الرهيبة ميركوود لكن هل أحياء أم أموات هذا ما  
سنعرفه.







## الفصل (١٠)

### ترحاب حار

أخذ النهار يزداد دفنا وضياءا بينما رحلتهم مستمرة ثم التف النهر على منحدر من الأرض يأتي من يسارهم تحت طرفه الحجري ما يشبه منحدر داخلي حيث المجرى الأعرق كان قد تدفق وهو يفور ويدور وفجأة هبط المنحدر. غرقت السواحل. انتهت الأشجار. ثم رأى بيلبو منظرا: اتسعت الأراضي بعيدا عنه، ملأت بمياه النهر الذي تفرق وتجوّل في مائة مجرى ملتف أو توقّف في مستنقعات مبرقشة بالجزر في كل مكان لكن مازال هناك تدفق قوي للمجرى الأوسط وهناك بعيدا ظهرت قمته المظلمة وسط السحاب الممزق هنا ظهر الجبل! ولا يمكن رؤية أقرب جار له في الشمال الشرقي ولا الأراضي المتهدمة التي تصل بينهما ففي عزلة تامة يرتفع هو لينظر للغابات والمستنقعات. الجبل الوحيد! لقد مر بيلبو بأسفار طويلة وخلال العديد من المغامرات ليشاوهد، والآن لم يحب ما رآه على أقل تقدير.

عندما استمع إلى حديث الربان وجمع معا ما التقطه منه من معلومات أدرك أنه كان شديد الحظ لكي يراه حتى من هذه المسافة. صحيح أنه وجده موحشا كسجنه وبغيض كالمكان الذي يجلس فيه (لا نقول شيئا عن المساكين الأقزام تحته) مع ذلك، كان محظوظا أكثر مما يظن كان الحديث كله عن الحركة التجارية التي تروح وتجيء عبر القنوات ونمو المرور على النهر، حيث أن الطرق خارج المشرق نحو ميركوود اختفت أو هجرت؛ وعن جدال رجال مدينة البحيرة مع جن الغابة حول نفقات صيانة الطريق النهري ورعاية الضفاف.

تلك الأراضي كانت قد تغيّرت منذ سكنتها الأقزام داخل الجبل، العهد الذي يذكره معظم الناس الآن فقط كماضي مبهم. كانت قد تغيّرت حتى بالمقارنة بالسنوات الأخيرة وبما أتى به جاندلف من أخبار عنهم. فقد حدثت فيضانات وسيول ضاعفت من الماء المتدفق شرقا؛ وقد كان هناك زلزال أو اثنان (مال البعض لأن ينسبه إلى التنين مشيرا إليه بشكل رئيسي مع اللعنة و منذر بسوء وهو يومئ نحو الجبل). انتشرت الأهوار والمستنقعات باتساع على كلا الجانبين. اختفت طرق، والعديد من الركابون والمتجولون أيضا إذا حاولوا أن يجدوا الطرق المفقودة. طريق الجن الذي يشق الغابة والذي اتبعه الأقزام بناء على نصيحة بيورن يؤدي الآن لنهاية قليلة النفع غير مضمونة عند الحافة الشرقية للغابة. فقط عبر النهر يوجد الطريق الآمن الوحيد من حواف ميركوود في الشمال إلى ما ورائها من السهول أسفل الجبل، ويحرس النهر بواسطة ملك جن الغابة. وهكذا كما ترى فإن بيلبو كان قد وجد في النهاية الطريق الوحيد الذي له فائدة. ربّما قد كان من المريح للسيد باجينز المرتعش فوق البراميل، إذا عرف أن هذه الأخبار كانت قد بلغت جاندلف البعيد وسببت له قلقا عظيما وكان ينهي فعلا عمله الآخر (الذي لا دخل له بهذه الحكاية) وأصبح جاهزا لأن يبدأ بحثا عن رفقة ثورين. لكن بيلبو لم يعرف هذا.

كل ما يعرفه أنه كان جائعا، وكان عنده برد كريحه في الأنف، ولم يحب الطريقة التي بدا عليها الجبل يعبس له ويهدده كلما ارتفع مقتربا.



لكن بعد قليل اتخذ النهر مجرى جنوبي لينكمش الجبل ثانية وأخيرا في نهاية اليوم ازدادت الصخور على الشواطئ وجمع النهر كل مياهه المتجولة معا في تدفق سريع عميق لينزلقوا بسرعة مهولة.

كأنت قد غربت الشمس عندما داروا مع جرف آخر نحو شرق نهر الغابة ليقذفوا في البحيرة الطويلة. هناك له مصب عريض مع أبواب حجرية تشبه الجرف في كلا الجانبين أقدامها مغطاة بالحصى. البحيرة الطويلة!

لم يتخيل بيلبو أي ماء بهذا الحجم غير البحر كأنت عريضة جدًا حتى أن الساحل المقابل بدأ صغيرا وبعيدا، لكنها كأنت طويلة جدا حتى أن طرفها الشمالي المتجه نحو الجبل لم يظهر على الإطلاق فقط من الخريطة عرف بيلبو أن بعيدا هناك بالأعلى، حيث كأنت تومض الآن نجوم





ذات الكرسي، يجري النهر الجاري إلى البحيرة من دال ليملاً مع نهر الغابة بمياه عميقة ما لا بد أنه كان واديا صخريا عميقا وفي النهاية الجنوبية يندفع النهران ثانية عبر شلالات مريعة ليتدفقا نحو أراض مجهولة في الجنوب. في الهواء المسائي الساكن يُمكنُ أن تسمع ضجة الشلالات كهدير بعيد.

ليس بعيد عن مصب نهر الغابة تقع المدينة الغربية التي سمع الجن يتكلمون عنها في سراديب الملك. لم تبين على الساحل، ولو أنه كان هناك بضع أكواخ ومبان هناك، لكن فوق سطح البحيرة، تحمي من دوامة النهر الداخل بلسان من الصخور تشكل خليجا ساكنا وبني جسر خشبي عظيم



يبلغ إلى حيث ركائز ضخمة مصنوعة من أشجار الغابة بُنيت عليها مدينة خشبية مشغولة، ليست مدينة للجن لكن للبشر، الذين تجاسروا على البقاء هنا تحت ظل جبل التنين. ازدهرُوا حتى الآن بالتجارة التي تأتي عبر النهر العظيم من الجنوب وتُقل بعد الشلالات لمدينتهم لكن في الأيام العظيمة الغابرة حين كانت دال شمالهم غنية وناجحة كانوا مترفين وأقوياء وكان عندهم أساطيل من القوارب تجري على الأنهار

وبعضها مملوء بالذهب والبعض الآخر بالجنود المدججين بالسلاح وكان لهم حروب ومطالبات أصبحت الآن أساطير قديمة والأطلال المتهدمة لمدينة أعظم مازال يمكن رؤيتها طوال الشاطئ حين ينحسر الماء للجزر لكن البشر لا يذكرون من هذا إلا القليل رغم أنهم ما يزالون يغنون بعض الأغاني القديمة عن ملوك الأقزام في الجبل ثرور وثرارين من نسل دورين وعن مجيء التنين وسقوط سادة دال وبعضهم يغني أيضا أن ثرور وثرارين سيعودون يوم ما لينهمر الذهب عبر النهر من أبواب الجبل لتملأ الأرض بغناء جديد وضحك سعيد لكن هذه الأساطير السعيدة لا تؤثر كثيرا على أعمالهم اليومية.

حالما دخل طوف البراميل لمرأى المدينة خرجت زوارق مصفوفة من بين أعمدة المدينة، وسلمت أصوات على بحارة الطوف. ثم ألقيت الحبال وجذبت المجاديف ليسحب الطوف من التيار نحو كتف صخري عال داخل الخليج الصغير لمدينة البحيرة. هناك مربوط غير بعيد عن رأس جسر الشاطئ الكبير. قريبا سيأتي رجال من الجنوب ويأخذون بعض من البراميل بعيدا، وأخرى محملة بالبضائع كانوا أعدوها سترجع عبر النهر إلى بيت جن الغابة. أما هذه اللحظة فقد تركت البراميل طافية بينما ذهب جن الطوف مع رجال القوارب للوليمة في المدينة وكم ستكون دهشتهم إذا استطاعوا معرفة ما حدث على الشاطئ بعدما ذهبوا.

كان الليل قد أرخى سدوله. في البداية فصل بيلبو برميلا ودفعه إلى الساحل وفتحه. جاء تأوه من الداخل، وخرج زاحقا أكثر الأقزام حزنا يمكنك أن تراه القش المبلل كان في لحيته الملطخة؛ كان مضجرا موجعا ومتجمدا جدا ممثلنا بالكدمات مفكك الأوصال ولم يتمكن من الوقوف إلا بصعوبة وتعثر في الماء الضحل ليرقد متأوها على الشاطئ. كان شديد الجوع ومنظره همجي متوحش بدا كالكلب الذي ألقى ونسي في قناة لأسابيع. كان ثورين، لكن تقدر أن تعرفه فقط بواسطة سلسلته الذهبية وبواسطة لون فلنسوته التي أصبحت الآن سماوية فذرة مهلهلة وجوربه الذي كان ذات مرة فضيا لامعا واحتاج الأمر بعض الوقت قبل أن يبدي أي أدب للهوبيت! سأل بيلبو مشاكسا "حسنا هل أنت حي أم ميت؟".





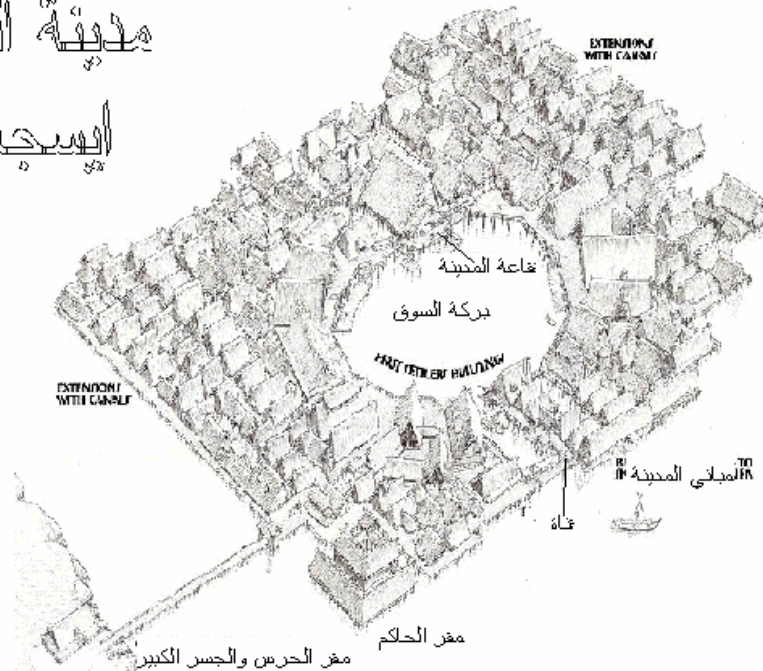
ربّما كان قد نسيَ أنه كان قد حظى بوجبة واحدة على الأقلّ أكثر من الأقرام وأيضاَ تمكن من تحريك ذراعيه ورُجْليه، دون أن نتكلم عن استنشاق المزيد من الهواء النقي. "هل مازلت في السجن، أم أصبحت حرا؟ إذا كنت ترغب في الحصول على الطعام أو تريد الاستمرار في هذه المغامرة السخيفة -وهي مغامرتك أنت في النهاية وليست مغامرتي - فمن الأفضل أن تضرب ذراعيك وتدلّك رجلك وتحاول مساعدتي لنخرج الآخرين بينما الفرصة سانحة!"

شاهدَ ثورين حكمة هذا طبعاَ، لهذا بعد بضع تأوهات أخرى نهض وساعدَ الهوبيت قدر استطاعته. في الظلام وسط التخبُّط في الماء البارد كان عليهم القيام بعمل صعب كريبه لإيجاد البراميل الصحيحة. بالطرق من الخارج والنداء وجدوا ستة فقط يستطيعون الرد فتم إخراجهم ومساعدتهم على الوصول لليابسة حيث جلسوا ورددوا يُتَمَتُّون وَيَتَأَوُّون؛ كانوا مبتلين للغاية ومتشجنين وجلودهم مزرقة من الكدمات حتى أنهم لم يدركوا أنهم أحرار بل لم يكونوا شاكرين على هذا وكان أعسهم دوالين وبالين ولم يكن نافعا أن يطلبوا منهما المساعدة أما بيفور وبوفور فكانوا أقلهم تخبُّطا وأكثرهم جفافا، لكنهما رقدا دون فعل شيء لكن فيلي وكيلي الأصغر سنا (حين نتكلم عن الأقرام) واللذان عبا لهما القش أفضل وداخل براميل أضيق خرجا وهما يكادا يكونان مبتسمين بنحو أو بأخر ولم يصبهما إلا كدمة أو اثنتان وتيبس ذهب سريعا. قال فيلي "أملُ ألا أشمُّ أبدا رائحة التفاح مرّة ثانية! كان حوضي مليء به. أن تشم تفاحا لما يبدو كالأبد عندما لا تُقدرُ أن تتحرَّك إلا نادرا وتحمس بالبرد والمرض مع الجوع أمر مثير للجنون. قد أقدرُ أن أكلُ أي شيء في العالم الواسع الآن، لساعات متواصلة لكن ليس التفاح!" بمساعدة فيلي وكيلي المتحمسين اكتشف ثورين وبيلبو أخيرا باقي رفاقهم وأخرَجوهم. كان بومبر سميئا مسكينا نائما أو فاقد الوعي؛ كان دوري، نوري، أوري، أوين وجلوين مشبعون بالماء وبدوا بالكاد نصف أحياء وكان يجب حملهم جميعا واحدا تلو الآخر للشاطئ حيث رقدوا عاجزين.

"حسنا! هاهنا نحن!" قال ثورين. "و أفترضُ أننا يجب أن نشكرَ نجومنا والسيد باجينز. أنا واثق أن عنده الحق أن يَنظُرَه، ولو أنني كنت أتمنى أن يرتب لنا رحلة أكثر راحة. مع ذلك كلنا بشدة في خدمتك مرة أخرى سيد باجينز. بدون شك سنشعرُ بالشكر، حسب الأصول عندما نُطعمُ ونتعافى. والآن ما هي الخطوة التالية؟" "اقترحُ مدينة البحيرة ما هو خلاف ذلك هناك؟"

لا شيء خلاف ذلك يمكن بالطبع اقتراحه تُرك ثورين و فيلي و كيلي والهوبيت الآخرون في الساحل وذهبوا إلى الجسر العظيم. كان هناك حرس على رأسه، لكنهم لم يحافظوا على الحراسة

## مدينة البحيرة اليسجاروت





باهتمام فقد مر وقت طويل على احتياجهم للمراقبة فباستثناء بعض المشاجرات على ضرائب النهر كانوا أصدقاء لجن الغابة. كَانَ أَي شَعْبٍ آخَرَ هُنَاكَ بَعِيدٍ لِلغَايَةِ؛ وَيَشْكُكَ بَعْضُ صَغَارِ الْقَوْمِ فِي الْمَدِينَةِ فِي وَجُودِ أَيِّ تَيْتِينَ فِي الْجَبَلِ، وَيَضْحَكُونَ عَلَى الْكُهُولِ وَالْعَجَائِزِ اللَّاتِي فُلْنَ أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ يَصِلُ جَوَا فِي السَّمَاءِ فِي أَيَّامِهِمِ الصَّغِيرَةِ السَّنِّ. لِهَذَا لَمْ يَكُنْ مَفَاجِئًا أَنَّ الْحُرَّاسَ كَانُوا يَشْرِبُونَ وَيَضْحَكُونَ حَوْلَ النَّارِ دَاخِلَ كُوخِهِمْ، وَلَمْ يَسْمَعُوا ضَجَّةَ تَفْرِيعِ الْأَقْرَامِ أَوْ خَطَوَاتِ الْكُتَّافَةِ الْأَرْبَعَةِ. كَانَ ذَهولَهُمْ ضَخْمًا عِنْدَمَا دَخَلَ ثورِينَ أوكينشيلد إِلَى الْبَابِ.

"من أنت وماذا تريد؟" صرَّخُوا واثبين على أقدامهم وشاهرين الأسلحة.  
هتف القزم بصوت عالٍ "أنا ثورين بن ثراين بن ثرور ملك ما تحت الجبل."  
ونظروا له ورغم ملبسه الممزقة والقلنسوة الملطخة لمع الذهب على عنقه وخصره وكانت عيناه مظلمتان وعميقتان:

"لقد عدت وأرغب في أن أقابل سيد مدينتك"

فإذا بحالة مهولة من الترقب والإثارة تعم المكان وجرى بعض أكثرهم حماقة من الكوخ كما لو كانوا يتوقعون أن الجبل سينهمر بالذهب في الليل وستتحول الأنهار والبحيرة إلى الأصفر فوراً وتقدم منهم قائد الحرس وسأل "من هؤلاء؟" مشيراً لفيلي وكيلي وبيلبو.

رد ثورين "أبناء ابنة أبي فيلي وكيلي من نسل دورين والسيد باجينز الذي سافر معنا من الغرب." قال القائد "إذا كنت أتيت في سلام فألق سلاحك."

قال ثورين "لا نملك أي أسلحة."

وكان صادقاً فسكانينهم أخذت منهم من قبل جن الغابة ومعها السيف العظيم الأوركيست لكن بيلبو كان معه سيفه القصير مخبئاً كالعادة لكنه لم ينطق بكلمة عن هذا وأكمل ثورين:

"الاحتاج للسلاح نحن من عدنا أخيراً لمدينتنا كما قال الأقدمون كما أننا لانستطيع القتال ضد كل هؤلاء خذنا لسيدكم."

قال القائد "إنه في احتفال."

انفجر فيلي الذي كان فقد صبره من هذه الرزانة "إذن فهذا سبب أفضل لتأخذنا له فنحن جائعون ومنهكون بعد طريقنا الطويل وبيننا رفاق مرضى لذا فأسرع ولا تجعلنا ننتظر لنسمع كلمات أخرى وإلا سيكون لسيدك كلمة ما يقولها لك."

قال القائد "ألحق بي إذن."

ومع ستة رجال قادهم فوق الجسر عبر الأبواب وعبر سوق المدينة وكان عبارة عن دائرة ماء هادئة عريضة مُحَاطَةٌ بِالْأَعْمَدَةِ الطَّوِيلَةِ بَنِيَتْ عَلَيْهَا الْمَنَازِلُ الْأَكْبَرُ وَبِأَرْصَفَةٍ خَشَبِيَّةٍ طَوِيلَةٍ مَعَ الْعَدِيدِ مِنَ السَّلَالِمِ وَالدَّرَجَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ إِلَى سَطْحِ الْبَحِيرَةِ. وَفِي قَاعَةٍ عَظِيمَةٍ بِأَحْدِهَا لَمَعَتْ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَصَابِيحِ وَبَدَأَ صَوْتُ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَشْخَاصِ. مَرُّوا بِأَبْوَابِهَا وَدَخَلُوا وَسَطَ الضَّوِّ الْمُبْهَرِ لِيَنْظُرُوا لِلْمَوَادِّ الطَّوِيلَةِ الْمَزْدَحْمَةِ بِالضِّيُوفِ.

"أنا ثورين ابن ثراين ابن ثرور ملك ما تحت الجبل! لقد عدت!"

صرخ ثورين بصوت عالي من الباب، قبل أن يقدر القائد أن يقول أي شيء. الكل ففر على أقدامه. ففر زعيم المدينة من كرسيه العظيم. لكن لم يصب أحد بمفاجأة أكبر وأعظم من بحارة طوف الجن الذين كانوا يجلسون في نهاية القاعة السفلى. احشُدوا إلى الأمام قبل أن يتكلم زعيم المدينة وصرخوا:

"هؤلاء سجناء ملكنا الذين قد فرُّوا، الأقرام المتجولون الأفاقون الذين لم يستطيعوا تبرير أفعالهم وتسلمهم للغابة وتحرشهم بقومنا!"

"هل هذا حقيقي؟" سأل الزعيم. في الواقع ظن هذا أقرب للحقيقة من عودة ملك ما تحت الجبل لو أن هذا الشخص أصلاً له وجود.

رد "إنَّ الْحَقِيقِيَّ هُوَ أَنَّهُ قَبِضَ عَلَيْنَا ظَلْمًا مِنْ قَبْلِ مَلِكِ الْجِنِّ وَسَجَّنَا دُونَ تَهْمَةٍ حِينَ كُنَّا فِي رِحْلَةٍ عَوَدَتْنَا لِأَرْضِينَا لَكِنِ لَأَقْفَلُ وَلَا قَضِيَانِ تَعْوِقِ الْعَائِدِ لَوْطَنِهِ الْمَتَكَلِّمِ بِاسْمِ الْقَدَمَاءِ كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ فِي مَلِكِ الْجِنِّ. أَتَكَلِّمُ مَعَ زَعِيمِ مَدِينَةِ رِجَالِ الْبَحِيرَةِ، وَلَيْسَ مَعَ رِجَالِ طُوفِ الْمَلِكِ."





لذا تردد الزعيم ونظر من واحد إلى آخر. كان ملك الجن قويا جدًا في تلك الأجزاء ولم يرغب الزعيم في التسبب في خصومة معه أو التعرض لبطشه كما أنه لا يؤمن كثيرًا بما تقوله الأغاني القديمة، لقد قصر عقله على التجارة والضرائب والشحنات والذهب وهو الأمر الذي يدين له بكرسيه لكن الآخرون كان لهم عقل مختلف وبسرعة خرجت المسألة من يده فقد إنتشرت الأخبار من أبواب القاعة مثل النار في الهشيم إلى كل المدينة. كانت الناس تصرخ في القاعة والخارج. أحشدت الأرصفة بالأقدام المسرعة. البعض بدأ يغني أبياتًا من الأغاني القديمة تخص عودة ملك تحت الجبل؛ أما كون من عاد هو حفيد ثرور وليس نفسه فلم تشغل بالهم إطلاقًا. آخرون استعرفوا في الأغنية التي تضخمت بصوت يعلو ويعلو فوق البحيرة.

" الملك تحت الجبال،

ملك الحجر المنحوت،

سيد النافورة الفضية

سيستقل في ملكه!

سيساند تاجه،

قيارته ستكون من اللؤلؤ،

سيتردد صدى قاعاته الذهبية

إلى أغاني الماضي نعود-نغني.

سألوح الغابات فوق الجبال

والعشب تحت الشمس؛

سنسيل ثروته في النافورة

و الأنهار تجري ذهبية.

سجري الجداول بالسرور،

سنلمع البحيرات وتسطع،

وسيفشل الحزن وينتهي الندم

في الجبل يعود ملك!"

هكذا غنوا، أو ما يشبه كذلك، فقط كانت هناك تفاصيل أكثر تضاف لها وكان الكثير يصرخون بينما موسيقى القيثارة والكمجات تختلط بها. حقًا مثل هذه الإثارة لم تُعرفها المدينة حتى في ذكريات أكبر الأجداد. جن الغابة أنفسهم بدعوا في التعجب بل والخوف. لم يعرفوا طبعًا كيف هرب ثورين وبدعوا يفكرون أن ملكهم ارتكب خطأ خطيرًا.

فيما يخص الزعيم فقد بدا له أنه لا يملك خيارًا آخر غير طاعة الصخب، على الأقل الآن، وأن يدعي أنه يصدق أن ثورين هو الشخص الذي يزعمه. لذا منحه كرسيه العظيم وأجلس فيلي وكيلى بجواره في مقاعد الشرف حتى يبلبو منح كرسي على الطاولة العالية وبلا حتى إيضاح يفسر من أين جاء؟ ولم تمنحه الأغاني الفرصة ليقول حتى رغم غموض الأمر وسط الصخب العام.

سرعان ما أحضروا باق الأقرام للمدينة بين حماس الجماهير المذهولة فعولجوا كلهم وأكلوا وسكنوا وتزينوا بأحدث موضة مرضية مبهجة. منح بيت كبير لثورين وشركاءه؛ كما وضعت زوارق ومجدفون في خدمتهم؛ وجلست الحشود بالخارج وغنت الأغاني طوال النهار، وتهتف في بهجة إذا أطل لهم أي قزم حتى بمقدار أنفه.

كان بعض الأغاني قديم؛ لكن كان بعضها جديد تمامًا وتحدث بثقة عن موت التنين المفاجئ وحمولات الثروة المهداة التي أتت عبر النهر لمدينة البحيرة. كان هذا ملهما إلى حد كبير للزعيم وبالمقابل لم يعجب الأقرام كثيرًا لكن رغم ذلك كانوا راضين جدًا واستعادوا صحتهم وسمنوا بسرعة واستعادوا قوتهم. حقًا في أسبوع استعادوا عافيتهم تمامًا، وقد ارتدوا ملابس جميلة بألوانهم الصحيحة ولحاهم ممشطة ومشدبة، وخطواتهم فخورة. ثورين بدا وتصرف كما لو أن مملكته استردت بالفعل وسماوج قد تمزق لقطع صغيرة. ثم، كما قال، فإن شعور الأقرام الطيب





المتنامي نحو الهوبيت الصغير يزداد قوة كل يوم. لم يَكُنْ هناك المزيد من الزمجرة أو الدمدمة. شَرِبُوا في صحَّته، وربتوا على ظهره وإمْتَدَّحُوهُ، وهتفوا له هتافا عظيما الأمر الذي كان جيدا لأنه لم يشعر بمرح خاصة أنه لم ينس منظر الجبل ولا التفكير في التنين إلى جانب ما أصابه من برد يهزه ولثلاثة أيام أخذ يعطس ويكح ولم يقدر على الخروج وبعدها ظل كلامه في الولايم قاصرا على "شكنا نكم كنكم" (شكرا لكم كلكم!)

في هذا الوقت كان جن الغابة عادوا لغابتهم حاملين حمولاتهم حيث كان هناك ترقب رهيب في قصر الملك لم أعرف أبدا ما حدث لكبير الخدم وقائد الحرس وعلى أي حال فلم يقال بالطبع أي شيء عن البراميل والمفاتيح بينما الأقرام في مدينة البحيرة وكان بيلبو حريصا على ألا يختفي أبدا. مع ذلك، إعتقد أنه استنتج الكثير مما لم يعرف ولو أن السيد باجينز بقي دون شك لغزا. على أية حال الملك عَرَفَ الآن مهمة الأقرام أو ظن أنه فَعَلَ وقال لنفسه:

"حسنا جدا! سنرى! لن نَحْرُجُ ثروة ثانية إلى ميركوود بدون أن يكون لي كلمة في الأمر لكنني أظن أنهم سينتهون نهاية بشعة ويستحقونها تماما" فلم يتصور أن الأقرام سيستطيعون محاربة وقتل تنين مثل سماوج وشك بشدة أنهم ربما يهدفون للاغتيال والسرقة أو شيء مثل هذا يثبت أنه جني حكيم أفضل من بشر البحيرة ولو أن هذا ليس صحيحا تماما كما سنرى في النهاية. لكنه أرسل جواسيسه لسواحل البحيرة ونحو الشمال البعيد نحو الجبال بأقصى ما يستطيعون الذهاب وانتظر.

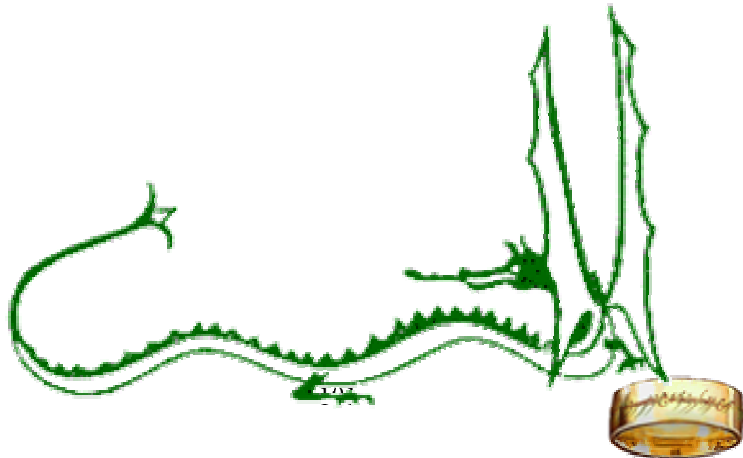
في نهاية الأسبوعان بدأ ثورين يفكر في المُعَادَرَة. بينما الحماس مازال باقيا في المدينة وهذا هو الوقت المناسب للحصول على مساعدتهم ولن يترك كل شيء يبرد بالتأخير لذا تكلم مع الزعيم وأعضاء مجلسه وقال ذلك: قريبا هو ورفاقه يجب أن يذهبوا للجبل.

ثم للمرة الأولى الزعيم أدهش وارتعب بعض الشيء وتساءل إذا كان ثورين رغم كل ذلك حقا سليل الملوك القدامى. لم يظن أبدا أن الأقرام قد تتجاسر في الحقيقة على أن تقترب من سماوج، لكن اعتقد أنهم محتالون سينكشف أمرهم عاجلا أم آجلا ويطردوا وبالطبع كان مخطئا. كان ثورين، طبعاً، الحفيد الحقيقي لملك ما تحت الجبل، ولا يوجد حدود لما يجرؤ عليه القزم في سبيل الانتقام واستعادة ما يخصه. لكن على أي حال لم يحزن الزعيم لسماحه لهم بالرحيل. كان الاحتفاظ بهم مكافأ ومجيبهم تحول لعطلة واحتفال بدا فيهما العمل متوقفا.

فكر في نفسه "دعهم يذهبون ويزعجون سماوج وسيرون أنه سيمنحهم ترحابا خاصا." لكن ما قاله كان "بالتأكيد، يا ثورين ابن ثور ابن ثراين! أنت يجب أن تطالب بحقك وهذه الساعة بين يديك يا أيها المتحدث باسم الأقدمين أي مساعدة نستطيع تقديمها ستكون لك ونحن نثق بامتنانك عندما تُسَرِّدُ مملكتك."

وهكذا ذات يوم بالرغم من تقدّم الخريف وبرودة الرياح حيث كانت الأوراق تتساقط سريعا تركت ثلاثة زوارق كبيرة مدينة البحيرة محملة بالمجدفين، الأقرام، السيد باجينز، والعديد من الزاد. الخيل والأفراس أرسلت عبر طرق ملتوية لتلقاهم عند مكان هبوطهم المحدد. ودّعهم الزعيم وأعضاء مجلسه من الدرجات العظيمة لقاعة المدينة التي تنزل إلى البحيرة. غنّت الناس على الأرصفة ومن النوافذ. إنخفّضت المجاذيف البيضاء وشقت الماء، ومن ثم اتجهوا نحو الشمال فوق البحيرة

وفي آخر مرحلة من رحلتهم الطويلة. الشخّص الوحيد الذي عمه الحزن كان بيلبو.





## الفصل ( ١١ ) على عتبة الباب

لمدة يومين ابحروا عبر البحيرة الطويلة وانطلقوا عبر النهر الجاري والآن يمكنهم جميعاً أن يروا الجبل الوحيد شاهقاً متجهماً أمامه. ازدادت شدة التيار المقابل لهم فأصبح تقدمهم بطيئاً وفي نهاية اليوم الثالث بعد بضعة أميال أعلى النهر اتجهوا لليسار على الضفة الغربية وأفرغوا حمولتهم لينتقوا هناك مع خيولهم التي تحمل الأمتعة وأفراسهم لكي يركبوها. كدسوا ما يستطيعون على الخيول والأفراس وتركوا الباقي كمخزون أسفل خيمة لكن لم يكن أياً من رجال المدينة يجرؤ على البقاء هنا ولو لليلة على هذا القرب من ظل الجبل وقالوا " على الأقل إلى أن نتحقق الأغاني. " فقد كان من الأيسر التصديق بقدرة التنين عن الإيمان بثورين في هذه الأجزاء المتوحشة من العالم. في الحقيقة فإن ذخائرهم ليست بحاجة لأي حرس، لأن كل الأرض كانت فارغة ومهجورة. لذا تركهم مراقبهم، الذين فرّوا نزولاً بسرعة عبر النهر وطرق الشاطئ بالرغم من أن الليل كان قد بدأ بالفعل.



قضوا ليلاً وحيداً وبارداً أنقص من معنوياتهم. في اليوم التالي انطلقوا ثانية ركب بالين وبيلبو بالخلف، كل منهما يفود فرساً أخرى محمّل حمولات ثقيلة جواره فربه؛ الآخرون أمامهم يتحسسون الطريق ببطء لأنه لم يكن هناك أي ممرات. اتجهوا للشمال الغربي، الذي يميل بعيداً عن النهر الجاري، ويقتربون أكثر وأكثر من القمة المطلّة للجبل التي تقترب جنوباً نحوهم. كانت رحلة مرهقة كما أنها كانت هادئة وصامتة فلم يتخللها ضحك أو غناء أو عزف القيثارة والفخر والآمال التي نمت في قلوبهم حين سماع الأغاني القديمة في البحيرة ماتت الآن مستسلمة لكأية متناقلة. فقد ادركوا أنهم يتجهون قرب نهاية رحلتهم ولربما كانت هذه نهاية مفزعة للغاية كانت الأرض حولهم قاحلة جرداء رغم أن ثورين أخبرهم أنها كانت ذات يوم خضراء جميلة لم يبق منها إلا القليل من العشب ولمسافة طويلة لم يكن حولهم أي أشجار أو شجيرات فقط بعض الجذوع والجذور المكسورة المسودة تحكي عن تلك العظمة التي كانت موجودة واختفت وقد اقتربوا الآن من مأوى التنين كما يقتربون من نهاية العام. بلغوا نتوءات الجبل على نفس الحال بدون لقاء أي خطر أو علامة للتين سوى آثار الوحشية التي جعل عليها عرينه والجبل يطبق عليهم مظلماً صامتاً أمامهم وأعلى ما يكون فوقهم. أقاموا مخيمهم الأول فوق الجانب الغربي إلى جانب النتوء الجنوبي العظيم، الذي يؤدي إلى مرتفع يسمى رافينهيل (Ravenhill = تل الغراب) عليه كان يوجد برج مراقبة قديم؛ لكنهم لم يجرؤوا على الوصول له، فقد كان مكشوفاً أكثر ممّا ينبغي.

وقبل أن ينطلقوا لاستكشاف النتوءات الغربية بحثاً عن الباب الخفي المنعقد عليه كل أمالهم أرسل ثورين مستكشفاً ليتجسس على الأرض تجاه الجنوب حيث الباب الأمامي لهذا إختار بالين وفيلي وكيلي ومعهم ذهب بيلبو. انطلقوا تحت المنحدرات الصامتة الرمادية أسفل رافينهيل. هناك كان النهر بعد أن يلتف في منحني طويل حول وادي دال متحولاً من الجبل ليتخذ طريقه نحو البحيرة يندفق بسرعة وضجة. كانت ضفته عارية وصخرية طويلة ومنحدرة فوق المجرى؛ ووبالتحديد عبرها فوق المجرى الضيق، الذي يرغي ويزبد بين الكثير من الجلاميد، استطاعوا أن يروا في الوادي العريض المظلل بأذرع الجبل الأطلال الرمادية للبيوت القديمة والأبراج، والجدران. " هنا يكمن كل ما بقي من دال " قال بالين. " جوانب الجبل كانت خضراء بالغابات وكل الوادي المحمي غني وسعيد في تلك الأيام التي كانت تعلق فيها أجراس المدينة "





بدأ حزينا وقاسيا معاً حين قالَ هذا: فقد كانَ أحد رفقة ثورين في اليوم الذي أتى فيه التّنين. لم يَجَاسِرُوا أن يتبعوا النهر أكثر من ذلك نحو البوابة لكنهم مضوا لما وراء السفح الجنوبي إلى أن رقدوا مختبئين خلف الصخور ليراقبوا ويشاهدوا فتحة الكهف المظلم في جدار المنحدر العظيم الواقع بين ذراعي الجبل والذي منه ينبع النهر الجاري وأيضا منه يخرج بخار و دخان مُظلم. لم ينج شيء من الضياع، لا يوجد من يحفظ البخار والماء، وكلّ حين وآخر يأت غراب داكن منذر بالسوء. كان الصوت الوحيد صوت ماء الجبال ومن حين إلى آخر نعيق خشن لطير. اقشعرّ بالين وقال "دعونا نُعدُّ! لا فائدة من وجودنا هنا! ولا أحب هذه الطيور السوداء، يبدون كجواسيس الشيطان."

قال الهوبيت " مازال التّنين حيّاً ويتجول في القاعات تحت الجبل أو أنا أتصوّر هكذا من الدخان " قال بالين، " لا يثبت هذا شيئاً ولو أتني لا أشكُّ أنك على حق. لكن ربّما إنصرفت بعيدا بعض الوقت، أو ربّما قد يرقد خارجا على جانب الجبل مستمرا في المراقبة، ومازلت أتوقع أن الأدخنة والأبخرة قد تأتي من الأبواب: لا بد أن كلّ القاعات امتلأت بعفن دُخان الكريه." تحت ثقل هذه الأفكار المظلمة، وتتبعهم الغربان بنعيقها بدعوا طريق العودة المرهق إلى المخيم. فقط في يونيو كانوا ضيوفا في بيت إرونند الجميل ورغم أنّ الخريف مازال يَزحفُ الآن نحو الشتاء فقد بدأ أن ذلك الوقت السارّ مضى الآن عليه سنوات. كانوا وحيدين في المجهول الخطر بدون أمل في مساعدة إضافية. كانوا في نهاية رحلتهم، لكنهم مازالوا بعيدين كما كانوا وبدا عند نهاية بحثهم أنه ليس عند أحد منهم الكثير من الأمل.

الآن من الغريب أن تقول أنّ السيد باجينز كان عنده أملا أكثر من الآخرين. وكان يرعّب كثيرا في استعارة خريطة ثورين والتأمل فيها تأمل في الكتابة الرونيّة والرسالة القمرية التي قرأها إرونند. كان هذا ما جعل الأقزام تبدأ البحث الخطر عن الباب السريّ على المنحدرات الغربيّة. حرّكوا مخيمهم لوادي طويل، أضيق من دال العظيم في الجنوب حيث توجد أبواب النهر، مُحاط بالنتوءات الأصغر للجبل. اثنان منها هنا تبرز بشدة غربا من كتلة الجبل الرئيسية في سلسلتين طويلتين منحدرتين تتجهان إلى أسفل نحو السهل. على هذا الجانب الغربيّ هناك كانت أقل الآثار لأقدام التّنين المغيرة، وكان هناك بعض العشب لأفراسهم. من هذا المخيم الغربيّ، مُطلّ طوال النهار بواسطة المنحدر و مُحاط به حتى تبدأ الشمس تُغرّق نحو الغابة، يوماً بعد يوم يخرجون في جماعات بحثا عن الطريق إلى فوق الجبل. إذا كانت الخريطة حقيقيّة، ففي مكان ما عالي أعلى المنحدر في رأس الوادي يجب أن يكون الباب السريّ. يوماً بعد يوم يرجعون إلى مخيمهم بدون نجاح.

لكن أخيراً فجأة وجَدُوا هدفهم. ذات يوم فيلي وكيلي والهوبيت عادوا إلى أسفل الوادي وتسلفوا بين الصخور المتداعية الموجودة في الركن الجنوبي. وعند مُنتصف النّهار بينما يزحفون وراء حجر عظيم يقف وحيدا كما لو كان عمود، أتى بيلبو لما بدأ مثل درجات متجهة لأعلى. فتتبعها وهو يحبس أنفاسه ليعثر هو والأقزام على آثار طريق ضيق، يفقدونها حيناً ثم يعيدون اكتشافها حتى أتى بهم تجولهم لقمة الجسر الجنوبي ثم أحضّرهم أخيراً إلى حافة أضيق ساكنة، تتجه للشمال مواجهة للجبل. أطلوا لأسفل فشاهدوا أنهم كانوا على قمة المنحدر في رأس الوادي و كانوا يَنظرون إلى أسفل إلى مخيمهم الخاص. في صمت، ملّصقين بالجدار الصخريّ على يمينهم، مضوا في طابور أحادي طوال الحافة، حتى فتح الجدار ليجدوا أنفسهم في فناء صغير محاط بالجدران منحدر ومغطى بالعشب هادئ وساكن. مدخله الذي عثروا عليه لا يُمكن أن يرى من أسفل بسبب بروز المنحدر ولا من مسافة بعيدة لأنه صغير فلا يظهر إلا كشق مظلم لا غير. لم يكن مغارة وكان مفتوحا إلى السماء من أعلى لكن في نهايته الداخلية حائط مسطح يرتفع من الجزء السفلي قريبا من الأرض كان ناعما ومستقيما مثل عمل البنا، لكن بدون فواصل أو لحام يمكن رؤيته. لا أثر لأي عمود أو عتبة أو بسطة ولا أي علامة لقضيب أو مزلاج أو ثقب مفتاح؛ ومع ذلك لم يشكوا أنهم كانوا قد وجَدُوا الباب أخيراً.







طرقوا عليه، دفعوا وصدموه وتوسلوا له ليتحرك ألقوا أجزاء مفككة لتعاويز الفتحة، ولم يتحرك شيء. أخيراً أتعّبهم. استراحوا على العشب تحته ثم في المساء بدّعوا رحلة الهبوط المرهقة. كانت هناك إثارة في المخيم ذلك الليل. في الصباح استعدّوا للحركة مرة واحدة أخرى. فقط بوفور وبومير تركوا لحراسة الأفراس والمخزون التي أحضروها معهم من النهر. الآخرون ذهبوا أسفل الوادي وفوق الطريق المكتشف حديثاً ومنه إلى الحافة الضيقة وعليها لم يستطيعوا حمل أي رزم أو حزم، كانت ضيقة جداً وخاطفة للأنفاس تطل على هاوية عمقها مائة وخمسون قدماً تؤدي لصخور حادة لكن كل منهم أخذ لفة جيدة من الحبال ربطها على وسطه وهكذا أخيراً دون حوادث مؤسفة بلّغوا الفناء العشيّ الصغير. هناك أقاموا مخيمهم الثالث، وسحبوا لأعلى ما يحتاجونه من أسفل بحبالهم وبنفس الوسيلة كان يمكنهم إنزال واحد من الأقزام الأكثر نشاطاً لأسفل مثل كيلي، ليتبادل الأخبار إذا كان هناك بعضها بهذه الطريقة أو أن ينال حصته من الحراسة بالأسفل بينما جذب بوفور إلى المخيم العلوي. لم يستخدم بومير أيًا من الحبل أو الطريق.

"أنا سمين أكثر ممّا ينبغي لمثل سير الذباب هذا، حتما سأكون دائخاً وأدوس على لِحيتي، ثم ستصبحون ثلاثة عشر مرة أخرى والحبال المعقّدة نحيلة أكثر ممّا ينبغي لوزني." لحسن حظه لم يكن هذا حقيقتاً كما سترون.

في نفس الوقت استكشّف بعضهم الحافة لما وراء الفتحّة ووجدوا طريقاً يؤدي إلى أعلى وأعلى إلى الجبل؛ لكن لم يجرؤوا على المغامرة بعد هذا الطريق ولم يكن هناك الكثير من النفع فيه. فبأعلى هناك الصمت هو الحاكم لا يكسره أي طير أو أي صوت باستثناء صفير الريح داخل شقوق الحجر. تكلموا بصوت منخفض ولم ينادوا أو يغنوا أبداً لخوفهم من الخطر الرابض تحت كل حجر.

أما الآخرون الذين انشغلوا بالباب السري فلم ينالوا نجاحاً أكبر. كانوا في أشد الحاجة لتفسير المعضلة المكتوبة بالرونية وتلك المكتوبة بالحروف القمرية\* لكنهم حاولوا بلا كلل معرفة أين بالتحديد في هذا الجدار الأملس يوجد الباب. كان عندهم معاول وأدوات متنوعة أحضروها معهم من مدينة البحيرة وفي البداية حاولوا أن يستعملوها. لكن عندما ضربوا الحجر فلقّت المقابض وهزّت أذرعهم بقسوة، وانكسر الرأس الفولاذي أو انثنى كما لو كان رصاصاً يطرق وأدركوا بوضوح أنه لا فائدة من مواجهة السحر الذي يعلق الباب كما أن الرعب نَمى في قلوبهم بسبب الضجة الرهيبة التي أصدرها الصدى في الجبال. وجدّ بيلبو الجلوس على العتبة موحش ومضجر لم تَكُنْ هناك عتبة طبعاً لكنهم اعتادوا تسمية الفضاء العشيّ القليل بين الجدار والفتحة "العتبة" على سبيل المزاح متذكّرين كلمات بيلبو منذ عهد بعيد في الحفلة المفاجئة في جحره الهوبيتي حين قال لهم أنهم يستطيعون الجلوس على العتبة والتفكير في شيء ما وقد جلسوا وفكروا وتجولوا بلا هدف حوله وازدادت كآبتهم أكثر فأكثر.

كانت معنوياتهم قد طفت قليلاً لاكتشاف الطريق، لكنها الآن تعرق في زوارقها ومع ذلك لم يستطيعوا اليأس منه أو الإنصراف عنه ولم يعد الهوبيت أكثر تألقاً من الأقزام فلم يكن عنده ما يفعله إلا الجلوس معطياً ظهره للجبل ناظراً للغرب عبر الفتحة ليعبر الجرف والأراضي الواسعة حتى الجدار الأسود لميركوود وإلى المسافات بعدها التي تجعله في بعض الأحيان يفكر أنه لا يذكر إلا لمحات صغيرة بعيدة من الجبال الضبابية. إذا سأله الأقزام ماذا كان يفعل يجيبهم "قلتم أنّ الجلوس على العتبة والتفكير سيكون عملي ولم تقولوا شيئاً عن دخوله لهذا أنا أجلس وأفكر" لكن أخشى أنه لم يكن يفكر كثيراً في مهمته وإنما فيما هو بعيد وراء الأفق الأزرق الأرض الغربية البعيدة والتل وجحره أسفل التل. كان هناك حجر رمادي كبير وسط العشب وأخذ يتسلى بمشاهدته ومشاهدة القواقع الكبيرة التي بدت تحب هذا الفناء المغلق الصغير بجدرانه الصخرية الباردة فكان هناك الكثير منها بأحجام كبيرة تزحف ببطء ولزوجة حول جوانبه.

قال ثورين ذات يوم "غداً يبدأ الأسبوع الأخير للخريف،"

\* الفصل الثالث (قف بجوار الحجر الرمادي حين يقرع الطائر والشمس الغاربة مع آخر أضواء نهار ديورين ((Durin)) ستضيء على ثقب المفتاح) ويوم ديورين آخر أهلة الخريف حين يجتمع قبل الغروب الشمس والقمر معا كما جاء في الفصل الثالث





قَالَ بيفور. "و يَأْتِي الشتاء بَعْدَ الخريف،"  
قَالَ دوالين "و السنة القادمة بعدئذ وستنمو لحانا حتى تتدلى من الجرف إلى الوادي قبل أن يحدث  
أي شيء هنا. ماذا سيفعل صعلوكنا لنا بما أنه يملك خاتم إخفاء ومن المفترض أنه الآن  
متخصص ماهر فقد بدأت أعتقد أن من الأفضل أن يذهب ليتجسس لنا من البوابة الأمامية قليلاً!"  
سَمِعَ بيلبو بهذا كَانَ الأقرام على الصخور الآن بالكاد فوقه حَيْثُ كَانَ يَجْلِسُ وفكر  
"ياللباقَة!! إذن فهذا ما بدعوا يفكرون فيه؟ أليس كذلك؟ يجب على شخصي المسكين أن يخرجهم  
دوماً من مصاعبهم على الأقل منذ تركنا الساحر ماذا يمكنني أن أفعل على أي حال؟ كان يجب  
أن أعرف أن شيء ما مريع سيحدث لي في النهاية لا أظنني أستطيع رؤية وادي دال الكئيب ثانية  
وكذلك هذه البوابة النافثة للدخان!!!"

ذلك الليل كان بائساً للغاية وبالكاد استطاع النوم. اليوم التالي ذهب جميع الأقرام يتجولون بعيداً  
في جهات متعددة البعض كَانَ يُدْرَبُ الأفراس بالأسفل، والبعض كَانَ يَتَجَوَّلُ عند جانب الجبل. أما  
بيلبو فجلس طوال النهار مكتئباً في الفناء العُشْبِيِّ يُنظر نحو الحجر أو للغرب عبر الفتحة الضيقة.  
كان عنده إحساس غريب أنه ينتظر شيء ما "ربما سيرجع الساحر فجأة اليوم،" فَكَّرَ.  
كان إذا رَفَعَ رأسه يَقْدِرُ أن يُشَاهِدَ لمحة للغابة البعيدة وعندما تحولت الشمس نحو الغرب كان  
هناك وهج أصفر على سطحها البعيد كما لو أن الضوء قد التقط آخر الوريقات الذابلة وسريعا ما  
رأى الكرة البرتقالية للشمس تهبط لمستوى عينه فذهب للفتحة وهناك كان يوجد قمر جديد باهت  
فوق حافة الفناء وعند هذه اللحظة سمع صوت طرقة حادة خلفه هناك فوق الصخر الرمادي بين  
الأعشاب أعداد كبيرة من طيور السماء لونها أسود كالفحم وصدورها السوداء مبرقشة ببقع داكنة  
وطك طك تلتقط قوقعا وتدقه في الصخر طك! طك!

وفجأة فهم بيلبو ونسى كل الخطر ووقف على الحافة ونادى الأقرام صارخا وزاعقا. أولئك الذي  
كانوا أقرب أتوا يتعثرون في الصخور بأسرع ما يستطيعون عبر الحافة يتساءلون ماذا حدث  
بحق السماء الآخرون صرخوا لتجذبهم الحبال لأعلى (باستثناء بومبر، طبعاً وكان نائماً).  
بسرعة شرح بيلبو. أغرقهم الصمت: الهوبيت واقف فوق الصخر الرمادي والأقرام حوله بلحاهم  
المرتجفة ينتظرون في نفاذ صبر. الشمس تغرق أكثر وأكثر وأمالهم تنهار. نزلت حتى أصبحت  
في حزام محمر من السحب واختفت تأوّة الأقرام، لكن بيلبو وَقَفَ ساكناً دون حراك. كَانَ الهلال  
ينخفض إلى الأفق فالمساء كان أتيا ثم فجأة عندما كَانَ أمهم في أعماق قاع يائس شعاع شمس  
أحمر هرب مثل الإصبع عبر شق في السحب. لتأتي ومضة ضوء مباشرة عبر الفُتْحَة في الفناء  
وتسقط على الصخرة الناعمة. والسمان العجوز الذي كان يراقب من مكن عال بعيون براقية  
ورأس منتصب على جانب واحد ارتعش فجأة ثم صرخ صرخة عالية لتنفلق قشرة من صخر  
الجدار وتسقط. ظَهَرَ ثقب فجأة على بعد ثلاثة أقدام من الأرض، بسرعة مرتجفين خشية أن تدبل  
الفرصة، هَرَعَ الأقرام إلى الصخرة و بذلوا جُهداً كبيراً في الدفع.  
صرخ بيلبو. "المفتاح! المفتاح! أين ثورين؟" فأسرع له ثورين فصرخ بيلبو "المفتاح! المفتاح  
الذي رَاقَقَ الخريطة! جربه الآن وما زال هناك وقت!"

ثم تقدم ثورين وأخرج المفتاح من سلسلته من حول عنقه. وَضَعَهُ على الثقب. لاءَمَهَا و دَارَ!  
تكة! ذهبت الومضة، غَرِقَتِ الشمس، اختفى القمر، وانتشر المساء في السماء.  
الآن دفعوا جميعاً معا وببطء جزء من الجدار الحجري تزحزح بعيداً. ظَهَرَتُ شقوق مستقيمة  
طويلة واتسعت. لتشكل إطار باب طوله خمسة أقدام وعرضه يكفي ثلاثة أشخاص وببطء دون أن  
يصدر صوتاً انزلق للداخل وبدا لهم أن الظلام انتشر كالبخار خارجاً من قلب الجبل بينما ظلمة  
عميقة لا يرى الشخص فيها يده تصدم أعينهم عبر هذا الفم المفتوح أمامهم المؤدي للأسفل.





## الفصل (١٢)

### من بين المعلومات

لوقت طويل وقف الأقرام في الظلام أمام الباب يتناقشون، إلى أن تكلم ثورين أخيراً:  
"الآن وقت عزيزنا السيد باجينز، الذي أثبتت نفسه كزميل جيد في طريقنا الطويل، والهوبيت  
المليء بالشجاعة والقدرات التي تفوق بمراحل حجمه، وإذا جاز لي أن أقول هذا أنه يمتلك حظاً  
سعيداً أكثر بكثير من المسموح المعتاد الآن ووقته ليُقومَ بالخدمة التي من أجلها انضم لشركتنا؛  
الآن وقته ليُكسبَ مكافأته."

أنت على علم بأسلوب ثورين في الأحداث هامة، لهذا لن أذكر المزيد منه رغم أنه مضى لمدة  
أطول بمقدار لا بأس به بالتأكيد كان حدثاً هاماً، لكن يبيلبو أحس باللهفة. الآن أصبح هو أيضاً  
على علم تماماً بأسلوب ثورين وكان يدرك ما هو ذاهب إليه فقاطعه:

"إذا كنت تعني أن مهمتي في ظنك هي الذهاب عبر المعبر السري أولاً يا ثورين أوكينشيلد ابن  
ثراين، فلربما تنمو لحيتك لمسافات أطول. قلها هكذا فوراً وافعل! ربما أرفض فقد أخرجتكم من  
المتاعب مرتين بالفعل لا أستطيع أن أضممهما للاتفاق الأصلي لهذا فأنا على ما أعتقد أستحق  
بالفعل بعض المكافأة لكن الثالثة ثابتة تغني عن الجميع كما كان يقول أبي وعلى نحو ما لا أظنني  
سأرفض ربما أصبحت أثق في حظي أكثر مما اعتدت عليه في الأيام الخوالي."

كان يقصد الربيع الماضي حينما ترك منزله لكنها بدت له كما لو كانت منذ قرون.  
"لكن بأي شكل من لأشكال أنا أظن أنني سأذهب وألقي نظرة مختلصة حالاً وأعود. الآن من  
سيأتي معي."

لم يتوقع فرقة غنائية من المتطوعين، لهذا لم يشعر بالإحباط.  
بدأ فيلي وكيلي غير مرتاحين ووقفاً على رجل واحدة، لكن الآخرون لم يقوموا بأي ادعاء  
بالعرض باستثناء بالين العجوز رجل الاستطلاع الذي كان مولعاً بالهوبيت قال أنه على الأقل  
سيذهب للداخل وربما جزء من الطريق أيضاً ليكون مستعد للإجابة إذا ناداه للمساعدة.

أكثر ما يُمكنني أن أقول عن الأقرام هو هذا: فهم اعتزّموا أن يدفَعُوا لبيلبو بكرم حقيقي مقابل  
خدماتهم لكنهم احضروه من أجل هذا العمل الكريه ولن يتضايقوا إذا ذهب رفيقهم المسكين الضئيل  
وحده إن وافق لكن هذا لا يعني أنهم لن يبذلوا قصارى جهدهم من أجله إذا وقع في المشاكل كما  
فعلوا حين وقع في أيدي العمالقة في بداية رحلتهم قبل أن يمنحهم أي سبب منطقي لفعل هذا من  
أجله.

والأمر هكذا فالأقرام ليسوا أبطالا لكنهم قوم حساب عندهم تقدير عظيم لقيمة المال وبعضهم حقا  
مخادع وغادر وشرير والبعض غير ذلك، لكن بينهم قوم محترمون بما يكفي مثل ثورين  
وشركائه، فقط إذا لم تنتظر منهم الكثير.

لم تكن هناك نجوم خلّقه في السماء الشاحبة المتدثرة بالسواد عندما زحف الهوبيت خلال الباب  
السحري واندفع داخل الجبل. كان الأمر أسهل بكثير مما توقع فلم يكن هذا مدخل لنفق غيلان أو  
كهف لجن الغابة الخشنيين بل كان ممر صنعه الأقرام يضاهي ما يملكون من المهارة والثروة  
مستقيم كالمسطرة مصقول الأرضية وناعم الجوانب ينحدر بميل لطيف لكنه ثابت لا يتغير ينتهي  
بعد مسافة ما إلى ظلام الأسفل.

بعد بعض الوقت تمنى بالين لبيلبو "حظاً سعيداً!" وتوقف حيث يستطيع أن يظل مدركاً للضوء  
الخافت للباب وحيث بقليل من التحايل يمكن سماع صدق النقاش الهامس الدائر بين الواقفين  
بالخارج. ثم ارتدى الهوبيت خاتمه، ومصحوباً بأصداء التحذيرات لكي يأخذ حذراً أشد من حذر  
الهوبيت المعروف في عدم إصدار الأصوات. فزحف لأسفل وأسفل في صمت هابطاً وسط  
الظلام كان يرتعد من الخوف لكن وجهه الصغير كان صارماً متجهماً. كان قد أصبح بالفعل  
هوبيت مختلف تماماً عن هذا الذي جرى بدون أن يأخذ مناديل جيب من نهاية باج (Bag end)  
حقيقة منذ وقت طويل لم يمتلك مناديل جيب ليس منذ عهود. وضع خنجره في غمده، وشد حزامه  
واستنمر.





قال لنفسه. "الآن تتهيا له أخيراً، باجينز بيلبو، أنت ذهبت وورط قدمك فيه ليلة ذلك الحفل والآن عليك أن تنزعها منه وتحصل على أجرك! ياأنا العزيز!، أي عبيط كُنتُ وأكون!" قالها الجزء الأقل تووكية منه " ليس لي نفع بالثروات التي يحرسها التنين والكنز بالكامل يمكنه أن يبقى هنا إذا كان لي أن استيقظ وأجد هذا النفق الموحش هو ردهة منزلي الأمامية،!"  
لم يستيقظ طبعاً، لكنه ذهبَ مع ذلك بإصرار، حتى تلاشى كل أثر للباب خلفه. كانَ وحيداً تماماً. وسريعاً ما أحس أن الجو يزداد دفناً "أهو نوع من الوهج هذا الذي يبدو أنني أراه أتياً نحوي؟"  
وبالفعل كان. وحينما تقدم للأمام ازداد واشتد حتى لم يعد هناك شك فيه كان ضوء أحمر يزداد إمراراً أكثر وأكثر وأيضاً أصبح الجو شديد الحرارة في النفق وسحابات من البخار انطلقت لأعلى بينما بدأ هو يعرق. سمع أيضاً صوت يخفق في أذانه: ضرب من البقبة مثل ضجة قدر كبير يجري فوق لهيب النار، مختلطاً بالدمدممة مثل قط هائل يقرقر. وتحول هذا إلى ضجة البقبة الواضحة لعطيط أحد الحيوانات الضخمة في نومه تحت هناك في الوهج الأحمر أمامه.  
هنا توقف بيلبو.

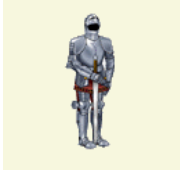
الاستمرار بعد هذا كان من أشجع ما يمكن أن يفعله في حياته فالأشياء الرهيبة التي حدثت بعدها لا تذكر مقارنة بهذا! فقد حارب المعركة الحقيقية في النفق وحيداً قبل أن يرى الخطر العظيم المجهول الرابض منتظراً بالأسفل.

لكنه بعد وقت قصير استمر ويمكنك تخيله وهو يصل إلى نهاية النفق حيث وجد فتحة مماثلة للمدخل وخلالها اختلس الهوبيت النظر مطلاً برأسه وأمامه وجد أعظم حضيض لسراديب أو قاعة زنازين للأقزام القديمة في جذر الجبل كان يعمها الظلام فلا يمكن رؤية عددها الضخم وإنما بالكاد يستنتج.

لكن هناك مرتفعاً فوق الأرضية الصخرية كان هذا الوهج العظيم. وهج سماوج! هناك يرقد تنين عملاق ذهبي محمر مستغرق في النوم وطنونة شخيره تنبعث من فكيه ومنخاريه مع حزم الدخان، لكن كانت نيرانه منخفضة في سباته.

تحت كل أطرافه وذيله العملاق الملفوف وحوله من كل الجوانب على الأرض التي لا يمكن رؤيتها ترقد أكوام لا تحصى كثيرة من الأشياء الثمينة وفضة مصبوغة بالإحمرار من اللهب الوردي.





رقد سماوج، وجَنَاحِيَّه مطويان كخفاش لا مثيل له، مضطجع جزئياً فوق جانب واحد، لذا يمكن للهوبيت أن يُشَاهِدَ أجزاءه السفلى وبطنه الشاحبة الطويلة المكسوة بالمجوهرات وسبائك الذهب من رقوده الطويل على فراشه الغالي وخلفه حيث الجدران كانت أقرب يُمكنه أن يرى بإبهام سُترات من الدروع والخوذ والفؤوس، السُيوف والرماح معلقة؛ وهناك في صفوف تقف جَرَّار عظيمة ومئات الأوعية المعبأة بثروات لا يُمكن تخيلها. أن تقولَ أن أنفاس بيلبو قد سلبت ليس مجرد وصف بلاغي إطلاقاً. لم تبق هناك كلمات تستطيع أن تصف ترنحه منذ أن بدل البشر اللغة التي تعلموها من الجن في الأيام التي كان كل العالم فيها رائعاً. كان بيلبو قد سمع قصصاً وأغاني عن خبيثة التنين من قبل لكن الروعة، الشهوة، المجد لمثل هذه الثروة المملوكة أبداً لم تأت لبنيته من قبل. امتلأ قلبه واقتحم بالإفتتان وبالتوق كالأقزام؛ وحدَّق ساكناً- تقريباً نسي الحارس المخيف- للذهب وراءه بثمنه ويحصيه.

حدَّق ما بدا له عمراً، قبل أن ينسحب رغماً عنه فانسل من ظلال الباب عَبَرَ الأَرْضِيَّة إلى الحافة الأقرب لمتاريس الكنوز. أعلى منه يرقد التنين النائم مهدداً منذراً بالويل حتى في نومه. قَبَضَ على كأس كبير ذو يدان بأثقل ما يُقدَّر أن يحمل ورفع عيناً مرتعبة لأعلى. حَرَكَ سماوج جناحاً، فَتَحَ مخلباً دمدمة غَطِيْطَه نغمتها تغيرت.

ثم فر بيلبو. لكن لم يَسْتَيْقِظِ التَّيْنِ- ليس بعد لكن تحوّلت أحلامه لأحلام أخرى عن الجشع والعنف، يرقد هناك داخل قاعته المُخْتَلَسَة بينما الهوبيت الضئيل يكْدَ عائداً عبر النفق الطويل. كان قلبه يَبْضُ وبه الكثير من رجة المحموم بالذات في أَرْجُلِه أكثر مما كانت في نزوله لكنه مازال يقبض بإحكام على الكأس، وكانت فكرته الرئيسية

" قد فعلتها! هذا سيرهم. بالفعل أبدو لهم كبقال أكثر من صلوك! حسناً، لن نسمع المزيد من ذلك الحديث."

وبالفعل لم يسمع. أُنْبُهَجَ بالين بشدة لرؤية الهوبيت مرّة ثانية ومثلما ابتهج اندهش. انْقَطَ بيلبو وحمله للهواء الطلق.

كانَ مَنْصُفَ اللَّيْلِ وكانت قد غَطَّتْ السحب النجوم، لكن بيلبو رقد مغلقاً عينيه لهث وأخذ مُتعة استنشاق الهواء المنعش وبصعوبة أدرك الإثارة التي كان عليها الأقزام، أو كيف مدحوه وربّبوا على ظهره ووضعوا أنفسهم وكلّ عائلاتهم لأجيال في خدمته.

كانَ الأَقْزَام مازالوا يمررون الكأس من يد ليد ويتحدثون ببهجة عن استعادة كنزهم حينما فجأة روعتهم زمجرة هائلة واستيقظَ الجبل في الأسفل كما لو كان بركاناً قديماً قد قرر أن يبدأ الانفجار مرة أخرى. كانَ الباب خَلْفَهُم قد كاد أن يقتلع ومنع من الغلق بالحجر، لكن من النفق الطويل أتت أصداً مفزعة، آتية من الأعماق السحيقة بعيداً لصراخ ودبيب جعل الأرض تحتهم ترتعش. ثم نسي الأَقْزَام فرحتهم وتفاخرهم المطمئن منذ لحظات وانكَمَشُوا لأسفل من الخوف. سماوج كان مازال يستطيع الحساب. حين يكون هناك تنين حي بجوارك فليس من العقل أن تخرجه من حساباتك قد لا يبدو أن التنانين تستخدم الثروة في شيء نافع لكن كقاعدة عامة تعرف مقدار ثروتها أوقية وأوقية وبالذات بعد امتلاكها لها زمناً طويلاً ولم يكن سماوج استثناء كان قد مر بحلم كئيب به محارب ضخم الحجم شديد الشجاعة مزود بسيف حاد يبدو له غير مبهج بالمرّة لينتقل إلى غفوة ومن الغفوة للإستيقاظ.



كان هناك أنفاس هواء غريبة في مغارته. هل يمكن أن يكون هناك تسرب من ذلك الثقب الضئيل؟ لم يكن إحساسه حيال هذه الفتحة يوصف بالسعادة رغم أنها كانت صغيرة جداً، والآن نظَّرَ بغضب إليها وهو مليء بالشك وتساءل لماذا لم يسدّها من قبل؟ مؤخراً كان شبه متخيلاً أنه قد النقط أصداً صوت خبْط خافتة من بعيداً فوقه نزلت لأسفل حيث عرينه. تَحَرَّكَ ومَطَّ عنقه لأعلى ليثمَّ. ثم أفتقدَ الكأس!

لُصُوص! نار! قتل! مثل هذا لم يحدث منذ أن أتى إلى الجبل! كان غضبه يفوق الوصف ذاك النوع من الغضب الذي يصيب الأغنياء الذين يمتلكون أكثر مما يستطيعون الاستمتاع به ثم





يفقدون فجأة شيء ما يملكونه منذ وقت طويل لكنهم لم يستخدموه أو يريدوه من قبل تجشأ ناره المتصاعدة، القاعة امتلأت دخانا جذور الجبل ارتجت. دُفِعَ رأسه داخل الثقب الصغير بعنف، ثم لفَ طوله معاً، يَهْدُرُ كالرعد أسفل الأرض مُسْرَعاً من عرينه العميق خلال بابه العظيم، خارجاً في معابر قصر الجبل الضخمة وفوق نحو الباب الأمامي. ليصنطادَ عبر الجبل بالكامل حتى يمسكَ اللصَّ وكانَ تمزيقه وهرسه فكرته الوحيدة. اندفع من الباب، نهضت المياه كبحار صافر متوحش، و فوق ارتفع التنين يئنن في الهواء واستقر على قمة الجبل وسط انبثاق لهب قرمزي وأخضر. سمع الأقرام صوت الخفقان الرهيب لطيرانه وجثموا قبالة الجدران على البسطة العشبية منكمشين تحت الجلاميد، تأمل بطريقة أو بأخرى أن تفر من العينين المخيفتين للتنين الصياد. وقتها سيكوئون جميعاً مقتولين، لولا بيلبو مرة أخرى. "بسرعة! بسرعة!" لهت. "الباب! النفق! إن هنا ليس أمناً"

أوقظتهم هذه الكلمات كانوا سيترحمون الآن في النفق حين صرخ بيفور: "يا أبناء العم! بومبر وبوفور قد نسيناهم، هم أسفل في الوادي!"  
" سيدبحون، وكل أفراسنا أيضاً، وخسرنا كل الذخائر والمخزون"  
تأوه الآخرين. " لا تقدر أن تفعل أي شيء."

" هراء!" قال ثورين، مستعيداً كرامته. "لا تقدر أن نهجرهم. ادخل يا سيد باجينز وبالين، وأنتمما الاثنان فيلي وكيلي فالتنين يجب ألا ينال منا جميعاً. الآن أنتم الآخرون، أين الحبال؟ أسر عوا!"  
ربما كانت هذه أسوأ لحظات مروا بها على الإطلاق فالأصوات المفزعة لغضب سماوج تتردد عبر الفضاء الصخري بعيداً حولهم وفي أي لحظة ربما يجيء ليحرق أو يطوف ليجدهم هناك، قرب الحافة الخطرة للجرف فجدبوا الحبال بجنون ولأعلى أتى بوفور، وهو مازال سليماً. وأتى بومبر ينفخ ويلهث بينما الحبال تصر ومازالوا جميعاً آمنين ونجحوا في رفع بعض الرزم والأدوات من المخزون وحينها حلق الخطر فوقهم سمعوا ضجة وقرقعة ولامس ضوء أحمر الصخور البارزة وأتاهم التنين؟



كان عندهم وقت بشق الأنفس لكي يندفعوا نحو النفق يجرون ويجذبون رزمهم، عندما أتى سماوج مندفعاً من الشمال يلحق جوانب الجبل بألسنة لهبه يضرب بأجنحته العظيمة بضجة كالرياح الهادرة فذبل العشب ما أن لامست أنفاسه الحارقة الفناء أمام الباب واندفع لهيبه عبر شق الباب الذي تركوه خلفهم ليلسعهم وهم راقدون بالداخل اندفعت طيور النار تتقاذف بالداخل لتتراقص ظلال الصخور قبل أن يعم الظلام برحيله.

صرخت الأفراس برعب ومزقت حبالها وجرت بصورة هوجاء بعيداً. إنقض التنين وتحول لمطاررتها وذهب خلفها بعيداً.  
قال ثورين. " ذلك سيكون نهاية حيواناتنا المسكينة!"

" لا يستطيع أي شيء أن يفر من سماوج بمجرد أن يشاهده. هنا نحن وهنا يجب أن نمكث، ما لم يحب أي واحد منكم أن يتجول عبر الأميال المكشوفة الطويلة ليرجع إلى النهر مع سماوج يراقبه!"

لم تكن فكرة سارة! زحفوا أبعد لأسفل النفق، وهناك رقدوا وأرتعشوا رغم أن الجو كان دافئاً وخانقاً حتى بدأ الفجر يتسلل شاحباً من الشق. ومن حين إلى آخر في الليل أمكنهم سماع هدير التنين الطائر يزداد ثم يمضي ويخفت بينما هو يتجول متصيذاً مرات ومرات عبر جوانب الجبل ظن من الأفراس، ومن آثار المخيمات أن البشر أتوا من النهر والبحيرة وتسلقوا جانب الجبل من الوادي حيث كانت تقف الأفراس لكن الباب تحمّل نظرات عينه الفاحصة، والفناء الصغير المحاط بجدران عالية تلقى أعنف جمرات لهبه مبقية خارج النفق ولزمن طويل استمر في





البحث حتى أتى الفجر ليجعله يرتجف من الغضب وذهب عائدا لمضجعه الذهبي لينام وليجمع قوته من جديد.

لن يَنْسَى أو يَصْفَحُ أبداً عن السرقة، ولو حتى إذا مضت ألف سنة تحوله إلى حجر محترق، لكنه يَقْدِرُ أن يَنْحَمَلَ لِيَنْتَظِرَ.

بيطء وصمت زحفاً ثانية إلى عرينه وأغلق نصف عينيه.

عندما بدأ الصباح كان رعب الأقزام أقل. أدركوا أنّ المخاوف من هذا النوع محتومة حين يتعاملون مع مثل هذا الحارس وأنه ليس من الجيد التخلي عن هدفهم بعد كما أنهم لا يستطيعون الرحيل الآن كما قال ثورين وقد فقدت أو قتلت أفراسهم ويجب عليهم أن يَنْتَظِرُوا بعض الوقت قبل أن يهدئ سماوج من مراقبته بما يكفي ليجروا على الرحيل سيراً ولحسن الحظ أنقذوا من المخزون ما يكفيهم لفترة.

تجادلوا لوقت طويل عما يجب فعله لكنهم لم يجدوا وسيلة للتخلص من سماوج الأمر الذي كان نقطة الضعف الدائمة في كل خططهم وأحس بيلبو أنه يجب دائماً أن يذكرهم بهذا. ثم كما طبيعة القوم المرتبكين بطبعهم بدؤوا يَنْدَمَرُوا من الهوبيت، يُلومونه على ما أسعدهم في البداية لأنه أحضر تلك الكأس وإثارته حنق سماوج سريعاً جداً.

"ماذا سيفعل الصعلوك خلاف ذلك في رأيك؟" سأله بيلبو بغضب. "أنا لم أتخصص في قتل الثنين هذا عمل المُحَارِبِينَ، لكن تخصص الصعلوك هو أن أسرق ثروة. وقد قمت بأفضل بداية ممكنة. هل كنت تنتظر مني أن أهول عائداً وأنا أحمل كنز ثور الكامل على ظهري؟ إذا كان هناك أي سبب للتبرُّم، أظن أنه سيكون لي نصيب منه فقد كان يجب عليك توظيف خمسمائة صعلوك وليس واحداً وأنا واثق أن الأمر يعكس عظمة رصيد جدك لكن لا يمكنك التظاهر أنك أوضحت لي الحجم الهائل لثروته ولا بد أنني سأستعرق مئات الأعوام لإخراجها كلها هذا إذا كان حجمي أكبر بخمسين مرة وسماوج لطيف كالأرنب!"

طبعاً بعد هذا التمسست الأقزام عفوه. "ماذا تقترح أن نفعل إذن، يا سيد باجينز؟" سأل ثورين بتهذيب.

"ليس عندي فكرة حالياً - إذا كنت تسأل عن نُقْلُ الثروة فكما هو واضح يحتاج هذا لبعض التحولات الجديدة للحظ والتخلص من سماوج. التخلص من الثنين ليس تماماً من نهجي، لكن سأبدلُ قصارى جهدي للتفكير بالأمر. شخصياً ليست عندي آمال في أي شيء، وأتمنى لو كنت أماناً عائداً لمنزلي."

"لا تهتم بذلك الآن! ماذا نفعل الآن؟ اليوم؟"

"حسناً، إذا كنت ترغب حقاً في نصيحتي، يجب أن أقول أننا لا نقدر أن نفعل شيء غير الإقامة حيث نحن. نهراً نقدر أن نرحف بدون شك خارجاً بأمان كافي لناخذ الهواء. ربّما قبل وقت طويل واحد أو اثنان نختارهما ليعودا للمخزون عند النهر ويستكملا مؤننا لكن حالياً يجب على كل شخص أن يبقى طوال الليل في النفق.

"والآن سأصنع عرضاً لك. سأضع خاتمي وأزحف هذا الظهر بالتحديد وأراقب لأرى إن كان سماوج نائم وأرى ماذا يفعل فلكل دودة موطن ضعف كما كان والدي يقول دوماً ولو أنني واثق أن هذا لم يكن بناءً على خبرته الشخصية!"

طبعاً الأقزام قبلت العرض بتلهف. قبل الآن كانوا ينظرون باحترام لبيلبو أما الآن فهو القائد الحقيقي لمغامرتهم.

كان قد بدأ يَمِثْلُكَ أفكاراً وخطط خاصة. عندما أتى مُنْتَصَفُ النَّهَارِ كان جاهزاً للنزول في رحلة أخرى في الجبل. لم يحبها طبعاً، لكن لم تكن سيئة جداً الآن بعدما عرّف، تقريباً، ما ينتظره. لو كان عنده معرفة أكبر بالثنانين وحيلهم اللثيمة ربما أصابه خوف مراهقين أكثر وآمال أقل في أن يجد هذا المخلوق غافياً.

كانت الشمس تلمع عندما بدأ، لكن كانت الظلمة في النفق نهاراً مثل ظلمته ليلاً. الضوء القادم من الباب، الشبه مغلق سريعاً ما تلاشى بمجرد أن انخفض لذا كان يمضي في هدوء تام حتى أن





الدخان الساري في الريح الهادئة بالكاد يمكن أن يتفوق عليه، وبدأ يميل للإحساس بالفخر بنفسه كلما اقترب من الباب السفلي حيث لم ير هناك إلا وهج ضعيف للغاية.

"سماوج العجوز مرهق و نائم، لا يقدّر أن يراني ولن يسمعني. فلتسعد يا بيلبو!"  
كان قد نسي أو لم يسمع أبدا عن حاسة الشم عند الثنائين كما أن من البديهي أنهم يبغون نصف عين تراقب أثناء نومهم حين يشعرون بالارتياح. بدأ سماوج بالتأكد، مُستغرقا في النوم تماما يكاد يكون ميتا ومظلما وشخيره قليل أكثره نفحات بخار غير مرئي، عندما إختلس بيلبو النظر مرة أخرى من المدخل. كان يهيم بالخطوة الأولى للداخل حين لمح خيط رفيع لامع أحمر مفاجئ من أسفل الجفن المتناقل. من أسفل عين سماوج اليسرى! كان يتظاهر فقط بالنوم! بينما يراقب مدخل النفق! وبعجلة تراجع بيلبو وهو يبارك الحظ الذي منحه له خاتمه وهنا تكلم سماوج.  
"حسنا يا لص أنا أشمك وأحس بزفيرك وأسمع صوت تنفسك تفضل واخدم نفسك هناك الكثير وسيبقى أكثر"

لكن لم يكن بيلبو جاهلا تماما بحكايات الثنائين ولو أن سماوج كان يأمل أن يقترب أكثر لكي يناله فقد خاب أمله

رد عليه "لا شكر أوه سماوج المهول! أنا لم أت لأجل الهدايا أنا أردت فقط أن ألقى نظرة وأراك لأعرف هل أنت بالفعل طويل وعظيم كما تذكر الحكايات أم لا فأنا لم أصدقها"  
"هل تصدق الآن؟" قالها التينين مجاملا بعض الشيء رغم أنه لم يصدق حرفا  
"حقا الأغاني والحكايات تسقط مختزلة أمام الحقيقة يا سماوج الأكثر زعامة وعظمة بين النكبات" رد بيلبو.

رد التينين "لك سلوكا حسن كلص وكذاب تبتدو عالما باسمي، لكن لا يبدو لي أنني أذكر رائحتك من قبل اسمح لي بالسؤال؟ من أنت ومن أين جئت؟"

"بالطبع اسمح لك! أنا أتيت من أسفل التل وفوق تلال وأسفل تلال يمضى طريقي وعبر الهواء أنا هذا الذي يمشي فلا يرى!"



"هكذا أنا أستطيع أن أوقن لكن من الصعب أن يكون هذا اسمك المعتاد."

"أنا متتبع الأثر قاطع الشباك الذبابة اللادغة أنا المختار لأجل رقم الحظ."

"لقب جميل!" تهكّم التينين. "لكن لا تأتي الأرقام المحظوظة عادة هنا"

"أنا هو الذي دفن أصدقائه وأخرجهم أحياء ثم أغرقهم في الماء وأخرجهم أحياء ثانية. جئت من نهاية كيس\*، لكن لا كيس أتى فوقني"

"تلك لا تبتدو موثوقا بها كثيرا" سخر سماوج.

"أنا صديق الدببة وصيف النسور. أنا الفائز بالخاتم ولابس الحظ وراكب البراميل" هكذا

استمر بيلبو وقد بدأ يستمتع بالغازه.

"هذا أفضل!" قال سماوج. "لكن لا تدع خيالك يجمع بك!"

هذه طبعاً طريقة التكلّم إلى التينين، إذا كنت لا ترغّب أن تكشف اسمك المناسب (وهو أمر حكيم)، ولا ترغّب أن تعضيبهم بالرفض المباشر (وهو أيضا أمر حكيم). لا يوجد تينين يقدّر أن يقاوم فنتة حديث الأغاز ولا إضاعة الوقت في محاولة فهمه وهناك الكثير جدا مما لم يفهمه سماوج رغم أنني أظن أنك فهمته لمعرفتك ببيلبو وكل مغامراته التي أشار لها، لكنه ظن أنه فهم بمقدار كافٍ، وضحك في أعماقه الشريرة.

\* bag end = نهاية كيس ونهاية باج هو اسم المكان الذي يوجد به تل بيلبو في هوبيتون







" فَكَّرْتُ جَيِّدًا اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ، " ابْتَسَمَ لِنَفْسِهِ. " رَجَالُ الْبَحِيرَةِ، خَطَّةٌ مَا كَرِيهَةٌ مِنْ تِجَارِ الْحَوْضِ الْبَائِسِينَ. هُمْ أَوْلُوكَ وَإِلَّا فَأَنَا سَحْلِيَّةٌ. لَمْ أَهْبَطْ هُنَاكَ مِنْذُ عَهودٍ وَعَهودٍ لَكِنْ سَأَغَيِّرُ هَذَا قَرِيبًا!"  
" حَسَنًا جِدًا، يَا رَاكِبَ الْبِرَامِيلِ!" قَالَ بِصَوْتٍ عَالِيٍّ. "رَبِّمَا بَرَمِيلٌ كَانَ اسْمُ فَرَسِكَ وَرَبِّمَا لَا، وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ سَمِينًا بِمَا يَكْفِي. رَبِّمَا قَدْ تَمَشَيْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ، لَكِنْ أَنْتَ لَمْ تَمَشِي كُلَّ الطَّرِيقِ. دَعْنِي أَخْبِرَكَ أَنِّي أَكَلْتُ سِتَّةَ أَفْرَاسِ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ وَسَأَكُلُ الْبَاقِينَ قَرِيبًا وَفِي مَقَابِلِ تِلْكَ الْوَجِبَةِ اللَّذِيذَةِ سَأَعْطِيكَ نَصِيحَةً تَنْفَعُكَ لَا تَقَمُ بِشَيْءٍ مَعَ الْأَقْرَامِ أَكْثَرَ مِنْ قَدْرَتِكَ"  
"الْأَقْرَامُ!" قَالَ بِيَلْبُو مَدْعِيًا الْمَفْاجَأَةَ.

" لَا تُخَاطِبْنِي!" قَالَ سَمَاجُجُ. " أَعْرِفُ رَائِحَةَ (وَطَعْمَ) الْقَزَمِ وَلَا أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنِّي فِي هَذَا. لَا تَقُلْ أَنَّنِي أَقْدِرُ أَنْ أَكُلَ فَرَسَ قَزَمٍ وَلَا أَعْرِفُهُ! سَنَنْتَهِي نَهَايَةَ مَأسَاوِيَةٍ إِذَا رَافَقْتِ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءِ. يَا لَصِ رَاكِبِ الْبِرَامِيلِ أَنَا لَا أَكْتَرُ إِذَا عَدْتِ وَأَخْبَرْتَهُمْ بِهَذَا عَنِّي."  
لَكِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِيَلْبُو أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ رَائِحَةٌ وَاحِدَةٌ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَعْرِفَهَا أَبَدًا، رَائِحَةُ الْهَوْبِيْتِ؛ كَانَتْ خَارِجَ نِطَاقِ خَبْرَتِهِ تَمَامًا وَحَيَّرَتْهُ بِشَدَّةٍ.

أَكْمَلَ "أَنَا إِفْتَرَضُ أَنَّكَ حَصَلْتَ عَلَى سَعْرِ جَمِيلٍ لِذَلِكَ الْكَأْسِ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ؟ أَلَمْ تَفْعَلْ؟ لِأَشْيَاءٍ أَلَيْسَ كَذَلِكَ حَسَنًا ذَلِكَ طَبْعُهُمْ وَأَتَّصَرُّهُمْ يَتَوَارَوْنَ بِالْخَارِجِ وَعَمَلُكَ أَنْ تَقُومَ بِكُلِّ الْعَمَلِ الْخَطِرِ وَالْحَصُولِ عَلَى مَا تَسْتَطِيعُهُ بَيْنَمَا لَا ابْحَثُ عَنْهُمْ؟ وَسَتَحْصُلُ عَلَى حِصَّةٍ عَادِلَةٍ؟ لَا تَقُلْ أَنَّكَ تَصَدُقُ هَذَا! إِذَا ظَلَلْتَ حَيَا سَتَكُونُ مَحْظُوظًا!"

كَانَ بِيَلْبُو الْآنَ بَدَأَ يَشْعُرُ بِعَدَمِ ارْتِيَاكِ حَقًّا. كُلَّمَا بَحِثْتَ عَنْهُ عَيْنِ سَمَاجُجِ الْمَتَجَوْلَةِ فِي الظَّلَالِ، نَفَذْتَ خِلَالَهُ إِرْتَجَافًا وَتَمَلُّكَةً رَغْبَةً غَيْرَ مَسْئُولَةٍ فِي أَنْ يَتَسَرَّعَ وَيَكْشِفَ نَفْسَهُ وَيَقُولَ الْحَقِيقَةَ. فِي الْوَاقِعِ كَانَ فِي خَطَرٍ رَهِيْبٍ وَهُوَ أَنْ يَقَعَ تَحْتَ فِتْنَةِ تَعَاوِيذِ التَّنِينَ لَكِنَّهُ بَجَمْعِ شَتَاتِ شِجَاعَتِهِ تَكَلَّمَ ثَانِيَةً.

" لَا تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ، يَا سَمَاجُجِ الْعَظِيمِ لَيْسَ الذَّهَبُ وَحْدَهُ أَحْضَرْنَا هُنَا."  
"هَآهِيَ! تَعْتَرِفُ الْآنَ بِنَحْنِ،" ضَحِكَ سَمَاجُجُ. "لِمَاذَا لَا تَقُولُ نَحْنُ الْأَرْبَعَةُ عَشْرَ وَتَعْتَرِفُ بِهَا يَا السَّيِّدَ رَقْمَ مَحْظُوظٍ؟ يَسْعَدُنِي مَعْرِفَةُ أَنَّ هُنَاكَ أُمُورَ أُخْرَى فِي هَذِهِ الْأَجْزَاءِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَهَبِي. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الْمَحْتَمَلِ - رَبِّمَا! - أَنْكَ لَمْ تَضَعْ كُلَّ وَقْتِكَ."

" لَا أَعْرِفُ إِذَا كَانَ قَدْ خَطَرَ بِبَالِكَ أَنَّهُ حَتَّى وَلَوْ قَدَّرْتُمْ أَنْ تَسْرِقُوا الذَّهَبَ جِزْءًا جِزْءًا - وَهُوَ أَمْرٌ يَسْتَعْرِقُ مِائَاتَ الْأَعْوَامِ - لَنْ تَسْتَطِيعُوا الْإِبْتِعَادَ بِهِ كَثِيرًا فَلَا نَفْعَ كَبِيرَ لَهُ فِي جَانِبِ الْجَبَلِ وَلَا نَفْعَ فِي الْغَابَةِ؟ فَلْيُرْحَمَنِي الرَّبُّ! هَلْ فَكَّرْتَ أَبَدًا فِي الْكَمِيَّةِ؟ سَهْمٌ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشْرَ كَمَا أَظُنُّ أَوْ شَيْءٍ كَهَذَا هُوَ الْمَصْطَلَحُ هَهُ؟ لَكِنْ مَاذَا عَنِ التَّسْلِيمِ؟ مَاذَا عَنِ النِّقْلِ؟ مَاذَا عَنِ الْحَرَسِ الْمَسْلُوحِ وَالضَّرَائِبِ؟"

وَضَحِكَ سَمَاجُجُ بِشَدَّةٍ كَانَ لَهُ نَفْسٌ شَرِيْرَةٌ وَقَلْبٌ لَثِيمٌ، وَعَرَفَ أَنَّ تَخْمِينَاتِهِ لَمْ تَكُنْ بَعِيدَةً عَنِ الصَّوَابِ وَلَوْ أَنَّهُ شَكَّ أَنَّ رَجَالَ الْبَحِيرَةِ خَلْفَ الْمَخْطُطِ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنْ مَعْظَمَ الْغَنِيْمَةِ سَتَنْتَوَقِفُ هُنَاكَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ عَلَى السَّاحِلِ الَّتِي فِي شِبَابِهِ كَانَ يَسْمِيهَا إِيَسْجَارُوثَ (Esgaroth)\*.

لَنْ تَصَدُقَ هَذَا لَكِنْ بِيَلْبُو الْمَسْكِينِ كَانَ بِالْفِعْلِ بَدَأَ يَغْلِبُ فَقَدْ تَرَكَزَتْ بِشَدَّةٍ كُلُّ أَفْكَارِهِ وَطَاقَتِهِ عَلَى الصُّعُودِ فَوْقَ الْجَبَلِ وَعَلَى الْعُثُورِ عَلَى الْمَدْخَلِ لَمْ يَضَاقِقْ نَفْسَهُ أَبَدًا بِالتَّسْأُولِ كَيْفَ سَيَنْقَلُ الْكَنْزُ وَحَتْمًا لَمْ يَفْكَرْ كَيْفَ سَيَنْقَلُ أَيُّ جِزْءٍ مِنْهُ يَقَعُ فِي حِصَّتِهِ كُلِّ تِلْكَ الْمَسَافَةِ لِنَهَايَةِ بَاجِ (Bag-End) أَسْفَلَ التَّلِّ وَالْآنَ بَدَأَتْ شَكُوكُ كَرِيهَةٍ تَتَمُّو فِي عَقْلِهِ هَلْ حَقًّا نَسَى الْأَقْرَامَ هَذَا الْأَمْرَ الْهَامَّ أَيْضًا؟ أَمْ كَانُوا يَضْحَكُونَ فِي سِرِّهِمْ مِنْهُ طَوَالَ الْوَقْتِ؟ كَانَ هَذَا تَأْثِيرُ كَلَامِ التَّنِينَ عَلَى قَلِيلِي الْخَبْرَةِ كَانَ يَنْبَغِي لِيَلْبُو بِالتَّأَكِيدِ أَنْ يَكُونَ أَشَدَّ حِرْصًا لَكِنْ سَمَاجُجُ كَانَ عِنْدَهُ شَخْصِيَّةٌ كَاسِحَةٌ.

قَالَ، مَجْهَدًا نَفْسَهُ أَنْ يَبْقَى مُخْلِصًا لِأَصْدِقَائِهِ وَلِأَنْ يُوَاصِلَ لِلنَّهَايَةِ " سَأُخْبِرُكَ، كَانَ ذَلِكَ الذَّهَبُ فَقَطْ فِكْرَةٌ أَنْتُنَا مَتَأَخَّرَةٌ. جِنْنَا فَوْقَ التَّلِّ وَتَحْتَ التَّلِّ، عِبْرَ الْمَوْجَةِ وَالرِّيَّاحِ لَ (الانتقام!) فَبِالتَّأَكِيدِ، يَا سَمَاجُجِ الْغَنِيِّ الْأَحْمَقِ لِأَبَدِ أَنَّكَ أَدْرَكْتَ أَنَّ نَجَاحَكَ صَنَعَ لَكَ أَعْدَاءًا لِذَوْدِيْنِ الْأَدَاءِ؟"





ثم ضحك سماوج من أعماقة- صوت مدمر هَزَّ بيلبو إلى الأرضية، بينما بعيدا فوق في النفق تجمعت الأقرام معا وتخليلت أن الهوبيت كان قد بلَغَ فجأة نهاية كريمة.

"انتقام!" صهَل، وأنار ضوء عينيه القاعة من الأرضية إلى السقف مثل برق قرمزي. "انتقام! لمن؟! ملك ما تحت الجبل وأين يمكن أن يوجد القريب البعيد الذي يُحتمل أن يَبْحَثَ عن الانتقام؟ جيريون سيد دال ميت وقد أكلت قومه كما يفعل الذئب بين الأغنام وأين أولئك أبناء الأبناء الذين يجرؤون على الاقتراب مني؟ أنا أقتل حيثما أشاء ولا يجرؤ أحد على المقاومة لقد أسقطت محاربي القدم وأمثالهم لا يوجدون في هذا العصر رغم أنني كنت صغيرا وضعيفا بينما أنا الآن كبير وقوي قوي قوي قوي. أيها اللص في الظلال!" وقال بإعجاب. "درعي هو مثل عشرة أضعاف دروع مشابهة، أسناني سيُوف، مخالب رماح، صدمة ذلي صاعقة، أجنحتي إغصار، وأنفاسي موت!" قال بيلبو في صرير خائف "كنت أعتقد دوماً أن التنين أكثر ضعفا في الأسفل، لا سيما في منطقة ال آه صدر لكن بلا شك واحد محصن للغاية قد فكر في هذا."

تَوَقَّفَ التَّيْنُ قليل في تفاخره. "معلوماتك عتيقة" وتململ "أنا مدرِّع فوق وتحت بقشور حديدية ومجوهرات صلبة لا يوجد نصل يَؤدِرُ أن يَخترقني."

"ربما أكون خمنت" قال بيلبو. "حقيقة أنه لا يوجد مكان يمكن أن نجد به نظير اللورد سماوج الذي لا يخترق فما أعظم أن تمتلك صدرية من الماس الجميل"

"نعم،" قال سماوج مبتهجا بشكل سخيف "نعم إنه أمر نادر ومذهل في الحقيقة"

لم يكن يعرف أن الهوبيت في زيارته الماضية التقط لمحات لغطائه السفلي وكان يتحرق شوقا لنظرة أقرب لغرض في نفسه.

انْقَلَبَ التَّيْنُ وقال "انظر! ماذا تقول مثلا لهذا؟"

تَعَجَّبَ بيلبو "باهر مذهب! بالكمال! لا عيب فيه! يفوق الرشد!" بصوت عالي، لكن ما فكره في سره: "عجوز عبيط! لماذا توجد رقعة كبيرة في تجويف صدره الأيسر عارية مثل القوقع خارج قشرته!"

بعد أن رأى السيد باجينز هذا كانت فكرته الوحيدة هي الابتعاد. قال "حسنا حسنا، أنا حقا لا أحب أن أؤخر عظمتك أكثر من ذلك أو أبعدك عن الراحة التي أنت بأشد الحاجة لها فالأفراس تحتاج للكثير من الجهد في الصيد بعد بداية طويلة كما أظن وكذلك الصعاليك" أضاف هذا كطلاقة حاسمة بينما يندفع ويطيير إلى النفق .

كانت ملاحظة تعيسة لتشبيه التنين بالصعلوك، فالتَّيْنُ بَحَّ لها مروعا خلفه، فأسرع رغم أنه كان يصعد المنحدر ولم يكن مضى بالسرعة الكافية ليكون آمنا حين اندفع الرأس البشع لسماوج تجاه فتحة النفق خلفه لحسن الحظ لم تستطع الرأس بكامل فكها المخيفين أن تعصر لتدخل بالداخل لكن الأنف أطلق لهيبا ودخانا يلاحقه وكاد أن ينهزم وتعثر كالأعمى وهو ممتلئ بالألم والخوف كان قد أحس بالبهجة لمهارته في محادثة سماوج لكن خطئه في النهاية صدمه ليشعره بالمرارة.

قال لنفسه "أبدا لا تضحك على تين حي، بيلبو أيها الأحمق!" وأصبح قولا مفضلا له فيما بعد، وأصبح مثلا. وأضاف "أنت لست قرب نهاية هذه المغامرة بعد" وكان على حق تماما. كان وقت الظهيرة يتجه نحو الغروب حين خَرَجَ مرة ثانية وتعثر وسقط في إغماء فوق عتبة الباب وأنعشته الأقرام، وعالجوا حروقه قدر استطاعتهم لكنه احتاج لوقت طويل قبل أن ينمو الشعر في مؤخرة رأسه وكعبه سليما ثانية فقد أصبح محروقا ومُجَعَّدًا ملتصقا بالجلد. في نفس الوقت بذل أصدقائه جهدهم لإنعاشه وكأثوا مُتلهِّفين على قصته خاصة لأن يعرفوا لماذا التَّيْنُ أصدر مثل هذه الضجة المهولة؟ وكيف تمكن بيلبو من الفرار؟

لكن كان الهوبيت قلقا وغير مرتاح ولاقوا صعوبة لاستخراج أي شيء منه بعد إعادة التفكير الآن كان قد ندم على بعض ما قاله للتنين ولم يكن متلهفا على إعادة الحديث لهم

كان السمان العجوز يجلس قربهم برأسه النصف مائل يستمع لما يقال فيظهر مدى سوء مزاج بيلبو الذي التقط حجرا وألقاه على السمان الذي حلق بعيدا قليلا ثم عاد "تبا للطير!" قال بيلبو مقاطعا الحديث. "أعتقد أنه يُصنَّع، وأنا لا أحب منظره."





"دعك منه!" قال ثورين. "السمان جيّد وودود هذا طير قديم جدًّا حقًّا، وربّما يكون آخر من بقي من أسلاف السلالة التي تربت هنا وروضت على يد والدي وجدي كانوا عرق سحري معمر وربما كان هذا بالتحديد واحدا من التي كانت تعيش منها منذ مائة أو مائتي عام كان للرجال في دال مهارة فهم لغتهم واستخدموهم كرسل لتبادل الأخبار مع رجال البحيرة وغيرها من الأماكن" قال بيلبو "جيّد، سوف ينقل الأنبياء للمدينة إذا كان هذا ما يشغله ولو أنني لا أتصوّر أن هناك أيّ ناس بقيت تهتم بلغة السمان."

صرخ الأقرام "لماذا؟ ماذا قد حدّث؟ استمر مع حكايتك!"

لذا أخبرهم بيلبو كلّ شيء تذكره وإعترف بأنّ عنده إحساس كريبه أنّ التّنين خمن كثيرا جدًّا من ألغازه بالإضافة للمعسكر والأفراس "أنا واثق أنه يعرف أنّنا جيّنا من مدينة البحيرة وكان لنا مساعدة من هناك وعندي إحساس مريع أن حركته القادمة ربّما قد تُكوّن في هذا الاتجاه أتمنى من السماء لو أنني لم أقول أبدا شيئا عن راكب البرميل فهو سيجعل حتى الأرنب الغبي الأعمى في هذه الأنحاء يفكر في مدينة البحيرة ورجالها"

"حسنا، حسنا! لا يُمكن أن نتراجع، وإِنَّه من العسير ألا ينزلق لسانك أثناء الحديث مع تّنين، أو هكذا دوما سمعتُ" قالها بالين بعصبية محاولا تهدئته وأكمل "أظنّ أنّك أبليت بلاءا حسنا جدًّا، وإن سألتني فقد اكتشفتُ شيء واحد على الأقل مفيد جدا ثم عدت حيا وهذا أكثر بكثير مما يمكن أن يقوله أي مخلوق حظى بكلمات مع أمثال سماوج. ربّما قد يكوّن رحمة و نعمة أن نعرف عن الرقعة العارية في الصُدريّة الماسية للودّة القديمة."

غير هذا من مجرى الحديث وبدؤوا جميعا يناقشون مصارع التّنانين سواء التاريخية أو المشكوك فيها وحتى الأسطورية وأنواع الطعنات المختلفة والوخزات والضربات ومختلف فنون القتل والأدوات والحيل القتالية التي يبرعون بها. كان الرأي العام أنّ الإمساك بتّنين يغفو لم يَكُن بسهولة ما بدأ، ومحاولة أن تطعن واحدا أو تغرس السلاح في واحد نائم كان على الأرجح لينتهي بكارثة أكبر من هجوم أمامي جريء. وطوال المُدّة التي تكلموها كان السمان يصغي حتى أخيرا عندما بدأت النجوم تختلس النظر فرد جناحيه في صمت وطار مبتعدا. وطوال وقت حديثهم واستطالة الظلال كان بيلبو يزداد تعاسة وانقباضا وفي النهاية قاطعهم قائلا "أنا واثق أنّنا في خطر شديد هنا ولا أرى معنى للبقاء هنا فالتّنين أحرق كل العشب الجميل وعلى أي حال الليل أتى ببرده لكنني أشعر من أعماقي أنّ هذا المكان سيهاجم ثانية فسماوج يعرف الآن كيف نزلت لقاعته ويمكنكم التّأكد من أنه سيفهم أين توجد النهاية الأخرى للنفق وسيمزق هذا الجانب من الجبل بأكمله إلى فتات لو اضطر ليوقف دخولنا ولو أنّنا سحقتنا مع الجبل فسييسعه هذا أكثر."

قال ثورين "أنت متشائم للغاية سيد باجينز! لماذا لم يسد سماوج إذا النهاية السفلية إذا كان بهذه اللهفة على منعنا من الدخول؟ لم يفعل هذا وإلا كنا سمعناه."

"لا أعرف لا أعرف ربما لأنه في البداية أراد المحاولة واستدراجي للداخل مرة أخرى والآن ربما هو ينتظر لما بعد صيد الليلة أو لأنه لا يحب تدمير سقف عرينه ما لم يكن مضطرا لكنني أتمنى ألا تجادلوني سيكون سماوج هنا خلال أي لحظة وأملنا الوحيد دخول النفق وإغلاق الباب علينا."

بدا لهم شديد الجدية حتى أنهم أطاعوه في النهاية رغم أنهم أخروا إغلاق الباب للنهاية لأنه بدا فكرة يائسة خاصة وأن أحدا لا يعلم كيف يمكن فتحه من الداخل إن كان هذا ممكنا أصلا وفكرة أن يحبسوا في مكان لا مخرج له إلا عبر عرين التّنين لم تعجبهم خاصة أن كل شيء بدأ هادئا تماما سواء بالخارج أو أسفل النفق وهكذا لمدة أطول جلسوا بالداخل ليس بعيدا عن الباب نصف المفتوح ليستأنفوا الحديث الذي دار هذه المرة عن الكلمات اللئيمة التي قالها التّنين عن الأقرام كان بيلبو يتمنى لو أنه لم يسمعها أبدا أو على الأقل لو أنه تأكد أنّ الأقرام شرفاء وصادقين حين أعلنوا له أنهم لم يفكروا أبدا فيما سيفعلونه بعد الفوز بالكنز وقال ثورين:

"كنا نعلم أنها مغامرة يائسة ومازلنا نعرف هذا ومازلت أعتقد أنه حين نفوز به سيكون هناك وقت كاف للتفكير فيما سنفعل به وبالنسبة لنصيبك يا سيد باجينز أوكد لك امتنانا وأننا سنتركك





تختار سهمك بنفسك ما أن يكون عندنا شيء ما يمكن تقسيمه ويؤسفني قلقك على أمر نقله وأعترف أن الصعوبات كبيرة فالبلاد لم تقل شراسة بمرور الوقت أو بتغير الإتجاه لكننا سنقوم لك بكل ما يمكننا وندفع نصيبنا من التكاليف حين يأتي الوقت صدقتي أو لا كما نشاء!"

ومن هنا انتقل الحديث لحجم الثروة الهائل وما يذكره ثورين وبالين عنها وتساءلوا عم إذا كان المخزون مازال يرقد أمنا أسفل القاعة : الرماح التي صنعت لجيش الملك العظيم بلادورثين (الذي مات منذ زمن بعيد) وكل منها له رأس ثلاثي ونصالها مطعمة بالذهب المشغول لكنها لم تسلم أبدا أو يدفع ثمنها والدروع المصنوعة لمحاربين ماتوا منذ زمن والكأس الذهبي العظيم لثورور ذو اليدين المطروق والمنقوش بطيور وزهور عيونها وبنلاتها من الجواهر، أغطية مصفحة بصفائح مطلية بالذهب والفضة لا يمكن اختراقها وقلادة جيريون سيد دال المصنوعة من خمسمائة زمردة خضراء كالعشب والتي أهداها لتسليح أكبر أبناءه في درع ربط بحلقات من صنع الأقزام في شكل لم يصنع مثله أبدا نمقت بالفضة النقية لتصل لقوة وصلابة تماثل ثلاثة أضعاف الصلب لكن أفضلها على الإطلاق الجوهرة البيضاء العظيمة التي عثر عليها الأقزام بين جذور الجبل قلب الجبل الأركيني (Arkenstone) لثراين.

تمتم ثورين "الحجر الأركيني! الحجر الأركيني!" وهو نصف حالم مسندا ذقنه على ركبته "كانت مثل كرة بألف وجه تلمع مثل بريق الفضة في ضوء النار أو كالماء وسط الشمس كالجليد تحت النجوم كالمطر أسفل القمر!"

لكن فتنة الثروة سقطت عن بيلبو طوال حديثهم كان بالكاد نصف مستمع جلس قرب الباب بأذن واحدة مستعدة لألتقاط أي صوت يصدر من الخارج بينما الأخرى تلتقط أصدا ثرثرة الأقزام تحسبا لأي همسة تصعد من الأسفل .

ازداد الظلام وازداد قلقه وتوسل لهم أن يغلقوا الباب "أخشى التنين حتى النخاع! حبي لهذا الهدوء أقل بكثير من حبي لهدير الليلة الماضية أغلقوا الباب قبل أن يفوت الأوان!" شيء ما في صوته أحدث نوع من القلق في نفوس الأقزام وببطء نفص ثورين أحلامه ونهض ليركل الحجر الذي يحجز الباب ثم دفعوه لكي يغلق بتكة ورنين ولم يكن هناك بالداخل أي أثر



لثقب المفتاح فقد حبسوا داخل الجبل! وبعد دقائق ليست ببعيدة كانوا بالكاد بدأوا يهبطوا قليلا في النفق حين هبت ضربة رهيبية رجت جانب الجبل مثل ضربات منجنيق مصنوع من بلوط الغابة في أيدي مردة غاضبة وانفجر الصخر وتشققت الجدران وسقطت الحجارة من السقف على رؤوسهم ولا أحب أن أخمن ماذا كان يمكن أن يحدث لو كان الباب مازال مفتوحا. اندفعوا لأسفل سعداء ببقائهم على قيد الحياة بينما خلفهم أصوات هدير أجنحة سماوج وضجيج غضبه كان يفتت الصخور ويسحق الجدر والمنحدر بضربات ذيله إلى أن سوى معسكرهم العلوي بالأرض ومعه العشب المحترق وصخرة السمان والجدران المغطاة بالقواقع والحافة

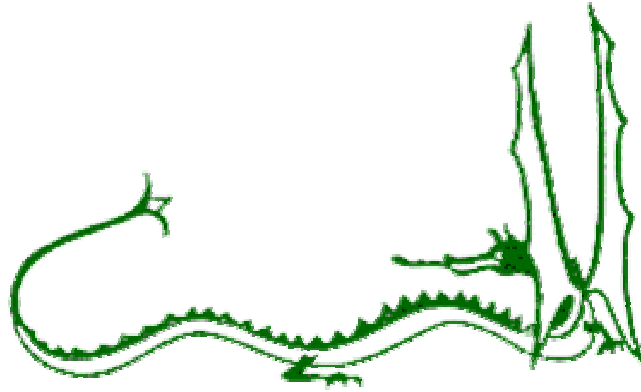




الضيقة لتختفي جميعا في كومة من الحطام ليحدث إنهيار صخري للفتات تساقط عبر المنحدر إلى الوادي بالأسفل. كان سماوج قد غادر عرينه في صمت تام وبهدوء حلق في الجو ثم اتجه بتناقل وببطء في الظلام مثل غراب وحشي مع الرياح لغرب الجبل أملا في إمساك شيء ما أو شخص ما غير منتبه وللتجسس على مخرج الممر الذي استخدمه اللص وما حدث بعد ذلك كان فورة غضبه حين لم ير أحدا أو شيئا حتى في المكان الذي استنتج أن المدخل به وبعد أن أفرغ غضبه بهذه الطريقة شعر بتحسن وظن أنه لن يواجه متاعب من هذا الإتجاه مرة ثانية وفي الوقت الحالي كان عنده المزيد من أعمال الانتقام ليؤديها فزمر:

"راكب اليرميل! أثارك أنت من الماء ومن الماء حتما جئت! أنا لا أعرف رائحتك لكن إن لم تكن واحدا من رجال البحيرة فحتمًا قد نلت مساعدتهم وسوف يرونني ليعرفوا من هو ملك ما تحت الجبل الحقيقي"

وارتفع وسط سحابة من النار واندفع نحو النهر الجاري.





## الفصل (١٣)

### ليس في البيت

في هذا الوقت كان الأقرام يجلسون في الظلام والصمت المطبق يخيم عليهم. قليلا ما تكلموا قليلا ما أكلوا لم يستطيعوا حساب الوقت وبالكاد جرؤوا على التحرك لأن همسهم كان يتردد ويهز النفق وإذا غلبهم النعاس استيقظوا ومازالت الظلمة والسكون يخيمان عليهم وبعد ما بدا لهم أيام تلو الأيام من الانتظار حين بدؤوا في الاختناق والغثيان لحاجتهم للهواء ولم يستطيعوا التحمل أكثر كانوا يشعرون تقريبا بأصوات ترحيب من الأسفل حيث التنين. وفي الصمت خائفوا أن تكون بعض أعماله الشريرة الماكرة لكنهم لا يقدرّون على البقاء حيث هم للأبد تكلم ثورين: "دعونا نجرب الباب يجب أن أتّحس بالرياح فوق وجهي قريبا أو أموت أظن أنني أفضل أن أحطّم بواسطة سماوج في الفتحة عن أن أحتنق بالداخل هنا!" وهكذا قام عدد من الأقرام وتلمّس حيث كان الباب. لكنهم وجدّوا أن نهاية النفق العلوية حطّمت وسدّت بصخور مكسورة. لا المفتاح ولا السحر الذي ذات مرّة أطاعه سيفتح ذلك الباب مرّة ثانية.

تأوّهوا "وقعنا في فخّ! هذه هي النهاية. سنموت هنا"

لكن بطريقة أو بأخرى، الآن عندما كان الأقرام أكثر يأساً أحسّ بيلبو بخفة غريبة في قلبه كما لو أن ثقل كبير ازيح عن صدره فقال "هلموا هلموا! كما كان والدي يقول حيث وجدت الحياة وجد الأمل والثالثة ثابتة سأنزل أسفل النفق مرة أخرى لقد ذهبت هناك مرتين وأنا أعلم بوجود تنين في نهايته لذا فالآن وأنا لست واثقا من وجوده سأخاطر بالزيارة الثالثة وعلى أي حال فالمخرج الوحيد للأسفل وأعتقد أن الوقت حان لتأتوا جميعا معي."

وبيأس وافقوا وكان ثورين أول من انطلق بجوار بيلبو.

همس الهوبيت "الآن احترسوا والزموا الهدوء قدر استطاعتكم ربما لا يكون سماوج بالأسفل لكن ربما أيضا يكون هناك لا تدعونا نلقى أي مخاطر زائدة غير ضرورية" ولأسفل هبطوا وبالطبع لا يمكن مقارنة الأقرام بتسلل الهوبيت وأصدروا الكثير من النفخ والتخبط الذي تردد صداه في النفق مصدرا إنذارا مروعا ولذا كل فترة يتوقف بيلبو وينصت فلا يسمع أي حركة بالداخل على الأقل قدر استطاعته فارتدى خاتمته وتقدمهم لكنه لم يكن يحتاجه كان الظلام تاما وبخاتم أو بغيره كانت الرفقة كلها غير مرئية! في الواقع السواد حالك حتى أن الهوبيت وصل للنهاية وهو لا يتوقعها ووجد يده تستندان للهواء وتعثّر على المدخل وتدحرج لقلب القاعة! وهناك رقد على الأرض دون أن يجروا على النهوض ويكاد لا يجروا على التنفس لكن لم تحدث أي حركة ولم يكن هناك وهج من ضوء النار كما بدا له لذا رفع رأسه ببطء كان هناك وميضاً أبيض شاحب فوقه ومنتشر في الظلام لكنه حتما لم يكن لسان من نار التنين رغم أن الدفء كان ثقيلاً في الحجرة ومذاق الدخان على لسانه.

أخيرا السيد باجينز لم يقدر أن يتحمل أكثر فصرخ بصوت عال " تعال واكشف نفسك يا سماوج الدودة! توقف عن لعب الاستغماية! أرني الضوء ثم أأكلني إن استطعت امساكي!"

ترددت الأصداء عبر الجدران الخفية للقاعة لكن لم يكن هناك جواب فنهض بيلبو ليجد أنه لا يعرف في أي اتجاه يذهب "الآن أتساءل ماذا يمكن أن تكون لعبة سماوج هو ليس في بيته هذا النهار أو الليل أو أيا كان كما أظن. لو أن أوين وجلوين لم يفقدوا صناديق اللهب ربما أمكننا الحصول على بعض الضوء واستكشاف المكان قبل أن يتغير الحظ"

"ضوء!" صرخ. "هل يقدر أي شخص أن يشعل ضوء؟"

كان الأقرام قد تنبهوا طبعاً حين سقط بيلبو إلى الأمام نزولا مع صدمة في القاعة، وتجمّعوا حيث تركهم بيلبو في نهاية النفق!

"هش! هش!" فحوا، عندما سمعوا صوته: ورغم أنّ هذا ساعد الهوبيت ليكتشف مكانهم فقد استغرق بعض الوقت قبل أن ينتزع منهم أي شيء آخر. لكن في النهاية، عندما بدأ بيلبو في الحقيقة يدق في الأرضية، وصرخ عاليا ضوء! بقمة صوته المهتد ثائرا، أفسح ثورين الطريق،





وأعاد أوين وجلوين لقمة النفق إلى حيث المون وبعد قليل عاد إليهم وهج متألق حيث أوين معه مشعل مضاء في يده وجلوين يحمل مجموعة تحت ذراعه. بسرعة هَرَوَلْ بيلبو إلى الباب وأخذ المشعل؛ لكن لم يقدر أن يقنع الأقزام بإشعال الباقي أو الانضمام له كما شرَح ثورين بعناية كان السيد باجينز رسمياً خبيرهم الصعلوك والمستكشف. إذا ودَّ أن يُجَازِف بضوء فذلك شأنه. سيَنظُرُونَ تقريره في النفق. لذا جَلَسُوا بالقرب من الباب ورَاقِبُوا.

شَاهَدُوا الشكل المُظلم الضئيل للهوبيت يبدأ من جانب إلى آخر الأرضية يمسك مصباحه الصغير عالياً. من حين إلى آخر، بينما كان مازال قريباً يسمعون رنيناً ويرون بريقاً أثناء تَعَثُّره في بعض الأشياء الذهبية. وازداد المصباح صغراً كلما ابتعد في تجوله في القاعة الشاسعة؛ ثم بدأ يرتفع ويرْقُص في الهواء. كَان بيلبو يصعد كومة الثروة العظيمة. سريعاً ما أصبح على القمة ثم استمر في طريقه ثم رآه يتوقف ويتجمد للحظة ولم يعرفوا السبب: كان الحجر الأركيني قلب الجبل



وهذا ما استنتجه بيلبو من كلام ثورين وفي الحقيقة لا يمكن أن يوجد مثيل لمثل هذا الحجر الذي رآه حتى في مثل هذا الكنز المذهل ولا حتى في العالم أجمع. طوال ما يصعد، كانت لمعة الومضة البيضاء نفسها أمامه ويجذب قدميه نحوها ويبطئ نماء الوميض إلى كرة صغيرة لمصباح شاحب. الآن عندما اقترب منها، كانت تتلون بتلألؤ مشتعل بكل الألوان التي يعرفها البشر على سطحها وتعكس وتنتشر الضوء القادم من مصباحه. أخيراً نَظَرَ لأسفل نحوها وأمسك أنفاسه. الجوهرة العظيمة سطعت قبل

أن يخطو داخل مجال ضوءها الخاص ومع هذا قطعت وهذبت بأيدي الأقزام الذين استخرجوها من جذور الجبل منذ عهد بعيد كانت تمتص كل ما يقع عليها من ضوء لتخرجه في عشرات الألوف من حزم أشعة بيضاء تتلألأ ببريق ألوان قوس قزح.

فجأة ذهب ذراع بيلبو نحوها مجذوبة بالافتتان. لم تكن يده الصغيرة لتغلق عليها لأنها كانت حجراً كبيراً ثقيلاً لكنه رفعها ووضعها في جيبه مغلقاً عينيه وفكر:

"الآن أنا صعلوك حقاً! لكن أقترضُ أنني يجبُ أن أتحدَّثَ عنها للأقزام في وقت ما. ألم يقولوا أنني أقدر أن التقط واختار حصتي الخاصة؛ وأظنني سأختار هذه إذا أخذوا هم الباقي!"

لكن إلى جانب هذا كان عند إحساس غير مريح أن الانتقال والاختيار قد لا يكون حقاً يتضمن هذا الحجر الكريم المذهل، وهذه المشكلة سنراها في حينها. الآن استمر ثانية. إلى أسفل إلى الجانب الآخر من الكومة العظيمة التي صعدتها، واختفت شرارة مشعله من مرأى الأقزام المراقبة. لكن سريعاً شاهدوه بعيداً على مسافة مرة ثانية. كان بيلبو يعبر أرضية القاعة.

استمر، إلى أن وصل إلى الأبواب العظيمة في الجانب الآخر، وهناك مجرى هواء أنعشه، لكنه أطفأ تقريباً مصباحه. اختلس النظر بتهيب خلاله والتقط لمحة لممرات عظيمة ومن الضوء الخافت طلائع السلام العريضة ترتفع في الظلمة. ومازال لا أثر أو صوت لسماوج. كان سيدور الآن ويعود، عندما أتى شكل أسود إنقض عليه ولامس وجهه. صرخ واندفع وتعثرت إلى الوراء وسقط مشعله رأساً إلى أسفل واختفى!

"فقط وطواط، أتصور وأتمنى!" قال بشكل بانس. "لكن الآن ما أفعل؟ ما هو الشرق الجنوب، الغرب الشمال؟"

"ثورين! بالين! أوين! جلوين! فيلي! كيللي!"

صرخ بأعلى صوت قدر أن يصدره فبدأ كضجة قليلة نحيفة في السواد العريض.

"المصباح ضاع! على شخص ما أن يأتي ويعثر على ويأتي بنجدة!"

الآن شجاعته كانت قد قُتِلت تماماً.

بضعف الأقزام سمعت بصيحاته الصغيرة، ولو أن الكلمة الوحيدة التي استطاعوا فهمها كانت "النجدة!"





قَالَ ثورين "الآن ما على الأرض أو تحته قد حَدَثَ؟ بالتأكيد ليس التَّيْنِ، وإلا فلن يَسْتَمِرَّ في الصراخ."

إِنْتَبَرُوا لحظة أو إثنان، وما زال لا أثر للتئين أو ضجته. لا شيء فعلاً ما عدا صوت بيلبو البعيد. "هلموا، أحذكم، أشعلوا مصباحاً أو اثنان!" أمرهم ثورين. "يَبْدُو أننا يجب أن نذهب ونساعد صعلوكنا"

"إنه دورنا في المساعدة،" قال بالين "وأنا راغب تماماً في الذهاب. على أية حال أتوقع أن المكان آمن الآن."

أضواء جلوبين عدة مشاعل أكثر، ثم زَحَفُوا كلهم للخارج، واحداً بعد الآخر واستمروا بحذاء الجدار بأسرع ما يمكنهم ولم يمض الكثير قبل أن يقابلهم بيلبو بنفسه عائداً لهم فقد استرد فطنته سريعاً بمجرد أن رأى مشاعلهم وأجاب على أسألتهم "فقط خفاش والمصباح سقط لا شيء يستحق!"

ورغم أن هذا أراحهم بشدة مالوا إلى التذمر على إخافتهم دون مبرر لكن ماذا كانوا سيقولون لو أن بيلبو أخبرهم الآن عن قلب الجبل (الحجر الأركيني) هذا ما لا أعرفه كانت اللمحات الخام للكنوز التي قابلوها في ذهابهم أشعلت من جديد النيران في قلوبهم القزمية وحين يشعل الذهب والجوهر قلب القزم حتى لو كان أكثرهم احتراماً يتحول بسرعة مفاجئة للغلظة وربما قد يُصْبِحُ متوحشاً.

الأقزام حقاً لم تعد بحاجة للمناقشة الكل كان متلهفاً على استكشاف القاعة مستغلاً الفرصة الثمينة ويريدون تصديق هذا : الآن على الأقل سماوج في هذه اللحظة بعيد عن المنزل وكلما أشعلوا مصباحاً ونظروا إلى جانب ثم الآخر ازداد نسيانهم للخوف وحتى للحذر تكلموا بصوت عال صرخوا ينادون بعضهم البعض وأخرجوا الكنوز القديمة من الكومة ومن الحائط وأمسكهم في الضوء يتأملون ويقبلون ويتحسسون فيلي وكيلى كانا تقريباً في فرحة الأعياد وحين عثرا على قيثاراتهم السحرية المطعمة بالذهب والفضة أخذها وقرعها ولأنها سحرية ولأن التئين لم يلمسها لقلة اهتمامه بالموسيقى كانت مازالت محتفظة بجودة نغماتها لتمتلي القاعة المظلمة بعد صمت طويل بالأحان عرفتاً منذ عهد بعيد لكن أكثر الأقزام كانوا أكثر عملية جمعوا الجواهر وحشوا جيوبهم ويتركون ما لا يمكن أخذه بعيداً عن أصابعهم مع نظرة حسرة

ثورين لم يكن من هؤلاء لكنه كان يبحث من جانب لآخر عن شيء ما لم يستطع إيجاده كان يبحث عن الحجر الأركيني لكنه لم يقل لأحد هذا.

الآن أنزل الأقزام الدروع والأسلحة من الجدران، وسلحوا أنفسهم. بدا منظر ثورين ملكياً حقاً وهو مكسو بسُترة من حلقات الذهب المضفر مع بلطة ذات مقبض من الفضة موضوعة في حزام مكسو بأحجار قرمزية.

"السيد باجينز!" صرخ. "ههنا دفعة مكافأتك الأولى! اخلع سُترة القديمة وخذ هذه!"

وهنا وضع على بيلبو سترة مدرعة شغلت لأمير صغير من الجن من قديم الزمن كانت من صلب الفضة الذي يسميه الجن الميثريل (mithril) ومعها حزام من اللؤلؤ والكريستال وخوذة خفيفة من الجلد المشغول مقواة من الداخل بأقواس من الصلب ولها زر من الجواهر البيضاء وضعت على رأس الهوبيت الذي قال لنفسه:

"أشعرُ بشعور رائع، لكن أتوقع أنني أبْدُو سخيلاً بالأحرى. كيف سيضحكون علي التلّ في البيت؟ أتوقُّ إلى لو أنه كان هناك زجاج أو مرآة أنظر فيها لمنظري!"

على أي حال السيد باجينز أبقى ذهنه أكثر صفاءً عن فتنة الكنز من الأقزام. فقبل مدة طويلة من إصابة الأقزام بالتعب من البحث في الثروة كان قد أصبح أكثر حذراً منه وجلس على الأرض وبدأ بعصبية يتساءل عن كيف سينتهي كل هذا.

فكر "قد أمْنَحُ عدداً كبيراً ثميناً من هذه الكؤوس النفيسة مقابل شراب ما مبهج في كأس من كؤوس بيورن الخشبية"







وصرخ بصوت عالٍ "ثورين! ماذا سيحدث؟ تسلحنا، لكن ما نفع أيّ درع حتى لو كان من القدم ضدّ سماوج المفزع؟ هذه الثروة لم ننفز بها بعد. لسنا نبحت عن الذهب الآن ولكن عن طريق اللهرب وقد أغرانا الحظ أكثر من اللازم!"

"تتكلّم الحقيقة!" أجاب ثورين، مستعيدا فطنته. "دعنا نذهب! سأرشدك. ليست حتى ألف سنة يمكن أن تنسيني طرق هذا القصر."

ثم نادى الآخرين وتجمعوا معا ورافعين مصابيحهم فوق رؤوسهم ليمروا من الأبواب المفتوحة بالطبع ليس دون نظرات طويلة متلكئة.

دروهم المتألقة غطيت ثانية بعباءاتهم القديمة وخوذهم الساطعة بقلنسواتهم البالية وواحد تلو الآخر تبعوا ثورين في خط من المصابيح الصغيرة يشق الظلام الذي اعتاده المكان منصتين بخوف مرة أخرى تحسبا لهدير أجنحة التنين في عودته ورغم أن كل نقوش وزينة الماضي دمرت وتعفنت ورغم أن كل شيء قد تلوّث واضطرب بدخول وخروج الوحش كان ثورين يعرف كل ممر وكل منحى صعّدوا السلالم الطويلة وانعطفوا ونزلوا لطريق عريض يردد الصدى وانعطفوا ثانية وصعدوا المزيد من السلالم ثم المزيد من السلالم.

كانت الدرجات ناعمة، منحوتة من الصخر الحي واسعة ومنبسطة ولفوق، فوق، ذهب الأقدام، ولم يلتقوا بأي علامة لأيّ شيء حيّ، فقط ظلال خفية تهرب من اقتراب مصابيحهم لم تكن الدرجات صنعت أبد لأرجل الهوبيت وأحس بيلبو أنه لا يستطيع التحمل أكثر من ذلك حين ارتفع فجأة السقف بعيدا فوق مدى ضوء المصابيح ولمعان أبيض يبدو من فتحة ما بالسقف بعيدا والهواء أكثر عذوبة. أمامهم ضوء يأتي بخفوت من أبواب عظيمة متروكة مثنية على مفصلاتها ونصف محروقة فأوضح ثورين

"هذه هي الحجرة العظيمة لثور قاعة الاحتفال والتشاور لسنا بعيدين الآن من البوابة الأمامية" مرّوا بالغرفة المخربة. كانت الطاولات تتعفن هناك؛ الكراسي والمقاعد انقلبت، تفحمت وتحتلت. جماجم وعظام فوق الأرضية بين أباريق وأطباق وقرور شراب وغبار. عندما أتوا لأبواب أخرى في النهاية البعيدة أصاب أذانهم خرير الماء وازداد الضوء الرمادي ليملاً المكان فجأة. قال ثورين "هنا يولد النهر الجاري من هنا يندفع للبوابة دعونا نتبعه."

من فتحة مظلمة في جدار صخري خرج ماء مغلي وتدفّق وهو يفور في قناة ضيقة هذبت وقومت وعمقت بالأيدي الماهرة القديمة وجوارها طريق مرصوف بالحجارة عريض بما يكفي لعدد من الرجال المتجاورين وبسهولة جروا فوقه وحول منعطف كبير سلس مروا ليتوقفوا!

أمامهم الآن الأفق الواسع لضوء النهار وفي الواجحة قوس ضخم مازال يعكس بعض النقش البارع في قطع منه رغم انه رث ممزق مسود والشمس الغائمة ترسل أذرعها الشاحبة لتلامس أذرع الجبل وحزم ذهبية تسقط على حافة الرصيف بينما حلقت فوقهم دوامة من الخفافيش التي أفرعت من نومها بدخان مشاعلهم وبينما تقدموا للأمام انزلقت أقدامهم على صخور حكمت لتصبح ملساء موحلة من مرور التنين والآن أمامهم الماء يسقط بضجة خارجا مندفعاً يعلوه الزبد نحو الوادي فألقوا أرضا مصابيحهم الشاحبة ووقفوا يتأملون بعيون مبهورة لقد اتوا للبوابة الأمامية ويتأملون (دال)

"حسناً!" قال بيلبو، "أنا لم أتوقع أبدا أن انظر إلى الخارج من هذا الباب ولم أتوقع أبدا أن أشعر بهذه السعادة لرؤية الشمس والإحساس بملمس الريح على وجهي لكن أوو! هذه الرياح باردة!" كانت كذلك. هبّت نسمة شرقية مرّة مع تهديد شتاء قادم. تدور حولهم وعلى جوانب الجبل نحو الوادي وتصفّر بين الصخور بعد كل الوقت الذي قضوه في أعماق فرن التنين فارتعشوا وهم تحت الشمس وفجأة أدرك بيلبو أنه ليس مرهقا فقط وإنما أيضا جائع بشدة فقال:

"يبدو أن النهار قد توغل ولذا أظنه تقريبا وقت الإفطار لو أنه مازال هناك إفطار يوكل لكنني لا أظن أن بوابة سماوج الأمامية هي أكثر الأماكن أمنا لتناول وجبة لذا دعونا نبحت عن مكان يمكننا أن نجلس فيه بهدوء بعض الوقت."





"وهو كذلك!" قال بالين. "و أظنُّ أنني أعرف في أي اتجاه يجب أن نذهب: نحن يجب أن تقصد برج المراقبة القديم في الركن الجنوبيّ غربيّ للجبل."  
"كم يبعد؟" سأل الهوبيت.

" مسيرة خمس ساعات، يجب أن أفكّر. سيكُونُ طريقًا خَسِنًا. الطريق من البوابة على طول الحافة اليسرى للمجرى يبدو محطما تماما. لكن انظر هناك! ينحرف النهر شرقا فجأة عِبْرَ دال أمام المدينة المخربة. كانَ هناك ذات مرّة جسر، الذي يُؤدِّي لدرجات منحدره تصعد أعلى الضفة اليمنى ومنها لطريق يتجه لرافنهيل هناك أو كان هناك ممر يغادر الطريق ليصعد للبرج من الصعب تسلقه حتى لو كانت الدرجات القديمة موجودة."

"يا للغرابة!" تَذمر الهوبيت. " مشي أكثر وتسلق أكثر بدون إبطار! أنا أنساءلُ كم فطور ووجبات أخرى، قد فقدناها في ذلك الجحر الكريه الذي لا ساعة به ولا وقت" في الواقع ليلتين ويوم قد مروا (وليس كلية بدون غذاء) منذ حَطَمَ التِنِّين الباب السحري، لكن بيلبو فقد تماما قدرته على الحساب ، وربما كانت ليلة واحدة أو ليالي أسبوع لا يعرف.

قال ثورين " هلم هلم!" كانت معنوياته بدأت ترتفع ثانية وخاصة أن رينينا ثميننا للجواهر يخرج من جرابه "لا تسم أرضي جحرا كريها انتظر حتى ينظف ويعاد تزيينه!"

" لن يكُون هذا حتى يموت سماوج " قال بيلبو باكتئاب. " في نفس الوقت أين هو؟ أتنازل عن الإفطار لأعرف؟ أتمنى ألا يكون فوق الجبل يتأملنا!"

تلك الفكرة أرعبت الأقزام بشدة، وقرروا بسرعة أن بيلبو وبالين على حق. " يجب أن نتحرّك بعيدا عن هنا،" قال دوالين. " أشعرُ كما لو كانت عينيه فوق مؤخرة رأسي."

" إنّه مكان موحش بارد،" قال بومبر. "ربما قد يكُونُ هناك شراب، لكن كما أرى لا علامة للغذاء. التِنِّين سيكُونُ دائما جائعا في تلك الأجزاء."

"نقدّموا! نقدّموا!" صرخ الآخرون. "دعونا نلحقُ بطريق بلسم(Balm)!"





تحت الجدار الصخريّ ناحية اليمين لم يَكُنْ هناك طريق، لذا فوق مَشَوْا مجهدين بين الأحجار على اليسار إلى جانب النهر، والفراغ والخراب سريعا ما أصبعا واقعا حتى على ثورين. الجسر الذي كان بالين قد تَكَلَّمَ عنه وَجَدُوهُ سقط تماما، وكانت أكثر أحجاره الآن فقط جلاميد في السيل الصاخب الضَحَل؛ لكنهم خَاضُوا الماء بدون الكثير من الصعوبة، وَجَدُوا الدرجات القديمة، وصعدوا الضفة العالية. بَعْدَ المضي في طريق قصير أصابوا الطريق القديم، وقبل مرور الكثير أتوا لواد صغير عميق محمي بين الصخور؛ هناك إِسْتَرَأَوْا لَمُدَّةً وَتَنَاولُوا فطور قدر استطاعتهم، عبارة عن حشو وشربة ماء. (إذا رَغِبْتَ أن تُعْرِفَ ماذا كان الحشو فأخشى أنني لا أعرف الوصفة لكنه كان بسكوت يظل صالح للأكل للأبد ومن المفترض أن يبقى في المعدة وحتما ليس ممتعا وفي الحقيقة ليس مثيرا للاهتمام إلا حين تقوم بتمرين على المضغ! صنعه رجال البحيرة لأجل الرحلات الطويلة.)

بعدها إِسْتَمَرُّوا مرّة ثانية؛ و صادفوا الطريق تجاه الغرب و يسار النهر، وكَتِفَ الجبل الجنوبي العظيم يقترب منهم وأخيرا بَلَّغُوا طريق التَلِّ. هو يَتَعَثَّرُ بشدة نحو الأعلى وتثاقلوا ببطء عليه دُبُرَ واحد الآخر، أخيراً في نهاية الظهيرة وَصَلُوا إلى قمة القمة و شَاهَدُوا الشمس الشتويّة التي تَدَهَبُ إلى أسفل تجاه الغرب.

هنا وَجَدُوا مكانا مُسطّحا بدون أسوار من ثلاثة جوانب، لكن نحو الشمال له وجه صخريّ فيه فتحة تشبه الباب من هذا الباب يمكن الحصول على رؤية واسعة للشرق ولجنوب والغرب. قَالَ بالين "هنا في ما مضى كنا دوما نضع حُرَّاسَة والباب خلفه يؤدي لـحجرة منحوتة في الصخر تستخدم كحجرة الحرس وكان هناك أماكن مشابهة كثيرة حول الجبل لكن لم تكن الحاجة كبيرة للحرس أيام رخائنا فربما كان الحرس في استرخاء دائم، وإلا ربّما كان عندنا بعد ذلك الوقت الكافي للتحذير من مَجِيء التِنِّين، وربّما اختلفت الأشياء وقتها. مع ذلك، هنا نَقْدِرُ أن نرقد الآن مختبئين لمدة ونرى الكثير دون أن يرانا أحد."

"ليست فائدة كبيرة إن رأنا أحد في الطريق لهذا" قالها دوري الذي كان دائم النظر لقمة الجبل كما لو كان ينتظر سماوج جاثما هناك كما يفعل الطير فوق برج الكنائس.

"يَجِبُ أن نَقْبَل المَخاطِر،" قال ثورين. "لا نَقْدِرُ أن نَمْضِي أكثر اليوم."

صرخ بيلبو، وألقى نفسه بعجلة على الأرض "إِسْمَعْ، إسْمَعْ! في الغرفة الصخرية فراغ لمائة وتوجد حجرة داخلية أيضا نبتعد بها أكثر عن برد الخارج"

كانت مهجورة تماما حتى الحيوانات البرية لا تستخدمها في عهد سلطان سماوج وهناك رقدوا بهمومهم وبعضهم ألقى بنفسه فورا على الأرض ونام لكن الباقين جلسوا عند الباب الخارجي يناقشون خططهم.

في كلّ حديثهم رَجَعُوا دوما إلى شيء واحد: حَيْثُ كان سماوج؟ نظروا غربا لم يكن هناك شيء، وشرقا لم يكن هناك شيء، وفي الجنوب لم تَكُنْ هناك علامة للتِنِّين، لكن كَانَ هناك تَجْمَعُ للكثير جدّا من الطيور. له نظروا وتعجبوا لكنهم لم يقتربوا من فهم ما يحدث إلى أن بدأ أول النجوم الباردة في الظهور.





## الفصل ١٤

### نار و ماء

الآن إذا رغبت مثل الأقزام أن تعرف بأخبار سماوج، يجب أن تذهب ثانية إلى المساء الذي حَطَمَ فيه الباب وواصلَ جوا بعيداً غاضباً، منذ يومان قبل الآن.

أغلب رجال مدينة البحيرة (إيسجاروث Esgaroth) داخل البيوت لأن الصقيع كان آتياً من الشرق الأسود يجمد الأوصال إلا القليل منهم كان يمشي على الأرصفة، ويسهر، كما اعتادوا تلمع النجوم على الرقعات الناعمة للبحيرة والسماة الصافية ومن مدينتهم الجبل الوحيد كان محجوباً بتلال منخفضة عند نهاية البحيرة ومن فجوة من التلال يأتي النهر الجاري من الشمال فقط قمة الجبل العالية يمكن رؤيتها في الأيام الصافية وهي نادرة المجيء وكانت رؤيته تعد فالاً شيئاً فقد كان يبدو كثيباً حتى في ضوء النهار بعدما سقط ولطخه الظلام.

فجأة عاد الجبل ثانية للأنظار وهج قصير مسه ثم اختفى وقال رجل "انظر الضوء ثانية الليلة الماضية شاهده الحرس يبدأ ويختفي من منتصف الليل حتى الفجر شيء ما يحدث بالأعلى هناك."

قال آخر "ربما ملك ما تحت الجبل يصهر ذهباً مضى وقت طويل منذ ذهب نحو الشمال. إنه وقت الأغاني لتثبت صحتها مرة أخرى"

قال ثالث ذو صوت شرس "أي ملك؟ كما لو كانت هذه ليست نيران التنين الملك الوحيد لما تحت الجبل الذي عرفناه طوال عمرنا."

قال الآخرون "أنت دوما ترفض كل ما هو مبهج لعلك ستنتبأ لنا الآن بالفيضانات والسماك السام فكر مرة في شيء سعيد!"

ثم فجأة سطع ضوء عظيم أسفل التلال لتتحول البحيرة أمامها إلى اللون الذهبي.

هتفوا "ملك ما تحت الجبل

ثروته مثل الشمس

فضته مثل الينبوع

نهره بالذهب يجري

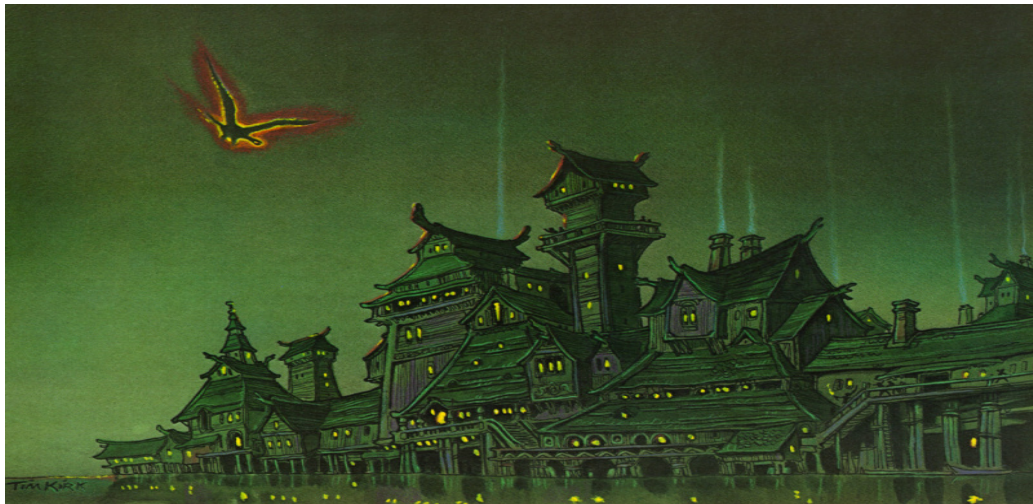
**النهر يجري بالذهب من الجبل!"**

صرخوا جميعاً لتفتح كل نافذة وتنزل كل قدم مهرعة.

ومرة أخرى أمتلئت المدينة بالإثارة والحماس المهولين لكن الرجل ذو الصوت الشرس هتف موبخاً الزعيم "الثنين أت وإلا فأنا أحقق اقطعوا الجسر! إلى السلاح إلى السلاح!"

وحينها ارتفعت أبواق الإنذار لتتردد على الجوانب الصخرية ومات الهتاف فجأة ومسخت الفرحة لفرع لذا لم يجدهم التنين غير مستعدين تماماً لكنه لم يتأخر فحقا كانت عظيمة سرعته كانوا يرونه مثل شعلة من النار تندفع نحوهم وتزداد ضخامة وتألقا وحتى أحقق الحمقى لم يشك أن

التنبؤات مضت في طريق خاطيء لكن مازال لديهم وقت قليل ليملئوا كل وعاء في المدينة بالماء





وليتسلح كل مقاتل وليعد كل سهم ورمح وليسقط الجسر المؤدي للبر ويغرق ويدمر قبل أن يعلو الهدير المنذر باقتراب سماوج وقبل أن تصبغ البحيرة بالأحمر القاني مثل النار المروعة بين جناحيه الخفاقتين.

أصداء صراخ ونعيب وعويل الرجال مضى فوقها لينساب نحو الجسور ويحبط! الجسور اختفت وأعدائه في جزيرة وسط ماء عميق وأبرد وأظلم مما يحب ولو اندفع فيها فسيرتفع البخار ليغطي الأرض لأيام لكن البحيرة أعظم منه ستطفئه قبل أن يتمكن من عبورها. هادرا انساب ثانية نحو المدينة وكومة من السهام اندفعت وانزلقت ورنت على دروعه وجواهره لتعود نصالها نحوهم مشتعلة بلهب أنفاسه لتحترق ثم تنطفئ في ماء البحيرة مصدرة فحيحا. لا يمكنك أبدا أن تتصور ألعاب نارية تضارع المشهد تلك الليلة وبين صفير الأفواس ونفير الأبواق اشتعل غضب التنين لأقصاه حتى أعماه وأصابه بالجنون فلم يجرؤ أحد على محاربته منذ عهود بعيدة وما كانوا سيجرؤن الآن لولا ذو الصوت الشرس (كان اسمه بارد (\*Bard)) الذي جرى أثناء هتاف الفرحة نحو الرماة وجادل الزعيم ليأمرهم بالقتال حتى آخر سهم.

وانفجرت النار من بين فكي التنين ودار لفترة حولهم مضيئا كل البحيرة والأشجار على السواحل لمعت مثل النحاس ومثل الدماء تلقي الظلال السوداء على جذورها ثم لأسفل اندفع وسط عاصفة السهام متهورا في غضبه مهملا

إدارة جوانبه الحرشفية المنيعة تجاه أعدائه مهتما فقط بإحالة مدينة إلى شعلة لهيب لتندفع النار فوق السقوف القش والعوارض الخشبية بينما يندفع هو بعنف للأسفل ويمر ثم يدور ثانية ورغم أن كل شيء بلل بالماء قبل مجيئه فإن مئات الأيدي ارتفعت مرة أخرى بأوعية الماء حيثما ظهرت شعلة ليعود التنين يحوم وبضربة من ذيله وتحطم سقف البيت الكبير وانهار وألسنة لهب لا تروى فاندفعت عاليا تشق الليل وضربة ثم أخرى وانهار منزل آخر ثم آخر مشتعلين ومازالت السهام لا تؤذي سماوج بأكثر مما تفعل ذبابة من المستنقع وكان الرجال بالفعل قد بدؤوا في القفز



\*Bard = شاعر الملاحم أو بردعة الحصان

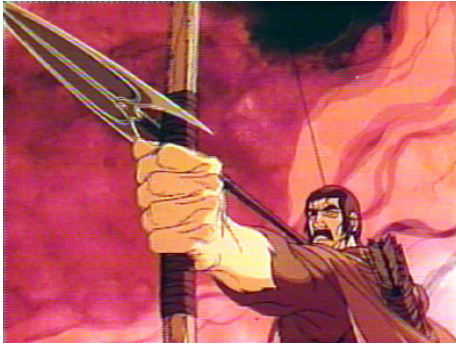




في الماء من جميع الجوانب. النساء والأطفال حملت على القوارب في بركة السوق والأسلحة رميت وكان هناك عويل ونحيب حيث كان منذ قليل تغنى الأغاني القديمة المبهجة عن الأقرام. الآن البشر يلعنونهم ويلعنون أسمائهم الزعيم نفسه كان يهرع نحو زورقه الذهبي أملا في الفرار بعيدا وسط الفوضى وإنقاذ نفسه وسريعا ما تهجر المدينة بأكملها وتسوى بقاع البحيرة وكان هذا ما يطمناه التنين يستطيعون جميعا ركوب الزوارق وهذا لا يهمهم فسيمنحه فرصة ممارسة رياضة الصيد الممتعة أو يمكنهم المواصلة في الماء حتى يموتوا جوعا دعهم يحاولوا الإقتراب من البر وسيكون في انتظارهم الآن كان يتمتع برياضة سحق المدن أكثر بكثير مما استمتع بأي شيء آخر منذ سنين طويلة لكن ظلت هناك حفنة من الرماة تمسكت بمواقعها وسط بيوتهم المحترقة كان قائدهم هو بارد ذو الصوت الشرس والوجه القاسي الذي اتهمه أصدقائه بالتنبأ بالفيضان والسماك السام رغم أنهم يعرفون حكمته وشجاعته كان ينحدر من سلالة قديمة تنتمي لجيريون سيد دال الذي هربت زوجته وابنها عبر النهر الجاري من الخراب منذ وقت طويل والآن هو يرمي بقوس طويل من خشب السنديان حتى انتهت كل سهامه إلا واحدا جذب قوسه للمرة الأخيرة وفجأة وسط الظلام حط شيء على كتفه أجفل لكنه كان فقط سمان عجوز بدون خوف اقترب من أذنه وقال الأخبار! وباللعجب وجد نفسه يفهم لغته لأنه كان منحدرًا من سلالة دال.

قال له "انتظر انتظر! القمر يعلو انظر للتجويف عند صدره الأيسر حين يطير ويعلو فوقك!" وبينما تجمد بارد مندهشا أخبره بأنباء الجبل وبكل ما سمعه وحينها جذب بارد قوسه حتى وصل أذنه كان التنين يدور عائدا يطير منخفضا وبينما يقترب كان القمر يعلو متجاوزا الجدار الشرقي للساحل ليصبغ أجنحته العظيمة بالفضة قال الرامي "يا سهم! يا سهم أسود! ادخرتك للنهاية. لم تخذلني من قبل ودائما ما استعدتكم ورتتكم عن والدي وورثه عن القدماء لو كنت حقا قادما من حدادي الملك الحقيقي لما أسفل الجبل اذهب الآن وأسرع جيدا!!!"

انزلق التنين مرة أخرى بانخفاض غير مسبوق وبينما ينعطف ويغوص للأسفل لمعت بطنه بضوء أبيض بكل ما فيها من حلى تعكس أضواء النيران الموقدة وسط ضوء القمر إلا مكان



واحد اطلق القوس العظيم وتحمر السهم الأسود ليخرج مباشرة من الوتر إلى الثقب عند الصدر الأيسر بينما كانت القدم الأمامية تبطش بعيدا وفي الثقب اندفع واختفى وجرح النصل والريش وكم كان مروعا طيرانه بصرخة أصمت أذان الرجال وأسقطت الأشجار وفلقت الصخور إصابة سماوج انفجرت وفي الهواء دار حول نفسه وانهار من أعلى إلى الحطام.

سقط بأكمله وسط المدينة وسكراته الأخيرة خرجت

في شكل شرارات وحدثت هدرت البحيرة وبخار مهول ارتفع لأعلى أبيض وسط ظلام مفاجئ أسفل القمر وكان هناك فحيح ودوامات متفجرة ثم صمت. وهذه كانت نهاية كلا من سماوج وايسجاروث لكن ليس (بارد).

القمر الشمعي ارتفع أكثر وأكثر والرياح ازداد صخبها وبردها لتحول الدخان إلى أعمدة ملتوية وتسرع به إلى السحب وتجرفه سريعا للغرب ليتشتت في أشلاء صغيرة فوق المستنقعات أمام ميركوود وأمكن رؤية القوارب الكثيرة كنقط متناثرة على سطح البحيرة وحملت الرياح عويل سكان ايسجاروث ورتائهم لمدينتهم وبضائعهم وخراب بيوتهم لكن كان عندهم الكثير يحمدون له لو أنهم فكروا رغم أنه لم يكن ليتوقع أبدا فإن : ثلاثة أرباع سكان المدينة نجوا بحياتهم وأشجارهم وحقولهم ومراعيهم وماشييتهم ومعظم زوارقهم نجت من الدمار والتنين مات وما يعنيه هذا لم يعوه بعد. تجمعوا في جماعات حزينة على السواحل الغربية يرتعشون من الريح الباردة وانصب أول غضبهم وشكاواهم على الزعيم الذي هرب سريعا وترك المدينة بينما كان البعض مازال مصرا على الدفاع عنها وتمتم البعض:





"ربما كان عنده عقل ممتاز للتجارة خاصة تجارته لكنه ليس جيدا حين يحدث أي شيء سيء!"  
ومدحوا شجاعة بارد وقالوا جميعا "لو أنه لم يقتل لكننا توجناه ملكا بارد رامي التنين المنحدر من  
جيريون! وأسفاه على فقده"  
وفي وسط الحديث ظهر جسد طويل وسط الظلال كان مبللا بالماء وشعره الأسود المبلل متناثر  
على وجهه وكتفيه وبريق قوي ينطلق من عينيه.  
هتف "لم يفقد بارد لقد قفز من إيسجاروث فقط حين سقط العدو أنا بارد من نسل جيريون أنا ذابح  
التنين!"  
هتفوا "الملك بارد الملك بارد!"

باستثناء زعيم المدينة الذي جز على أسنانه وقال:  
"جيريون كان حاكم دال وليس ملك إيسجاروث. في مدينة البحيرة دائما كنا ننتخب زعماء من  
الكبار الحكماء ولم نحتمل حكم رجال القتال الصرف اتركوا الملك بارد يعود لمملكته الحقيقية  
فدال الآن حررت بفضل شجاعته ولا شيء يعوق عودته وكل من يريد فليذهب معه إذا كان





يفضل الشواطئ الباردة تحت ظل الجبل على الشواطئ الدافئة في البحيرة بينما تبقى الحكمة هنا والأمل في إعادة بناء المدينة ليتمتعوا فيما بعد بعودة رخائها وسلامها " رد من كانوا قربه "سنحصل على الملك بارد لقد اكتفينا من الكبار وحاسبي النقود!" وارتفع هتاف جماعة أخرى "ارفعوا النبال واخفضوا أكياس النقود!" حتى امتلأ الخليج بضجيجهم. قال الزعيم بحذر (لأن بارد كان في هذه اللحظة يقف جواره) "أنا آخر من يقلل من قيمة بارد الرامي لقد استحق الليلة مكانة بارزة في قائمة الشرف لمن خدموا مدينتنا ويستحق التكريم بالتعني بأفضاله بأغان خالدة لكن لماذا يا قومي" وهنا نهض الزعيم على قدميه وتكلم بصوت عال واضح "لماذا أنال أنا كل لومكم؟ لأي جريمة يتم خلعي؟ اسمحوا لي بالسؤال من أوقظ التنين من سباته؟ من الذي نال منا هدايا ثمينة ومساعدة كريمة؟ وتركنا نصدق أن الأغاني القديمة ستتحقق؟ من الذي لعب بأوتار قلوبنا الرقيقة وخيالنا البهيجة؟ وأي نوع من الذهب أرسلوه لنا عبر النهر كمكافأة لنا؟ نيران التنين والحطام! ممن سنطالب بالتعويض على دمارنا وبمساعدة أراملنا وأيتامنا؟"

كما ترى فإن الزعيم لم يحصل على موقعه دون كفاءة فإن تأثير كلماته الآن أذاب فكرة الرجال الجديدة باختيار ملك وحول مسار أفكارهم الغاضبة تجاه ثورين ورفاقه لترتفع ضدهم كلمات وحشية مريرة وبعض أولئك الذين كانوا الأعلى صوتا بالأغاني القديمة يسمع الآن صوتهم الصارخ بأن الأقزام أثاروا التنين ضدهم بتهور! قال بارد "حمقى! لماذا نهدر الغضب والكلام على تلك المخلوقات التعيسة؟ حتما كانوا أول من تلظى بنار التنين قبل أن يأتي سماوج لنا؟" ثم أثناء ما يتكلم قفزت الفكرة في قلبه الكنز العظيم في الجبل يرقد دون حارس أو وريث وسقط في الصمت فورا فكر في كلمات الزعيم عن إعادة بناء دال وامتلت بأجراس ذهبية إذا وجد الرجال لها.

وبعد مدة تكلم مرة أخرى "هذا ليس وقت الكلمات الغاضبة أيها الزعيم ولا لمناقشة قضايا خطيرة للتغيير هناك عمل علينا فعله أنا مازلت في خدمتك يا زعيم رغم أنني قد أفكر في كلماتك واتجه شمالا مع من يتبعونني."

ثم اتجه لإلقاء أوامر نصب المعسكرات ورعاية المرضى والجرحى لكن الزعيم قطب حاجبيه بمجرد أن أدار له ظهره وظل جالسا على الأرض وفكر في الكثير دون أن يقول شيئا إلا الهتاف عاليا على الرجال ليحضروا له الطعام والنار.

وحيثما ذهب بارد وجد الكلام كالنار في الهشيم حول الكنز المهول الموجود تحت الأرض متحدثين عن التعويض عما أصابهم من أذى والثراء أكثر وفائض به يستطيعون شراء أشياء ثمينة من الجنوب مما أبهجهم كثيرا رغم أزمته التي كانت ومازالت شديدة فالليل كان مؤلما وتعسا والأعطية لا تكفي إلا القليل (حصل الزعيم على واحد) والقليل من الطعام (رغم أن الزعيم تناول البعض) والكثير أصابهم المرض والبلل وسط البرد والحزن تلك الليلة وبعدها لحقهم الموت والذين نجوا دون جروح من الخراب في المدينة والأيام التالية عانوا مرضا مستشرى وجوعا طاحنا وخلال هذا تولى بارد القيادة وسارت الأمور بمشيئته رغم أنها دوما باسم الزعيم وكان عليه مهمة قاسية للسيطرة على القوم وتوجيه التحضيرات لحمايتهم وتسكينهم وعلى الأرجح سيهلك معظمهم في ذلك الشتاء الذي يهرع عقب الخريف مالم تأتهم مساعدة.

لكن المساعدات أتت سريعا إذ أرسل بارد الرسل عبر النهر للغابة لطلب مساعدة ملك الجن ليقابل الرسل قافلة جاهزة للتحرك رغم أنه لم يكن سوى ثالث يوم بعد سقوط سماوج فقد وصلت الأنبياء لملك الجن من رسله الخاصين ومن الطيور التي تحب قومه وكان يعرف بالفعل الكثير مما حدث كان في الواقع هناك ضجة عظيمة تتناقلها ذوات الأجنحة عن سقوط التنين وامتلاء الهواء بأسراب تدور ورسله السريعة الطائرة تتناقل الأنبياء عبر السماء متجاوزة حدود البحيرة عبر حدود الغابة كان هناك صفييرا مستمرا وصراخ وغناء انتشر سريعا فوق ميركوود يقول "سماوج ميت!" وارتعشت الأوراق وانتبهت الأذان وحتى قبل أن يتحرك ملك الجن بقالفته







وصلت الأنباء لغابة الصنوبر قرب الجبال الضبابية وعرفها بيورن في بيته الخشبي والغيلان أثناء اجتماعهم في كهوفهم.

قال الملك "أخشى أن هذا آخر ما سنسمعه عن ثورين أو كينشيلد كان من الأفضل له لو بقي ضيفا عندي إنها رياح سيئة على كل حال " وأضاف "حين تهب لا ينال أي شخص أي نفع " لكنه هو أيضا لم ينس أساطير كنوز ثرور ولذا وجده رسل بارد مع حشد من رماته وحاملي الرماح وفوقهم حشود الغربان تزداد لأنها ظنت أن الحرب ستشتعل ثانية مثل تلك التي افتقدوها منذ زمن بعيد في هذه الأرجاء لكن حين وصل للملك استغاثة براد أشفق لأنه كان سيد قوم طبيين عطوفين فغير من مسار حملته التي كانت متجهه في البداية نحو الجبل واتجهت الآن أسفل النهر نحو البحيرة ولم يكن معه ما يكفي من الزوارق والأطواف لقاقلته لذا اضطروا لاتباع الطريق الأبطء على البر لكنه أرسل عبر الماء مخزونا مهولا من البضائع.

لكن الجن قوم خفيفي الزحف ورغم أنهم في تلك الأيام لم يكونوا معتادين على السير وكانت الأرض وعرة بين الغابة والبحيرة الطويلة فقد كان ذهابهم سريعا لهم فقط خمسة أيام بعد موت التنين ليصلوا للسواحل ويروا خرائب المدينة وبالطبع كان استقبالهم جيدا وكان القوم والزعيم على استعداد لأي صفقة يردوا بها جميل الجن وملكهم.

وسريعا ما أعدت خططهم تشمل النساء والأطفال العجائز والصغار والزعيم بقي في المؤخرة ومعه بعض الرجال ذوي الحرف والكثير من الجن المهرة وشغلوا أنفسهم بقطع الأشجار وجمع الخشب المرسل من الغابة ثم بدأوا في إنشاء أكواخ كثيرة على الساحل لتقيهم من برد الشتاء وأيضا تحت توجيه الزعيم بدأوا في التخطيط للمدينة الجديدة لتكون أكبر وأجمل مما كانت لكن ليس في نفس المكان انتقلوا شمالا لأعلى الساحل فقد ظلوا للأبد يخشون الماء في مكان موت التنين الذي لن يعود أبدا لسريه الذهبي وإنما تمدد باردا على الصخر متكوما على أرضية الضحل وهناك لعقود ظلت عظامه ترى في الطقس الهادئ وسط حطام المدينة القديمة لكن القليلين من جرأوا على العبور لهذه المنطقة الملعونة ولا أحد جرؤ على الغطس في الماء المرعب لاستعادة الأحجار الكريمة التي سقطت من جنته المتعفنة.

لكن كل الرجال المسلحين الذين مازالوا قادرين ومعظم قوات ملك الجن استعدوا للزحف نحو الجبل شمالا وهكذا بدأ طريق الجن من أطلال المدينة وعبروا بجيشهم البوابات الصخرية عند نهاية البحيرة وأتوا إلى الأراضي المهجورة.





## الفصل (١٥)

### احتشاد الغيوم

الآن نعود لبيلبو وأصدقائه الأقزام. طوال الليل كان يبقى أحدهم للمراقبة لكن عند النهار لم يروا أو يسمعوا أي مؤشر للخطر. إلا ازدياد حشود الطيور وأتت رفاق لها طائرة من الجنوب والغربان التي كانت تعيش فوق الجبل تدور وتصرخ بلا إنقطاع فوقه.

قال ثورين " شيء ما غريب يحدث فقد فات وقت هجرة الخريف وهذه من الطيور التي تبقى دوما في أراضيها هناك طيور الزرزور وحشود من العصافير؛ وهناك بعيدا الكثير من الطيور أكلة الجيف كما لو أن هناك معركة جارية!"

فجأة أشار بيلبو "ها هو السمان العجوز ثانياً!" هتف "بيدو أنه هرب حين دمر سماوج جانب الجبل لكن لا أظن أن القواقع فعلت!"

بالتأكيد كان السمان العجوز هناك كما أشار بيلبو طار نحوهم ثم حط على حجر قريب منهم ثم رفر ف بأجنحته وغنى ثم أمال رأسه لجانب واحد كما لو كان ينصت ثم غنى ثم أنصت.

قال بالين "أنا موقن أنه يحاول إخبارنا بشيء لكنني لا أستطيع متابعة حديث تلك الطيور فهو سريع وصعب هل يمكنك التفسير يا باجينز؟"

"ليس جيدا" رد بيلبو بينما في الحقيقة هو لم يفهم أي شيء على الإطلاق! "لكن الرفيق العجوز يبدو متحمسا للغاية"

قال بالين "كنت أتمنى لو كان غراب أسود!"

"كنت أظن أنك لا تحبها بدوت خائفا منها للغاية حين جننا لهما من هذا الطريق؟"

"تلك كانت غربان (crows)! كائنات كريهة لا توحى بالثقة ووقحة أيضا لا بد أنك سمعت تلك الألفاظ القبيحة التي نادونا بها لكن الغربان السوداء (ravens) مختلفة فقد اعتادوا على صداقة عميقة بينهم وبين قوم ثرور ودائما ما أتوا لنا بالأخبار السرية ونكافئهم بالأشياء اللامعة التي يشتبهون اخفائها في أعشاشهم. إنها تعيش طويلا وذاكرتها حديدية ويسلموا حكمتهم لأطفالهم كنت أعرف الكثير من الغربان السوداء عند الصخور حين كنت طفلا وهذا المرتفع كان يسمى

رافينهيل (تل الغربان السوداء) لأنه كان هناك زوج حكيم مشهور منها. كارك العجوز وزوجته كانوا يعيشون هنا فوق حجرة الحرس لكن لا أظن أن أي من تلك السلالة القديمة يعيش هنا الآن."

وما أن أنهى كلماته حتى أطلق السمان العجوز صيحة عالية وطار فورا بعيدا.

قال بالين "لا أمل في أن نفهمه لكن الطائر العجوز يفهمنا جيدا. أنا واثق من ذلك. راقبوا وانظروا ما سيحدث"

وقبل وقت طويل كان هناك أجنحة ترفرف وعاد السمان العجوز ومعه أكثر الطيور شيخوخة كان يكاد يكون أعمى ولا يقوى على الطيران وقمة رأسه صلعاء كان غراب أسود عجوز ضخم الحجم ترجل بصعوبة على الأرض نحوهم وخفق أجنحته وصفر لثورين.

كان بيلبو يفهم حديثه فقد كان يتحدث باللغة المعتادة وليس لسان الطيور ونعب قائلا "يا ثورين ابن ثراين وبالين ابن فوندين أنا راك ابن كارك. كارك مات لكنه عرفكما جيدا من قبل إنها مائة وثلاثة أعوام وخمسين منذ أن فقسست بيضتي لكنني لم أنس ما قاله أبي لي والآن أنا زعيم الغربان السوداء العظيمة في الجبل نحن قلة لكننا مازلنا نذكر الملك الذي قديما كان. معظم قومي سافر لأن هناك أنباء عظيمة في الجنوب بعضها أنباء مفرحة لك والبعض الآخر لن تراه طيبا.

انظر الطيور تتجمع عائدة مرة أخرى للجبل ودال من الجنوب والشرق والغرب لأن الكلمة انتشرت في كل مكان سماوج مات!"

صرخ الأقزام "مات! مات! مات! إذا فنحن لسنا في حاجة للخوف الكنز ملكنا!"

قفزوا جميعا ورقصوا رقصة الفرحة.

قال راك "نعم مات. السمان ندعو له ألا يسقط له ريش رآه يموت ونحن نثق في كلمته رآه يقع في معركة مع رجال إيسجاروث منذ ليالي من الآن عند ارتفاع القمر."

قفزوا جميعا ورقصوا رقصة الفرحة.

قال راك "نعم مات. السمان ندعو له ألا يسقط له ريش رآه يموت ونحن نثق في كلمته رآه يقع في معركة مع رجال إيسجاروث منذ ليالي من الآن عند ارتفاع القمر."





استغرق الأمر بعض الوقت لكي يستطيع ثورين تهدئة الأقرام للاستماع لأنباء الغراب الأسود وبعد أن قص عليهم أنباء المعركة أكمل "الكثير لتفرح به ثورين أو كينشيلد ربما يمكنك أن ترجع لقاعاتك بأمان والكنز كله لك - لبرهة من الوقت!- لكن الكثير يحتشد ويتجمع مع الطيور فأنباء موت الحارس تناقلت بعيدا واتسعت وأساطير ثروة ثرور لم تفقدها الأقاويل على مر السنين العديدة والكثيرون يتلهفون لحصتهم من البقايا وبالفعل الآن حشد من الجن في طريقه لهذا وآكلات الجيف تطير فوقهم تأمل في المعركة والمذبحة ومعهم رجال البحيرة يتمتمون أن الحزن الذي أصابهم بسبب الأقرام وبسببهم وهم الآن بلا مأوى وقتل منهم الكثيرون ودمر سماوج مدينتهم ويفكرون أيضا في إيجاد تعويض من كنزك سواء كنت حي أم ميت.

إن حكمتك أنت ستقرر طريقك لكن ثلاثة عشر هم يقايا ضئيلة من شعب ديورين العظيم الذي عاش هنا ذات مرة والآن تشتت في البلاد لو أنك قبلت نصيحتي فلا تتق في زعيم رجال البحيرة وبدلا منه ثق في الرجل الذي أصاب التنين بقوسه بارد هو اسمه ومن عرق دال من سلالة جيروين وهو رجل شرس لكن صادق وربما نرى مرة أخرى السلام بين الرجال والجن والأقرام في هذه الأرض بعد أن هجرت طويلا لكن هذا قد يكلفك الكثير من الذهب العزيز كما أقول لك".  
وحيثما انفجر ثورين في غضب "كل الشكر لك راك ابن كراك أنت وقومك لن ننساهم لكن أيا من ذهبنا لن يؤخذ بأيدي اللصوص أو ينزع بالقوة طالما بقينا على قيد الحياة وإذا أردت استحقاق شكرنا أكثر انت بأنباء اقتراب الزاحفين وأيضا أرجو وأتوسل لك لو أن منكم من هو مازال قويا وصغيرا وقادرا على الطيران لكي ترسلوا رسائل لأقاربنا في الجبال في الشمال سواء شرق هذا المكان أو غربه وأخبرهم بمازقنا لكن بالذات اذهبوا لابن عمي داين في التلال الحديدية لأن لديه الكثير من القوم المسلحين وهو الأقرب لمكاننا وحثه على الإسراع!"  
نعق راك "لن أقول إن كانت هذه مشورة جيدة أم سيئة لكنني سأفعل ما أقدره." ثم ببطء طار.  
هتف ثورين "عودوا الآن للجبل هناك القليل من الوقت لنضعه."

صرخ بيلبو "والقليل من الطعام لنستخدمه!" دائما ما يكون عمليا في هذه المواقف!  
على أي حال كان يشعر أن المغامرة لنقولها بصيغة صحيحة انتهت بموت التنين. وهو الأمر الذي كان مخطئا فيه وكان مستعدا للتبرع بمعظم حصته لصالح أن يبسط السلام أجنحته على هؤلاء.

صرخ الأقرام "إلى الجبل" كما لو كانوا لم يسمعه لذا كان عليه أن يعود معهم وكما سمعت أنت فمن بعض الأحداث بالفعل كان أمام الأقرام بضعة أيام.  
استكشفوا الكهف مرة أخرى وكما توقعوا وجدوا أن البوابة الأمامية فقط هي المفتوحة جميع الأبواب الأخرى-باستثناء بالطبع الباب السري الصغير- حطمت منذ زمن بعيد وسدت على يد سماوج ولم يعد لها اثر. لذا بدؤوا الآن في بذل أقصى جهد لتحسين المدخل الرئيسي وفي إعادة تجهيز الطريق المؤدي له وقد عثروا على الكثير من الأدوات فقد استخدموا أدوات التعدين والبناء والمحاجر القديمة وفي مثل هذه الأعمال فمازال الأقرام هم الأكثر مهارة.  
وأثناء العمل كانت الغربان السوداء تأتي لهم بتقارير دورية منها عرفوا أن ملك الجن تحول نحو البحيرة ومازال عندهم فرصة لالتقاط الأنفاس والأفضل أنهم عرفوا أن ثلاثة من أفراسهم نجت وتنجول على غير هدى بعيدا أسفل ضفاف النهر الجاري ليس بعيدا عن مكان تركهم باقي مؤنهم ولذا بينما استمر الباقون في عملهم أرسلوا فيلي وكيلي يرشدهما الغربان السوداء للعثور على الأفراس والعودة بكل ما يستطيعون من مؤن.

ومضت أربعة أيام وفيها علموا بانضمام جيش الرجال المسلحين من البحيرة للجن وإسراعهم نحو الجبل لكن بعدما ازدادت آمالهم لأن عندهم طعام يكفي لأسابيع بالطبع مكون أساسا من الحشو، الذي تعبوا كثيرا منه لكن الحشو أفضل من لاشيء وكانت البوابة قد أغلقت بالفعل بسور من صخور مربعة رصت جافة لكنها سميكة وعالية أمام الفتحة وكان هناك ثقب في الجدار يستطيعون منها الرؤية أو التصويب لكن بلا مداخل كانوا يتسلقون في الدخول والخروج بسلاسل ويدخلون الأشياء بجذب الحبال ولأجل المجرى المائي دبوا قنطرة صغيرة منخفضة أسفل





الجدار الجديد لكن قرب المدخل غيروا الكثير فأصبح المجرى الضيق بركة واسعة تمتد من جدار الجبل إلى رأس الشلال حيث منه يتجه المجرى لدال ليكون الوصول الآن للبوابة بغير طريق السباحة ممكن فقط عبر ممر ضيق على المنحدر على يمين الناظر من الجدار والأفراس أحضروها فقط إلى أعلى الدرجات فوق الجسر القديم وأفرغوا حمولتها هناك وأمرها بالعودة لأسيادها وأرسلوها دون راكب للجنوب.

وهناك حل الليل قبل أن تظهر فجأة الكثير من الأضواء كالمشاعل والمصابيح بعيدا نحو الجنوب أمام دال.

صاح بالين "لقد أتوا! ومعسكرهم مهول جدا لا بد أنهم أتوا للوادي تحت الغبار على كلا جانبي النهر."

هذه الليلة لم ينم الأقرام إلا قليلا وكان النهار مازال شاحبا حين رؤوا جماعة تقترب. ومن مكانهم خلف الجدار رأوهم يصعدون الوادي ويتسلقون ببطء. وقيل مدة طويلة اتضح لهم أن الجيش من رجال البحيرة مدججين بالسلاح مثل المستعدين للحرب ومعهم رماة الجن وعلى مسافة مقدمة هؤلاء تسلقوا الركام الصخري وظهروا على قمة الشلال وكما كانت مفاجأتهم مذهلة حين وجدوا أمامهم البركة والبوابة مغلقة بسور جديد من الصخر المقطوع.

وبينما وقفوا يشيرون ويتحدثون هتف عليهم ثورين:

"من أنتم؟" بصوت عال للغاية" الذين أتيتم كالمستعدين للحرب على أبواب ثورين ابن ثراين ملك ما تحت الجبل وما غرضكم؟"

لكنهم لم يجيبوا بشيء وتراجع بعضهم سريعا للخلف والباقون تأملوا لفترة البوابة ودفاعاتها ثم تبعوهم. وفي هذه الليلة نقل المعسكر ووضع وسط ذراعي الجبل لتردد صخوره الأصوات والغناء كما لم تفعل منذ أيام خالية كان هناك أيضا صوت قيثارات الجن وموسيقى عذبة كما ترددت أصدائها نحوهم ليبدو أن برد الهواء قد تدفء والتقطوا شذرات من عبير زهور الربيع في الغابة وحينها أراد بيلبو لو يهرب من ظلام الحصن وينزل لأسفل وينضم للبهجة والاحتفال حول النار وأيضا بعض الأقرام الأكثر شبابا تحركت قلوبهم وتمتموا أنهم يتمنون أشياء وقعت على غيرهم ولذا من الممكن الترحيب بهؤلاء كأصدقاء لكن ثورين عبس لهم.

ثم قام الأقرام أنفسهم بإخراج قيثاراتهم وأدوات أخرى من الكنز وعزفوا له الموسيقى لإصلاح حاله لكنها لم تكن مثل أغاني الجن وبدت مثل تلك الأغاني التي غناها منذ وقت بعيد في بيت بيلبو.

"تحت الجبل المظلم والطويل

قد أتى الملك إلى قاعته!

خَصَّمه مَيِّت، دُوْدَة الفزع،

وكل خُصُومِه سَيِسْفُطُون.

السَيْفُ حَادٌّ، الرِمح طَوِيل،

السهم سَرِيع البَاب قَوِي

القلب جَرِيء يَسْعَى للذَّهَب

الأقْرَام لَنْ يَعاَنُوا مَزِيداً مِنَ الضَّر

أقْرَام المَاضِي صَنَعَت تَعاوِيذَ جَبَّارَة،

بَينَما المَطَارِقُ تَدقُ مِثْلَ أَجْرَاسِ رَنانَة

فِي الأَماكن العَمِيقَة، حَيتْ تَنام الكائِنات المَظْلَمَة

فِي قَاعاتِ مَجوْفَة تَحْتِ الصِّدَعِ.

عَلَى قلائدِ فَضِيَّة هُم غَزَلُوا

مِصباحِ النَجومِ، وَعَلَى التَيجانِ عَلَّفُوا

نارَ النَّيِّينِ، مَن سَلَكَ مِبرومِ

نَغمِ القِيثارةِ التِي يَعتَصرُون.





يُحَرَّرُ عرش الجبل مرة أخرى!  
أه الشعب المشتت يُصيحُ السَّمْعَ إلى النداء!  
تعال بسرعة! تعال بسرعة! عبّر الضياع!  
ملك الصديق والقريب محتاج.  
الآن ننادي نحن فوق برد الجبال ،  
تعال مسرعا إلى الكهوف العجوز!  
هنا في الأبواب الملك ينتظر،  
أيديه غنيّة بمجوهرات و ذهب.  
جاء الملك إلى قاعته  
تحت الجبل مظلم وطويل.  
دودة الفزع ذبحت وماتت،  
وكل خُصومنا سيسقطون!"

بدأت هذه الأغنية تُرضي ثورين، وابتسم وازداد سعادة وبدأ يحسب المسافة إلى التلال الحديدية و إلى أي مدى قد يكون قبل أن يقدر دايان أن يبلغ الجبل الوحيد، إذا كان انطلق بمجرد وصول الرسالة له لكن قلبه يبلى بسقط بسبب كلا من الأغنية والحديث فقد بدأ شديدي الحربية. في الصباح التالي رأوا مجموعة من حاملي الرماح تعبر النهر وتسير إلى فوق الوادي. تحمل راية ملك الجن الخضراء وراية البحيرة الزرقاء، وتتقدم حتى وقفوا تماما أمام الجدار في الباب. مرة ثانية ثورين استقبلهم في صوت عالي: " من هو أنتم الذين أتيتم كالمستعدين للحرب على أبواب ثورين ابن ثراين ملك ما تحت الجبل وما غرضكم؟" وهذه المرة وجد إجابة.

قام رجل طويل أمامه أسود الشعر شرس الوجه وصرخ:  
" ثورين المنادي! لماذا تحصن نفسك مثل السارق في مسكته؟ نحن لسنا أعداء بعد، ونسعد لأنك حي وهو ما يتجاوز أملنا. أتينا لا نتوقع أي أحياء ومع هذا فعثورنا عليكم مسألة للمفاوضة والتشاور."

"من أنت، ولم ترغب في المفاوضة؟"

"أنا بارد، والتنين ذبح بواسطة يدي وثورتك وصلتك أليس هذا أمر يهملك؟ فضلا عن ذلك أنا منحدر مباشرة من أصل وريث جيروين حاكم دال، و في كنزك خليط كثير مما سرقه التنين من قاعاته و ثروته في مدينته أليست تلك مسألة نتحدث عنها؟ أيضا ففي معركة الأخيرة دمر سماوج ممتلكات رجال إيسجاروث وأنا ما زلت خادم زعيمهم وسأتحدث باسمه وأسأل إذا كان عندكم أي فكرة عما أصابهم من حزن وبؤس لقد ساعدوكم في محنتكم وبالمقابل أنتم أحضرتهم لهم الخراب فقط بالرغم أنه بالتأكيد ليس متعمدا."

الآن كانت هذه كلمات عادلة وحقيقية، ولو أنه بفخر وبتجهم تكلمها؛ وظن ببلبو أن ثورين قد يقبل فوراً بالإعتراف بعدالتهم. بالطبع هو لم يتوقع أن يتذكر أحد أنه من اكتشف نقطة ضعف التنين بنفسه وكان هذا عملا طيبا لم يسبقه أحد فيه. لكنه أيضا لم يحسب حساباً لقدرة ذلك الذهب الذي فوّه قد رقد التنين طويلا، ولا للفلوب القزمية. لساعات طويلة في الأيام الماضية قضى ثورين وقته في الكنوز وكانت شهوتها قوية عليه رغم أنه كان يبحث تحديدا عن الحجر الأركيني إلا أن عيناه وقعت على الكثير من الأشياء الثمينة الرائعة هناك وحولها تدور الذكريات القديمة وأحزان قومه ومعاناتهم.

"وضعت سببك الأسوأ ليكون الأخير وفي المكان الرئيسي، من ثروة شعوبي ليس لرجل أن يطالب، لأن سماوج الذي إختلسه منا أيضا هو من سرق الحياة أو البيوت والكنز ليس له ليدفع منه استحقاقات أفعاله الشريرة أما عن ثمن البضائع والمساعدة التي تلقيناها من رجال البحيرة ستدفع بإنصاف في الوقت المناسب لكننا لن نمنحك شيئا ولا حتى ثمن رغيف خبز تحت تهديد السلاح وبينما جيش مسلح يقف على أبوابنا فسننظر لكم كأعداء ولصوص."





يلوح لي أن أسأل أي حصة من ميراثهم كنت ستدفع لأقاربي إذا وجدت الميراث غير محروس ونحن ذبحنا."

" سؤال صحيح،" ردَّ بارد. "لكن أنت لم تكن ميتًا، ونحن لم نكن سارقين. فضلًا عن ذلك الغنيّ ربّما يكون مشفقًا بغض النظر عن الحقوق على المحتاجين الأصدقاء حينما يحتاجون له. وما زالت باقي مطالبتي لم ترد عليها."

" لن أتفاوض، مثلما قلتُ، مع الرجال المسلحين على بابي. وأبدا لن أفعل حين يكون معهم قوم ملك الجن الذي أذكر له القليل من الخير في هذا الوضع ليس لهم عندي مكان اذهب الآن قبل أن تطير سهامي! وإذا أردت أن تحادثني ثانية فاصرف أولا حشد الجن لغابتهم التي ينتمون لها وألقي أسلحتك قبل الأقتراب من عتبتنا."

" ملك الجن صديقي، وقد أعاث شعوب البحيرة في حاجتهم، ولو أنهم ليس عندهم ما يطالبون به إلا الصداقة له،" أجاب بارد.

" سئططيك وقتا لتتوب عن كلماتك. استجمع حكمتك قبل أن نعود!" ثم غادر ورجع إلى المخيم. قبل أن تمر العديد من الساعات، عاد حاملو الراية، وحاملي أبواق تقدموا ووقفوا ليهب انفجارهم: "باسم إيسجاروث والغابة" تكلم واحد، "نتكلم إلى ثورين أوكينشيلد ابن ثراين، الذي يُسمي نفسه ملك ما تحت الجبل، وعرضنا عليه أن ينظر بعين الإعتبار لمطالبنا التي جادلناه فيها أو يتم إعلانه عدوا لنا عليه على الأقل أن يسلم سهم من اثنا عشر سهما من الكنز لبارد بصفته ذابح التنين ووريث جيروين ومن هذا الجزء سيساعد بارد إيسجاروث؛ لكن إذا كان يمتلك ثورين قيمة لصداقة وشرف الأراضي حوله، كما كان عند سادته لقديم، فهو سيُعطي قليلا من ملكه أيضا لرفاهة رجال البحيرة."

فأمسك ثورين قوس مقرن وأطلق سهم على المُتكلّم. وارتطم بشدة في درعه وهزه. "إذا كان هكذا هو جوابك،" نادى في المُقابل، أعلنُ الجبل مُحاصرا. لن تُغادر منه، إلى أن تطلب من جانبك الهدنة والمفاوضة. لن نحمل السلاح ضدك، لكن نتركك لذهبك ربما أمكنك أكله إذا أردت!"

مع هذا غادر الرُّسل بسرعة، وترك الأقرام ليقدرُوا موقفهم. أصبح ثورين قاسيا جدا، فحتّى لو أراد الآخرون أن ينتقدوا خطاه لم يستطيعوا وإن كان في الحقيقة معظمهم يشاركه التفكير ربما ماعدا يومبر العجوز وفيلي وكيلي.

استنكر بيلبو تحوّل الأمور برمتها طبعاً. كان حصل الآن على أكثر مما يكفي من متاعب الجبل ومسألة أن يحاصر داخله لم تكن على الإطلاق تناسب ذوقه!

" يفوح المكان بالكامل برائحة التّنين،" تذرّم لنفسه، "وهو يجعّني مريض. والحشو بدأ ببساطة يلتصق بحنجرتي."





## الفصل (١٦) لِصَّ فِي اللَّيْلِ

كانتْ الأيَّامُ تمرُّ بببطءٍ وبضجرٍ. و صرَّفَ العديد من الأقرامِ وقتهم في تكويم وتنظيم الكنز وتحدث ثورين عن الحجر الأركيني لثراين وأمرهم بإلحاح بالبحث عنه في كل ركن. قال "الحجر الأركيني لأبي، الحجر الأركيني، ذو قيمة أكثر من نهر من الذهب في حد ذاته، ولنفسى إته ما وراء الثمن. ذلك الحجر لهو كل الكنز بالنسبة لي وسأنتقم من أي شخص يعثر عليه ويحتفظ به."

سَمِعَ بيلبو بهذه الكلمات وازداد خوفه تَساءل ما قد يَحْدُثُ، إذا وُجِدَ الحجر المُعْلَفُ في رزمة بقايا بالية من الملابس القديمة التي يَسْتَعْمَلُها مثل الوسادة. على حدِّ السواء لم يَتَكَلَّمْ عنه، لأنه مع ازدياد وطأة الأيام ومتاعبها عليه نمت في عقله الصغير خطة. استمرت الأمور على هذا الحال لفترة حين أتت الغربان السوداء بأخبار أن دايين وأكثر من خمسمائة من الأقرام، تسرع من التلال الحديدية، وهم الآن على مسيرة يومين زحفا لدال آتين من الشمال الشرقي وقال راك



"لكن لا يقدرون أن يبلغوا الجبل بدون ملاحظة أحد وأخاف خشية أن تكون معركة في الوادي. لا أصف ما يحدث بالفكرة السديدة. ورغم أنهم شعب قوي، فلن يتعلّبوا على الأرجح على الحشد الذي يهاجمك؛ وحتى ولو فعلوا ذلك، ماذا ستريح؟ الشتاء والتلج قادم خلفهم. كيف ستطعم بدون الصداقة وحسن التية الأراضي التي لك؟ تَكُونُ الثروة على الأرجح موتك، حتى مع أن التنين لم يعد له وجود!"

لكن هذا لم يُحرِّكْ ثورين. وقال "سيعضُّ شتاء والتلج الرجال والجن معاً وربما قد يجدون بقائهم يضيع هباءا قدرتهم على التحمل. مع أصدقائي خلفهم والشتاء فوقهم، ربما سيكفون في مزاج أكثر ليونة لأن يتقوا وضوا معي."

تلك الليلة عقد بيلبو عزمه. كانت السماء سوداء بلا قمر وما أن عم الظلام ذهب لركن في الفراغ الداخلي بين البوابة واستخدم حزامه كحبل، ومعه الحجر الأركيني مُعْلَفُ بخرقه. ثم صعد إلى قمة الجدار. فقط بومبر كان هناك لأنه كان دوره في الحراسة، والأقرام تبقى حارسا واحدا فقط في نفس الوقت.

"إته بارد الى حد بعيد!" قال بومبر. "أتمنى لو نستطيع إشعال النار هنا كما يفعلون في معسكرهم!"

قال بيلبو "إته دافئ بمقدار كافٍ في الداخل،".

"أنا اعتقد؛ لكنني مربوط هنا حتى منتصف الليل،" ندم القزم السمين. "أمر مؤسف كلية. ليس أنا الذي يعامر ليعارض ثورين، ربما تنمو لحيته أضعافا ومع هذا سيظل قزما صلب الرأس" "ليس مثل صلابة أرجلي،" قال بيلبو. "تعبت من السلالم والممرات الحجرية. قد أُنحِ صفقة جيدة مقابل الإحساس بالعُشب في أصابع قدمي."

"قد أعطيت صفقة جيدة مقابل الإحساس بشراب قوي في حنجرتي ولفراش ناعم بعد عشاء جيد!" "لا أقدّر أن أعطيك هذا، بينما يستمر الحصار. لكن مضي وقت طويل منذ أن توليت أنا المراقبة وسأتولى عنك دورك لو أحببت فالنوم يجافيني الليلة."

"أنت زميل جيد، سيد باجينز، و سأخذُ عرضك بقبول حسن. إذا لاحظت شيئا ما أيقظني أولا سأكون في الحجر الداخلية اليسرى ليس بعيدا عن هنا."

"إذهب أنت!" قال بيلبو. "سأوقظك في منتصف الليل، و تقدر أن توقظ الحارس القادم."





حالما ذهب بومبر، لبس بيلبو خاتمه، ثَبَّتَ حبله، انزَلَقَ نزولا فوق الجدار، وذهب. كان عنده حوالي خمس ساعات. سَيَّامُ بومبر (يَقْدِرُ أن يَنَامَ في أيّ وقت من الأوقات، ودائما منذ مغامرة الغاية كَانْ يحاول ممراراً استرداد الأحلام الجميلة التي زارته وقتها!) وكلّ الباقيين منشغل مع ثورين. كان من المستبعد أن أيا منهم، حتى فيلي أو كيلبي، سيخْرُجُ إلى الجدار قبل أن يحين دوره، كان الظلام شديدا حين غادر الطريق الجديد الذي صنعوه وتسلق نزولا نحو القسم السفلي من المجرى وأصبح الطريق غريبا عليه وأخيرا أتى لمنعطف يجب عليه فيه أن يعبر الماء إذا كان يريد الوصول للمعسكر كما يتمنى. كَانْ مسار النهر هناك ضَحْلٌ لكن عريض، وخوضه في الظلمة لم يَكُنْ سهلا للهوبيت الضئيل. كَانْ تقريبا عبر حين أخطأت قدمه لتقع على حجر مستدير ليسقط في الماء البارد مصدرا رزاا وبالكاد استطاع الوصول للضفة الأخرى مرتجفا ومتمتا حين أتى في الظلام مجموعة من الجن بمصاييح لامعة يبحثون عن سبب الضجة.

"تلك ليست سمكة!" قَالَ أحدهم. "هناك جاسوس. أخفوا مصاييحكم! ستساعده أكثر منا، إذا كان ذلك المخلوق القليل الشاذ الذي يقولون أنه خادمهم."

"خادم، حقًا!" صهل بيلبو؛ و في منتصف صهيله عطس بصوت عال، و تَجَمَّعَت الجن فوراً نحو الصوت.

قَالَ "دعونا نرى الضوء! أنا هنا إذا أردتموني!" و خلع خاتمه، و فَرَّقَ من وراء صخرة. أمسكوه بسرعة، بالرغم من مفاجأتهم. "من أنت؟ هل أنت هوبيت الأقرام؟ ماذا تفعل؟ كيف مضيت كل هذه المسافة تحت عيون حراسنا؟" سأله الواحد تلو الآخر.

"أنا السيد بيلبو باجينز، زميل ثورين، إذا كنتم في حاجة لأن تعرفوا. أعرف ملكك وشكله رؤية رغم أنه على الأرجح لا يعرف شكلي لكن بارد سيدكرني وهو بارد من أريد تحديدا رؤيته."

"حقًا! وماذا سيكُونُ غرضك؟"

"مهما كان، إنه شأني، يا جنبي الطيبين. لكن إذا رغبتم أبدا في مغادرة هذا المكان البارد الكئيب لغابتكم الجميلة" قالها وهو يرتعش "ستأخذونني فوراً للهيب حيث أجف وستتركونني أتحدث لسيدكم بأسرع ما يمكن فليس عندي إلا ساعة أو اثنتان لا غير."

وهكذا بعد ساعتين من هروبه من البوابة جلس بيلبو في الدفء جوار النار أمام خيمة كبيرة وجلس معه أيضا كلا من ملك الجن وبارد كان هوبيت في دروع جني مغطى ببطانية قديمة، شيء حديثا لهم.

قال بيلبو بأفضل أساليب أعماله "حقا أنت تعرف، الأمور تعقدت. شخصيا تعبت من المسألة برمتها. أرغب أن أرجع للغرب في بيتي حيث الشعوب أكثر عقلانية. لكن عندي فائدة في هذه المسألة حصة من أربعة عشرة لكي أكون دقيقا، إستنادا إلى خطاب لحسن الحظ أعتمد أنني احتفظت به"

وسحب من جيبه في سترته القديمة (التي يحملها الآن فوق دروعه) مجعدا ومطويا بشدة، رسالة ثورين التي وُضِعَت تحت الساعة على رف المدفأة في مايو!

إسْتَمَرَ "حصة في الأرباح، اسمح لي، أنا مدرك لهذا وشخصيا جاهز جدًا لأن أراعي كل مطالبك بعناية، وأخصمها من المجموع قبل المطالبة بما لي. ومع ذلك أنت لا تعرف ثورين أو كينشيلد كما أفعل أنا الآن. أطمئنك، هو مستعد تماما للجلوس فوق تل من الذهب والموت جوعا طالما أنتم هنا!"

قَالَ بارد. "حسنا دعه يفعل يَسْتَحِقْ مثل هذا الأحمق الموت جوعا."

قَالَ بيلبو. "تمامًا، أنفهم وجهة نظرك. في نفس الوقت الشتاء يأتي مسرعا. قبل مرور وقت طويل ستعاني من الثلج وهلم جرا، والإمدادات ستكُونُ صعبة - حتى للجن كما أتصور -. أيضًا سيكُونُ هناك مصاعب أخرى. لم تَسْمَعْ عن دابن وأقرام التلال الحديدية؟"

سأل الملك. "سمعنا، منذ وقت طويل مضى؛ لكن ما يملك أن يفعله؟"

"فكرت كثيرا. أرى أن عندي بعض المعلومات لم تعرفها. دابن، ربما قد أخبرك، الآن على بعد أقل من اليومين زحفا، ومعه على الأقل خمسمائة قزم قاس. عدد هام منهم إمَّاك تجربة جيدة في







الحرب المفزعة بين الأقزام والغيلان، التي قد سمعتَ بها بدون شك. عندما يصلُ ربّما قد تجد مشاكل خطيرة."

"لماذا تُخبرنا هذا؟ هل تُخونُ أصدقائك، أم تهددنا؟" سألَ بارد بتجهم.  
"بارد العزيز!" صرَّ بيلبو. "لا تتسرع جدًّا! لم ألتق أبداً بشعْبٍ شكاك هكذا! أجربُ فحسب أن أتجنّب المتاعب للكلّ. الآن أنا سأقدم لك عرضاً!!"  
"دعنا نسمعُ به!" قالوا.

"ربما تراه!" قال هو. "إنه هذا!" وسحب الحجر الأركيني، وفض الغلاف.



ملك الجن نفسه، التي تعودتُ عيونه على الأعجوبات والحسن، قام في دهشة. حدّق بارد متعجباً فيه في صمت. كان كما لو كان كأساً ملئتُ بضوء القمر وعلقتُ أمامهم في شبكة منسوجة من ومض النجوم الباردة.

قالَ بيلبو "هذا الحجر الأركيني لثراين، قلب الجبل؛ وإنه أيضاً قلب ثورين. يثمنه أعلى من نهر من الذهب. سأعطيه لك. سيُساعذك في مسأومتك."

ثمّ سلم بيلبو (ليس بدون قشعريرة، وليس بدون لمحة شوق)، الحجر المذهل إلى بارد، الذي أبقاه في يده كما لو كان يشعر بالدوار.  
"لكن كيف يكون لك لتمنحه؟" سألَ أخيراً بعد جهد.

"أوه حسناً!" قال الهوبيت بإنزعاج. "إنه لم يكن بالضبط؛ لكن، ..... حسناً، أنا راغب أن أجعله مقابل كل مطالي. آآه أنت لا تعرف ربما أكون صعلوكاً أو هكذا يقولون شخصياً لم أشعر أبداً أنني كذلك. لكنني شخص أمين أو تقريباً أرجو ذلك. على أي حال أنا عائد الآن ويمكن للأقزام أن يفعلوا بي ما يشاءون. أتمنى أن تجده مفيداً."

نظر ملك الجن بإعجاب جديد لبيلبو وقال "بيلبو باجينز أنت أكثر من أن تستحق ارتداء دروع أمراء الجن أكثر من العديدين الذين رأيتهم فيها لكنني أتساءل إذا كان ثورين أو كينشيلد سيري ذلك. ربما يكون لي معرفة عامة بالأقزام أكثر منك لذا أنصحك أن تبقى معنا وهنا ستكرم ويهتف لك بالترحاب."

"شكراً جزيلاً أنا واثق من ذلك،" قالها بيلبو مع إحناءة. "لكن لا أظن أنه ينبغي لي ترك أصدقائي هكذا بعد كل ما مررنا به سوياً كما أنني وعدت بومبر العجوز بإيقاظه في منتصف الليل! حقا يجب أن أغادر بأقصى سرعة."

ما كان لشيء يقولوه أن يوقفه؛ لذا أرسلوا معه مرافق وبينما هو ذاهب ودعه الملك وبارد كليهما بتحية الشرف. وبينما يمروا عبر المعسكر نهض رجل عجوز ملتف في عباءة داكنة من باب خيمة حيث كان يجلس وأتى نحوهم.

"أحسنت! سيد باجينز!" قالها وهو يربت على ظهر بيلبو. "هناك دائماً الكثير عندك أكثر مما يظن أي شخص!"  
كان جاندلف!

للمرة الأولى منذ أيام عديدة ابتهج بيلبو بهجة حقيقية. لكن لم يكن عنده وقت لكل الأسئلة التي تاق فوراً إلى أن يسألها.

"كل شيء سينم في حينه!" قال جاندلف. "تتجه الأشياء لنهايتها الآن ما لم أكن مخطئاً وهناك وقت تعيس سيواجهك الآن لكن احتفظ بقلبك قويا! هناك أنباء تختمر حتى الغربان السوداء لم تسمعها. عمت مساءً!"

مُتحيراً لكن سعيداً. أسرع بيلبو. أرشد إلى مخاضة آمنة وعبر من جانب إلى آخر جاقاً، ثم قال الوداع إلى الجن وصعدَ بعناية راجعاً للبوابة كان الإرهاق يغمره لكن الوقت كان قبيل منتصف





الليل حين ألقى حزامه ليصعد كان الأمر كما تركه لذا جلس مستندا على الجدار يتساءل بقلق عما سيحدث.

في منتصف الليل أيقظ بومبر؛ ثم تكوم في ركنه دون أن يستمع لشكر القزم العجوز (الذي أحس بصعوبة أن يستحقه) وسرعان ما غرق في النوم ناسيا كل همومه حتى الصباح في الحقيقة كان يحلم بالبيض واللحم!





## الفصل (١٧) انفجار العاصفة

في اليوم التالي ارتفعت الأبواق مبكرا في المخيم. سرعان ما رأوا عداء يَنقَدُّ بسرعة في الطريق الضيق. على بُعد وقف وسلّم عليهم، يسألُ إذا ما قد يستمعُ ثورين الآن إلى سفارة أخرى، حيث أتت الآن أنباء جديدة وغيّرت المسائل.

"ذلك سيكون دايين!" قال ثورين عندما سمع. "سمعوا برياح مجيئه أظن هذا سيحسن من معاملتهم. أمرهم أن يأتوا بعدد قليل غير مسلح وسأسمعهم" هكذا نادى الرسول.

عند منتصف النهار رأوا رايات الغابة والبحيرة تقترب ثانية وعند بداية الطريق الضيق ألقوا سلاحهم ورماحهم وتقدموا نحو البوابة. وبالعجب رأى الأقرام بينهم بارد وملك الجن بنفسه وأمامهم رجل عجوز ملتفا بعباءة وقلنسوة يقطرون تابوتا قويا من الخشب المقوى بالحديد.

قال بارد "نحييك يا ثورين! هل مازلت على رأيك؟"

أجاب ثورين "رأبي لا يغيره شروق وغروب شمس قليلة هل أتيت لتسألني أسئلة كسولة؟ مازال حشد الجن لم ينصرف كما طلبت! وحتى هذا فأنت عبثا تأتي لتفاوضني."

"إذا فهل هناك أي شيء يجعلك تسلم بعضا من ذهيك؟"

"لا شيء تستطيع أنت أو أصدقائك أن يقدموه."

قال "ماذا عن الحجر الأركيني لثراين؟" وفي نفس اللحظة فتح الرجل العجوز التابوت ورفع عاليا الجوهرة ليقفز الضوء من يديه لامعا وساطعا في النهار.

وعندها أصاب ثورين الصدمة والخرس من الدهشة والارتباك. لم يتكلم أحد لمدة طويلة. فضّ ثورين أخيرا الصمت، وكان صوته غليظا وحانقا. "كان ذلك حجر أبي، والآن لي، لماذا يجب أن اشتر ما هو ملكي؟"

لكن تغلّبت دهشته عليه وهو يضيف: "لكن كيف أتيت لحجرة الثروة في بيتي إذا كان هناك حاجة لإلقاء هذا السؤال على لصوص."

"نحن لم نكن لصوصا،" أجاب بارد. "ما هو ملكك سيعود لك مقابل ما هو ملكنا."

"كيف حصلت عليه؟" صرخ ثورين في غضب متزايد.

"منحته لهم!" صرّ بيلبو، الذي كان يخلّس النظر فوق الجدار، الآن، في خوف مفرع.

"أنت! أنت! بكي ثورين، يدور فوقه وقبض عليه بكلا يديه. "أنت هوبيت بائس! أنت الصعلوك صغير الحجم!" صرخ بكلمات ضائعة وهزّ بيلبو المسكين مثل الأرنب.

"بحق لحيّة دورين! أتمنى لو كان جانديف هنا! اللعنة عليه وعلى اختياره لك عل لحيته تذبل! وبالنسبة لك سألقيك فوق الصخور!" صرخ وهو يرفع بيلبو بذراعيه

قاطععه صوت حازم "توقف فقد تحققت أمنيتك" كان الرجل العجوز صاحب التابوت الذي ألقى جانبا العباءة والقلنسوة.

"ههنا جانديف! ولا يمكن أن أكون أقرب من هذا كما أظن. إذا لم يعجبك صعلوكي فلا تحطمه من فضلك انزله ثم استمع لما يجب أن يقوله!"

قال ثورين مسقطا بيلبو على قمة الجدار "يبدو أنكم جميعا في عصابة واحدة لن أقوم أبدا بعقد صفقة مع أي ساحر أو أيا من أصدقاءه. ماذا عنده ليقول؟ أنت، أنت، أنت سليل الفئران؟"

"يا للغرابة! يا للغرابة!" قال بيلبو. "أنا واثق أن هذا كله غير مريح. ربّما قد تتذكّر قولك أنني ربّما قد إختار سهمي من أربعة عشر بنفسي؟ ربما أنا أخذت الكلام على علاقته فقد قيل لي أن الأقرام ألطف حين الكلام منهم حين الاستحقاق في هذا الوقت على أي حال كنت تبدو شاكرا لي

بعض الخدمات. سليل الفئران حقا! هل هذا هو ما تكبته أنت وعائلتك في خدمتي كما وعدتني يا ثورين؟ خذها هكذا لقد أخذت بحسن نية حصتي كما تمنيتها واترك الأمر على ذلك!"

قال ثورين بتجهم. "سأفعل وسأسمح لك بالذهاب علاوة على ذلك-ولعلنا لا نتقابل أبدا بعد ذلك."

ثم استدار وتحدث عبر الجدار "لقد غدر بي كان استنتاجكم صحيحا أنني لن أصبر على استعادة الحجر الأركيني كنز بيتي ولأجله سأمنحكم واحد على أربعة عشر من الميراث ذهباً وفضة





باستبعاد الجواهر لكن هذا سيحسب كالنصيب الذي وعدت به الخائن ومع تلك المكافأة يجب أن يغادر هو، ويمكنكم تقسيمه كما تشاءون وسينال القليل منكم بلا شك خذوه إذا أردتم أن يعيش ولن تذهب معه صداقتي أبداً."

"انزل الآن إلى أصدقائك!" قال لبيلبو، "أو سأرميك لأسفل."

"ماذا عن الذهب والفضة؟" سأل بيلبو.

قال "هذا سنراه فيما بعد كما سنرتبه

انزل!"

"إلى هذا سنحتفظ بالحجر" صاح بارد.

قال جاندلف "لم تمنحنا مثلاً طيباً لملك ما تحت الجبل لكن الأمور قد تتغير."

"ربما بالفعل"، قال ثورين.

في الحقيقة كان تأثير الكنز عليه قويا للغاية كان يفكر أنه إذا ما أمكن الاستعانة بداين فلن يستطيع استعادة الحجر الأركيني لكنه سيحتفظ بالحصاة لنفسه.

وهكذا هبط بيلبو من الجدار، ورجع بخفي حنين مقابل متاعبه! باستثناء دروعه التي كان ثورين منحها له بالفعل وأكثر من واحد من الأقزام أحس بالأسف والخجل وهم يرونه يرحل.

قال "وداعاً ربما نلتقي مرة أخرى كأصدقاء."

ثورين "ابتعد! لك دروع فوقك، صنعت بأيدي قومي وهي جيدة أكثر مما تستحقه فلا يمكن أن تخترقها السهام لكن إن لم ترحل سألدغ قدمك التعيسة. لذا فأسرع!"

"ليس بهذه السرعة!" كان هذا بارد. "سنمنحك حتى الغد. في منتصف النهار سنعود نحن، وسنرى إذا كنت أحضرت من الميراث الجزء الذي سنبادل به الحجر ولو حدث هذا دون خداع عندها سنرحل وجيش الجن سيعود للغابة الآن وداعاً!"

مع هذا عادوا للغابة لكن ثورين أرسل رسل من عند راك يخبر داين ما فاتته ويرجوه أن يسرع بحذر.

مر هذا اليوم وليلته وفي النهار التالي تحولت الرياح للغرب والهواء ثقيل داكن وكان الصباح مازال باكراً حين سمعت صيحة في المعسكر العدائون أتوا بتقارير أن جيش الأقزام ظهر قرب النتوء الشرقي للجبل وهو يحث السير الآن لدال.

أتى داين فقد حث السير طوال الليل لذا وصل قبل أن يتوقع الجميع. وكل واحد من قومه مغطى بدروع من الصلب ودروع تغطي ركبهم وقدمه محمية بجورب من شبكة معدنية صلبة مرنة كان سر صناعتها قاصر على داين وقومه.

الأقزام عامة أقوى بكثير من حجمهم لكن هؤلاء كانوا الأكثر قوة بين الأقزام وفي المعارك يستخدمون معولاً أو بلطة تمسك باليدين لكن لكل واحد منهم سيف قصير عريض في جانبه ودرع مستدير معلق على ظهره كانت لحاهم مشقوقة ومجدولة ومدسوسة في أحزمتهم، خوذاتهم من الحديد وينتعلون الحديد ووجوههم قاسية.

دعت الأبواق الرجال والجن للسلاح وقبل أن يمضي وقت طويل ظهر الأقزام يتقدمون بخطى واسعة وتوقفوا بين النهر والنتوء الشرقي لكن بعضهم واصل الطريق وعبر النهر مقتربين من المعسكر وهناك طرحوا أسلحتهم ورفعوا أيديهم كعلامة السلام وخرج بارد ليقابلهم ومعه بيلبو.

حين سأل أجابوا "لقد أرسلنا داين ابن ناين ونحن آتون لنسيبنا في الجبل بعد أن علمنا باستعادة المملكة القديمة لكن من أنتم الذين تجلسون في السهول كالأعداء أمام الأسوار المحصنة؟"

كانت هذه بالطبع الطريقة المهذبة القديمة للحديث في هذه الأحوال وتترجم ببساطة إلى (لا عمل لكم هنا نحن سنستمر ارحلوا أو سنحاربكم) كانوا يريدون المواصلة بين الجبل ومنحنى النهر لأن الأراضي الضيقة بدت غير محروسة جيداً.

بالطبع رفض بارد السماح لهم بالمواصلة حتى الجبل فقد أصر على البقاء حتى يستبدل الذهب والفضة بالحجر الأركيني لأنه لم يصدق أن هذا سيحدث إذا جهز الحصن بكل أولئك القوم الذين يبدون أبناء حرب.





كانوا قد أحضروا معهم امدادات ضخمة ومؤن فالأقزام تستطيع حمل أثقال كبيرة وتقريبا كل رجال داين رغم سيرهم السريع كانوا يحملون حقائق ضخمة على ظهورهم إلى جانب سلاحهم وسيتحملون الحصار لأسابيع وفي هذا الوقت سيأتي المزيد من الأقزام وربما أكثر لأن ثورين له الكثير من الأقارب كما أنه سيتمكنهم إعادة فتح وحراسة أبواب أخرى في الجبل وعندها سيضطر الحصار لمحاوطة الجبل بأكمله وليس عندهم أعداد كافية لذلك.

تلك كانت في الحقيقة بالتحديد خطتهم (فقد كانت رسل الغربان مشغولة بين ثورين وداين) لولا أن في تلك اللحظة كان الطريق مغلقا لذا فَبَعْدَ كلمات غاضبة عادت رسل الأقزام تتم في لحاها وأرسل بارد رسله على الفور للبوابة لكنه لم يجد ذهبيا أو دفعا بل اندفعت السهام ما أن دخلوا في مرماها فانسحبوا في فزع وفي المعسكر كان الجميع في هياج كما لو كانت الحرب فقد كان أقزام داين يزحفون عبر الضفة الشرقية.

قال بارد "هم حمقى أن يأتوا هكذا بين ذراعي الجبل حتما هم لا يعرفون شيئا عن الحرب فوق الأرض أيا ما كان ما يعرفونه عن القتال وسط المناجم هناك الكثير من رماة السهام والرماح مختبئون بين الصخور فوق جناحهم الأيسر ربما تكون دروع الأقزام جيدة ولكن سريعا ما سيصعب عليهم وضعها دعونا نطبق عليهم الآن من كلا الجانبين قبل أن يستريحوا تماما"

لكن ملك الجن قال "سأترؤى كثيرا قبل أن أبدأ هذه الحرب لأجل الذهب لن يستطيع الأقزام الانقضاء علينا حتى نفعل ذلك أو أن يفعلوا شيئا لا نستطيع ملاحظته دعنا نأمل أولا في شيء ما يعيد المشاورات وتفوقنا العددي سيكون كافيا إذا انتهت الأمور على ربح عابسة."

لكنه لم يحسب حساب الأقزام فمعرفة وجود الحجر الأركيني في أيدي الحصار أشعلت رؤوسهم كما أنهم خمنوا ما سيحدث من تلكؤ بين بارد وحليفه وقرروا الهجوم أثناء جدالهما. فجأة دون إنذار اندفعوا للهجوم انثنت الأقواس وصفرت السهام المعركة على وشك الالتحام. لكن حينها وبمفاجأة أعنف من هجومهم السريع هبط الظلام بسرعة مخيفة وسحابة سوداء غطت السماء ورعد الشتاء مع هدير ريح ضارية دارت لأعلى وضربت الجبل وأطلق البرق صواعقه وأسفل الإعصار ظهر سواد آخر يمكن رؤيته كدوامة تقترب لكنها ليست مع اتجاه الرياح كانت آتية من الشمال! كما لو كانت غيوم عاتية من الطيور شديدة الكثافة حتى لا يرى ضوء بين أجنحتها.

هتف جاندف الذي ظهر فجأة ووقف وحيدا بذراعيه مرتفعتين بين الأقزام والجيش الذي ينتظرهم "قفوا! قفوا!" كان هتافه كالرعد وعصاته تلقي بومضات كالبرق "أتى الفزع فوقكم جميعا! واحسرتاه أتى أسرع مما ظننت! الغيلان فوقكم! بولج سيد الشمال أت أوه يا داين! الذي ذبحت والده في موريا. توقفوا!، الخفافيش فوق جيشه كبحر من الجراد ركبوا فوق الذئاب والوارجات في جيشهم!"

نزلت عليهم الدهشة والارتباك. بالرغم من أن جاندف تكلم بينما الظلام يزداد توقف الأقزام ونظروا للسماء بينما صرخ الجن بأصوات عديدة.

"تعالوا!" نادى جاندف. " هناك مع ذلك وقت للمجلس. دعوا داين ابن ناين يأت سريعا لنا!" وهكذا بدأت معركة لم يتوقعها أحدهم وسميت بحرب الجيوش الخمسة وكانت رهيبه للغاية على جانب كانت الغيلان والذئاب البرية وعلى الجانب الآخر الجن والبشر والأقزام وهذا هو ما جرى فيها :

منذ أن سقط الغول العظيم في الجبال الضبابية وبغض جنسهم للأقزام اشتعل لحد الغضب الهائج وتبادلوا الرسل بين كل مدتهم ومستعمراتهم وحصونهم لأنهم قرروا الفوز ببسط السيادة على الشمال وبإصرار احتشدوا بطرق سرية وفي كل الجبال كان هناك حدادة وتسليح ثم زحفوا عبر الوديان والتلال إما في الأنفاق أو تحت جناح الظلام إلى أن وصلوا للجبل العظيم جانداباد في الشمال حيث كانت عاصمتهم وحشد رهيب اعد للزحف في الميعاد كعاصفة تدمر الجنوب ثم علموا بموت سماوج وامتألت قلوبهم بالفرحة وحثوا المسير أكثر وأكثر عبر الجبال ليلا تلو الليلة وهكذا أتوا بغتة من الشمال قرب هجوم داين حتى الغربان السوداء لم تعرف بمجيئهم إلا بعد





وصولهم للأراضي المحطمة التي تفصل بين الجبل الوحيد والتلال وراءه كيف علم جانديلف لا أستطيع القول لكن من الواضح أنه لم يتوقع هذا الهجوم المفاجئ.

أما الخطة التي وضعها جانديلف في المجلس مع ملك الجن وبارد؛ ومع داين، فإن سيد الأقزام داين انضم إليهم الآن لأن الغيلان أعداء للجميع ومشاجراتهم الأخرى تُسيّت كلها. كان أملهم الوحيد استدراج الغيلان للوادي المنخفض بين ذراعي الجبل ووضع أنفسهم فوق النتوءين الكبيرين المحيطين بالوادي من الجنوب والشرق لكن هذا سيكون خطرا إذا امتلكت الغيلان أعداد كافية لاكتساح الجبل نفسه، وبالتالي تلتف عليهم وتهاجمهم من الخلف والأعلى لكن لم يكن هناك وقت لأي خطة أخرى، أو لأن تُستدعي أي مساعدة.

سرعان ما مضى الإصراع يدور مبتعدا نحو الجنوب الشرقي لكن سحابة الخفافيش أتت تحلق منخفضة على أكتاف الجبل وحامت حولهم تحجب الضوء وتلقي الرعب في قلوبهم.

"إلى الجبل!" نادى بارد. "إلى الجبل! دعونا نتخذ أماكننا بينما هناك وقت!"

على النتوء الجنوبي، في منحدراته الدنيا وفي الصخور عند سفحه، تمركز الجن؛ أما على النتوء الشرقي فتمركز الرجال والأقزام. لكن بارد ومعه بعض أكثر الرجال والجن رشاقة صعدوا لأعلى الكتف الشرقي ليكسب مجالا للرؤية تجاه الشمال. وسرعان ما استطاعوا أن يُشاهدوا الأراضي أمام سفح الجبل قد اسودت بالجموع المسرعة وقبل مرور وقت طويل حامت طلائع الغيلان حول نهاية النتوء ثم أندفعت نحو دال في الوادي كانوا من أسرع ركاب الذئاب وصيحاتهم وعوائهم يملئان الهواء لأقصى حد وفوق عدد قليل من البشر الشجعان أمامهم للقيام بمقاومة خادعة ليسقط منهم الكثير قبل أن ينسحبوا ويهربوا لكلا الجانبين وكما كان يرجو جانديلف تجمع جيش الغيلان خلف الطليعة التي عرفلتها المقاومة واندفعوا الآن في غضب نحو الوادي ليساقوا بضراوة بين ذراعي الجبل يطلبون الأعداء. كانت رآياتهم لا تحصى حمراء وسوداء، وأتوا في هياج كالموجة العاتية دون نظام.

كانت معركة فظيعة. الأكثر فرعا في كل تجارب بيلبو، وكانت في وقتها كانت الأبخض إلى قلبه لكن يمكننا أن نقول أنها فيما بعد كانت أكثر ما يتفاخر به وأكثر واحدة يغرم بإعادتها رغم أنه كان عديم القيمة تماما فيها. في الحقيقة يجب أن أذكر أنه ارتدى خاتمه مبكرا واختفى عن الأنظار بل أيضا عن الأخطار! فخاتم سحري مثل هذا ليس بحماية كاملة ضد هجوم الغيلان كما أنه لا يمنع السهام الطائرة والحراب التائهة لكنه يساعد على الابتعاد عن الطريق وينقذ رأسك من أن تستهدف بالتحديد بضربة ساحقة من سيف غول مبارز.

كان الجن أول من هجم. بَعْضهم للغيلان قاسي ومرير. لمعت رماحهم وسُيوفهم في الظلمة بومضة تشعيرية لهب، كان غضب الأيدي الممسكة بها مميت جدا. بمجرد أن تجمع جيش أعدائهم الكثيف في الوادي أرسلوا ضده سيل من السهام وكل منها يحلق كما لو كان يهرب من نار لاسعة. وخلف السهام أرسلوا ألفا من حاملي الرماح قفزوا لأسفل وهاجموا وكان صراخهم يصيب بالصمم لتصبغ الصخور بسواد دماء الغيلان وما أن كاد الغيلان يستعيدوا توازنهم بعد الهجمة وبدأ هجوم الجن في التعثر نَهَضَ من الوادي هديرا عميقا بصراخ وصيحات "موريا (Moria)!" و "داين، داين!" اندفع أقزام التلال الحديدية، الذين يَسْتَخْدِمُونَ معاولهم، فوق الجانب الآخر وجوارهم أتى رجال البحيرة مع سُيوفهم الطويلة.

حل الفرع على الغيلان وما أن استداروا لمقابلة هذا الهجوم الجديد باغتتهم الجن بهجوم آخر بأعداد جديدة وبالفعل كان عدد كبير من الغيلان يطير أسفل النهر ليهرب من الكمين والكثير من ذئابهم انقلبت عليهم لتأكل القتلى والجرحى وبدا النصر قريبا حين ترددت صيحة من الأعلى فوقهم.

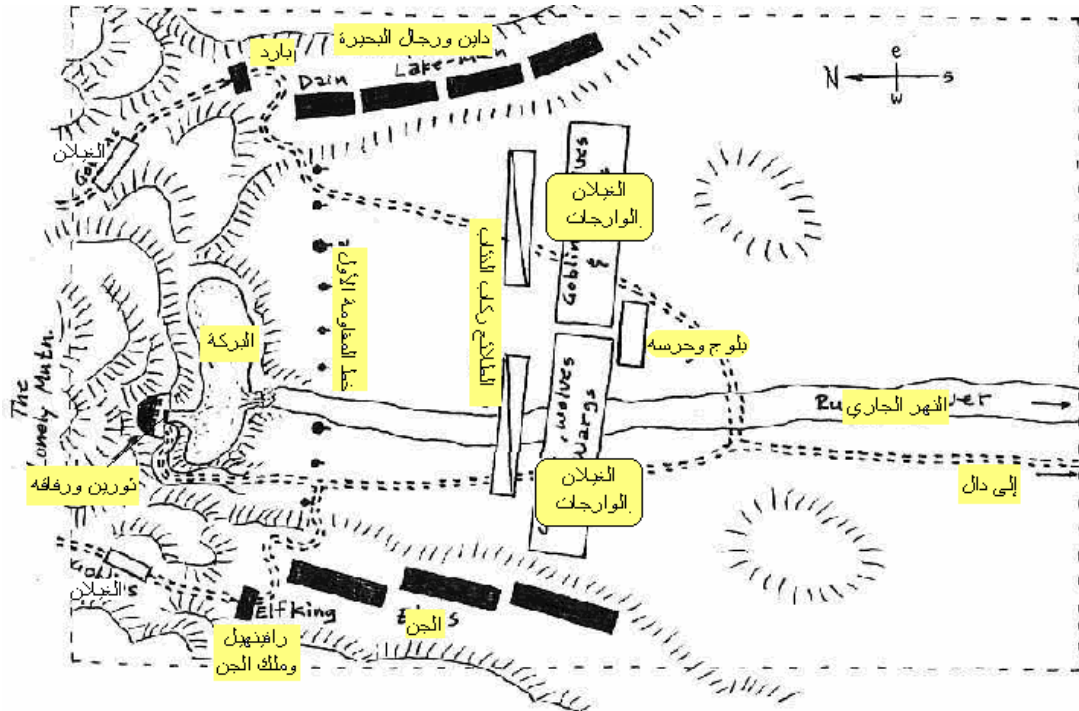
لقد تسلق الغيلان الجبل من الجانب الآخر وأصبح بالفعل الكثير منهم فوق المنحدرات التي تلو البوابة وآخرون ينهمرون بتهور لأسفل دون أن يبالوا بمن يسقط منهم صارخا من المنحدر في الهاوية يريدون الهجوم على نتوءات الجبل من أعلى حيث كان كلا منها يمكن الوصول إليه





بممرات تتحدر من الجزء الرئيسي للجبل. وفي وسطها كان المدافعون أقل من أن يستطيعوا إغلاق الطريق طويلاً فتلاشى الأمل في النصر ولم يوقفوا إلا الهجمة الأولى للمد الأسود. اقترب النهار. وتجمعت الغيلان مرة ثانية في الوادي. هناك حشد من الوارجات أتى ليفترس ومعه الحرس الشخصي لزعيمهم بلوج. غيلان ضخمة الحجم بسيوف طويلة من الصلب وسريعا ما حل ظلام حقيقي على السماء العاصفة بينما مازالت الخفافيش الكبيرة تحوم حول رؤوس وأذان الجن والبشر أو تسرع كمصاصي الدماء على الجرحى بينما يقاتل للدفاع عن التتوء الشرقي ويتراجع مع هذا ببطء للخلف وسادة الجن في فناء يدافعون عن ملكهم عند الذراع الجنوبي قرب برج مراقبة رافينهيل وفجأة أتت صرخة عظيمة ومن البوابة أتى نفير بوق لقد نسوا ثورين! أزيل جزء من الجدار برافعة ليسقط خارجا بفرقة في البركة وخارجا قفز ملك ما تحت الجبل وأتباعه خلفه وقد اختفت قنسواتهم وعباءاتهم كانوا يلمعون في الدروع وبريق أحمر يقفز من عيونهم وفي الظلام لمع القزم العظيم مثل الذهب في نار الصائغ. جرفت الصخور من الأعلى على الغيلان لكنهم استمروا قفزوا لأسفل الشلالات وأسرعوا للمعركة وسقطت الذئاب وركابها أمامهم أو هربت وحول ثورين فأسهل لوحش مفترس بضرباته الجبارة وبدأ أن لا شيء يستطيع إصابته.

"إلي! إلي! يا جن ويا رجال! إلي! يا أنسبائي!" صرخ ، وهزَّ صوته الوادي كالبوبق. من الأسفل، متجاهلين الأوامر اندفع له كل أقزام دابن لمساعدته وأيضا الكثير من رجال البحيرة لأن بارد لم يستطع كبهم وخارجا من الناحية الأخرى أتى الكثير من حاملي الرماح من الجن ومرة أخرى أصبح الغيلان يتلقون الضربات في الوادي ومزقوا في أكوام حتى صبغت دال بسواد وبشاعة جثثهم وتشنت الوارجات وحمل ثورين ورجاله على حرس بلوج لكنه عجز عن اختراق صفوفهم فقد كان خلفه بالفعل جوار جثث الغيلان الكثير من قتلى البشر والأقزام والكثير من الجن الجميل الذين عاشوا أعمارا طويلة بسعادة في الغابات وكلما اتسع الوادي بدا تحركه يزداد بطنا وأعداده قليلة للغاية وجوانبه غير محروسة وسريعا ما هوجم المهاجمون وحوصروا في حلقة ضخمة مواجهون من كل اتجاه مطوقين بالغيلان وبمن عاد من الذئاب للمساعدة وأتى حرس بلوج يعوون أمامهم واندفعوا نحو صفوفهم مثل الأمواج العاتية على قلاع الرمال ولم يستطع أصدقائهم المساعدة لأن الهجوم على الجبل كرر بقوة مضاعفة وعلى كلا الجانبين كان البشر والجن يهزمون ببطء.





خلال ذلك بدا بيلبو مكروبا كان قد اتخذ موقعه فوق رافينهيل وسط الجن لأن هذا هو أفضل مكان للهروب وجزئياً (نتحدث عن الجزء الأكثر توكية في دمائه) لأنه إذا كان عليه أن يبقى مع آخر وقفة يائسة في المعركة كان يفضل على أي شيء آخر الدفاع عن ملك الجن وعن جاندلف الذي ربما أقول كان يجلس هناك على الأرض كما لو كان غارقاً في أفكاره ربما يتجهز كما أفترض لبعض التفجيرات السحرية قبل النهاية التي لا تبدو بعيدة.

فكر بيلبو "لن يستغرق الأمر طويلاً الآن، قبل أن يفوز الغيلان بالبوابة ونذبح جميعاً أو نساق للأسر ربما يكون من الممكن القيام برثاء واحد بعد كل ما مررت به! : كنت أفضل أن يبقى سماوج العجوز فوق ثروته على أن يذهب الكنز لتلك المخلوقات الدنيئة والمسكين العجوز بومبر وبالين وفيلي وكيلي والباقون انتهوا نهاية سيئة وبارد أيضاً ورجال البحيرة والجن السعداء يالنعاستي! لقد سمعت الكثير من أغاني المعارك وعلمت أن الهزيمة قد تحمل معها مجداً يبدو هذا غير مريح إطلاقاً ولا أقول مأساوي كم أتمنى لو كنت خارجه."

مزقت السحب بواسطة الريح، والغروب الأحمر ذبح الغرب. وبرؤية الومضة الفجائية في الظلمة نظر بيلبو. أعطى صيحة عظيمة لقد رأى مشهداً جعل قلبه يقفز : أشكال مظلمة صغيرة ومع ذلك فخمة أمام التوهج البعيد.

"النسور! النسور!" صرّخ. "تأتي النسور!"

كانت عيون بيلبو نادراً ما تخطئ. كانت النسور قادمة مع الرياح، صف تلو الآخر، مثل هذا الحشد لا بد أنه جمع من كل أوكار الشمال.

"النسور! النسور!" صاح بيلبو، يرقص ويلوح بذراعيه. إذا لم يستطع الجن رؤيته فقد سمعوه. سريعاً م التقطوا الصيحة لتتردد في جنبات الوادي لترتفع الكثير من العيون المتسائلة إلى أعلى رغم أنه لم يكن يمكن رؤية شيء إلا من الكتف الجنوبي للجبل

"النسور!" صاح بيلبو مرة أخرى، لكن في تلك اللحظة حدث انهيار صخري فوقه ليسقط بقوة على خوذته وسقط بترقعة ولم يعرف ما حدث بعدها.







## الفصل ١٨

### رحلة العودة

عندما أفاق بيلبو إلى نفسه، كان حَرْفياً وحده. كان راقداً على الصخور المسطحة لرافينهيل ولا أحد قربه كان نهار صافي لكن بارد قد حل فوّه فكان يهتز ويرتعش من البرد مثل الحجر، لكن رأسه تشتعل كالنار.

"الآن أنا نَسأل ماذا حَدث؟" قال لنفسه "على أيّ حال أنا لست بعد أحد الأبطال الصرعى لكن أنصوّر أنّه مازال هناك وقت لذلك!"

جلسَ بألم. يتأمل في الوادي لم يقدّر أن يُشاهد أيّ غول حي. بعد وقت عندما صفى رأسه قليلاً، ظنّ أنّه يقدّر أن يرى جن تتحرك في الصخور بالأسفل. حكّ عينيه. بالتأكيد كان هناك مخيم في السهل على مسافة بعيدة بعض الشيء؛ وكانت هناك حركة ذهاب وإياب عند البوابة؟ بدأ الأقرام مشغولون بإزالة الجدار. لكن الكلّ كان في صمت مميت. لم يَكُنْ هناك نداء ولا صدَى لأغنية. بدأ الحزن منتشراً في الهواء.

"انتصار رغم كلّ ذلك، أنصوّر!" قالها وهو يتحسس رأسه المتألم. "حسناً تبدو أعمال كئيبة جداً."

فجأة كان واعياً لرجل يصعد ويأتي نحوه.

"أهلاً يا من هناك!" نادى بصوت مرتعش. "أهلاً يا من هناك! ما الأخبار؟"

"ما هذا الصوت الذي يتحدث وسط الصخور؟"

قالها الرجل متوقفاً وناظراً حوله ليس بعيداً عن مكان بيلبو.

ثم بيلبو تذكّر خاتمه! "حسناً فليرحمني الرب! هذا الإخفاء له مساوئه رغم كلّ شيء. وإلا أفترض أنني ربّما كنت سأقضي ليلة مريحة في سرير دافئ."

صرخ "إنّه أنا بيلبو باجينز رفيق ثورين!" وخلص خاتمه بسرعة.

"من الجيد أنني قد وجدتك!" قال الرجل وهو يخطو إلى الأمام. "أنت مطلوب وقد بحثنا عنك طويلاً. كنا سنعدك مع القتلى الذين كانوا كثيرين جداً لولا أن جاندلف الساحر قال أنه سمع صوتك آخر مرة في هذا المكان وأرسلت إلى هنا للبحث عنك مرة أخيرة هل أصبت بشدة؟"

"ضربة كريمة على رأسي كما أعتقد لكن عندي خوذة وجمجمة صلبتين. كما أنني أشعر بالغثيان وقدمي كالعش"

"سأؤنّلك إلى المخيم في الوادي،" والتقطه برفق.

كان الرجل سريعاً وثابت الخطى. لم يمض طويلاً قبل أن يضع بيلبو أمام خيمة في دال؛ وهناك وقف جاندلف، مع ذراعه معلقة. حتى الساحر لم يفرّ بدون جرح؛ وكان هناك القليل من غير الجرحى في الجيش كله.

حينما رأى جاندلف بيلبو ابتهج وقال صارخاً "باجينز! حسناً! أنا..... أبدا!.....حي بعد كل هذا!

أنا سعيد كنت بدأت في التساؤل عم إذا كان حتى حظك بدأ في التخلي عنك! كانت مهمة مفرجة وأقربنا من كارثة لكن باق الأخبار يمكنها أن تنتظر تعال!" قالها بجديّة أكبر "أنت مطلوب"

وقاد الهوبيت ليأخذه بين الخيام.

"التحية يا ثورين لقد أحضرتة."

هناك طريحا يرقد ثورين أو كينشيلد ممثلنا بالجروح ودرعه المثقب وبلطته المعوجة ملقيان على الأرض ونظر لأعلى حين وقف بيلبو جواره.

"وداعاً أيها اللص الطيب أنا ذاهب الآن لقاءات الأنتظار لأجلس جوار أبائي حتى يجدد العالم وحيث أنني أترك الآن كل الذهب والفضة وأذهب حيث لا قيمة لهما أرغب في إعادة الصداقة معك وأسحب كلماتي وأفعالي عند البوابة."

ركع بيلبو على ركبة واحدة ممثلنا بالحزن "وداعاً يا ملك ما تحت الجبل! هذه مغامرة مرّة، إذا كان يجب أن تنتهي هكذا ولا يمكن لجبل من الذهب أن يصلحها. لكنني مع ذلك سعيد أنني شاركتكم أخطاركم وهو أمر أكثر مما يستحق أي من أبناء باجينز."





"لا!" قاطعه ثورين. "فيك من الخير أكثر مما تعرفه يا طفل الغرب الطيب بعض الشجاعة والحكمة مخلوطتان بمقدار لو أن هناك عدد أكبر منا يقيم الطعام والبهجة والأغاني أكثر من ميراث الذهب لكن هذا العالم أكثر سعادة لكن سواء كان سعيد أم كئيب فيجب أن أغادره الآن. وداعا."

ثم تحول بيلبو مبتعدا، وجلس على حدة ملتفا ببطانية وسواء أنت صدقت أم لم تصدق، بكى حتى أحمرت عيناه وبع صوته كان روح صغيرة طيبة. في الحقيقة استغرق وقت طويلا قبل أن يستطيع امتلاك القلب القادر على المزاح ثانية وقال لنفسه أخيرا "كانت رحمة أليس كذلك؟ أنني استيقظت في الوقت الذي أفقت فيه أتمنى لو أن ثورين عاش لكنني سعيد أننا تفرقنا على الخير كم كنت أحمقا يا بيلبو باجينز وكم صنعت من الفوضى بهذا الحجر وكانت هناك معركة رغم كل جهودك لشراء السلام والهدوء لكن أفترض أنه بالكاد يمكن لومك على ذلك."

كل ما حدث بعد إغمائه عرفه بيلبو متأخرا لكنه زاده حزنا بدلا من السعادة وقد امتلئ الآن ضيقا بمغامرته كان يتحرق شوقا لرحلة العودة للوطن لكنه تأخر قليلا لذا في ذلك الوقت سأخبركم ببعض الأحداث فالنسور امتلئت شكا تجاه ما تراه من حشود الغيلان من أمكنتها العالية وحركتهم وسط الجبال لم يكن من الممكن إخفائها بالكامل لذا تجمعوا هم أيضا في أعداد ضخمة بزعامة النسر العظيم للجبال الضبابية وبعد مدة اشتماوا المعركة عن بعد فأتوا مسرعين عبر العاصفة في الوقت الحرج وكانوا هم من ألقوا الغيلان من منحدرات الجبل ومزقوهم لأشلاء أو ألقوهم وسط أعدائهم يصرخون ويذهلون ولم يمض وقت طويل حتى حرروا الجبل الوحيد واستطاع البشر والجن على جانبي الوادي القدوم للمساعدة في المعركة بالأسفل لكنهم حتى مع النسور كانوا أقل عددا وفي الساعة الأخيرة ظهر بيورن نفسه! لا أحد يعلم من أين أو كيف ظهر أتى وحيدا في شكل الدب وبدا أنه تضخم لحجم المردة في غضبه وكان هدير صوته كدوى الطبول والمدافع وأطاح بالغيلان والذئاب من طريقه كما لو كانوا ريشا وقشا نزل على مؤخرتهم وحطم كضربات الرعد حلقتهم حيث كان الأقزام يقفون وقفنهم الأخيرة حول سيدهم على تبة منخفضة مستديرة ثم تقدم بيورن ورفع ثورين الذي اخترقته الرماح وخرجه من القتال ثم عاد سريعا وقد تضاعف غضبه حتى لم يعد هناك شيء قادر على إيقافه ولا سلاح قادر على إيذائه فشتت الحراس وجذب بلوج نفسه وهشمه. ثم انتشر الذعر في الغيلان وفروا في كل اتجاه لكن كان التعب قد غادر أعدائهم بهذا الأمل الجديد وطاردهم بالحاح ومنعوا أكثرهم من الفرار قدر استطاعتهم وقادوا الكثير منهم للنهر الجاري وهكذا إذا هربوا شرقا أو جنوبا يتم اصطيادهم في المستنقعات حول نهر الغابة وهناك هرب أكبر جزء من الهاربين والذين وصلوا لحدود مملكة الجن في الغابة ذبحوا هناك أو غرقوا حتى الموت في متاهات الغابة المظلمة ميركوود وزعمت الأغاني أن ثلاثة أرباع محاربي غيلان الشمال هلكوا ذلك اليوم لتنتع الجبال بالسلام أعوام عديدة تأكد النصر قبل حلول الظلام لكن المطاردة كانت مازالت مستمرة حين عاد بيلبو للمعسكر ولم يبق بالوادي إلا القليل ممن ليسوا ذوي جروح خطيرة.

ذلك المساء سأل جاندلف "أين النسور؟" بينما هو يرقد ملتفا في بطاطينه الدافئة. قال الساحر "بعضهم في الصيد لكن أغلبهم عاد لأوكاره فغادرونا مع أول أضواء النهار دابن توج زعيمهم بالذهب وأقسم على الصداقة معهم للأبد." قال بيلبو ناعسا "أنا أسف أقصد هل سيمكنني أن أراهم بعد ذلك أبدا ربما أستطيع رؤيتهم في طريق العودة أفترض أنني سأعود للبيت سريعا؟" قال الساحر "بأسرع ما تحب."

في الحقيقة استغرق بيلبو عدة أيام قبل أن يغادر. دفنوا ثورين في أعماق الجبل ووضع بارد الحجر الأركيني على صدره. وقال "فليرقد هنا حتى سقوط الجبل! ربما يجلب الحظ الحسن لكل قومه الذين سيقطنون هنا للأبد!" وعلى ضريحه وضع ملك الجن سيف الأوركريست سيف الجن الذي أخذ من ثورين أثناء أسره





وقد قيل في الأغاني أنه ظل للأبد يتوهج وسط الظلام عند اقتراب الأعداء ولم يمكن أبدا أخذ حصن الأقزام على حين غرة.

وهنا الآن اتخذ داين ابن ناين مقره وتوج ملكا لما تحت الجبل ومع الوقت تجمع الكثير من الأقزام تحت تاجه عاندين للقاعات العتيقة. من الاثنى عشر رفيفا لثورين نجا عشرة فقد سقط فيلي وكيلى يدافعان عنه بدروعهما وجسديهما لأنه كان أخوهم الأكبر من الأم والآخرون بقوا مع داين الذي تعامل جيدا مع الكنز.

لم يكن هناك بالطبع في تلك الظروف أي أسئلة عن تقسيم الميراث بتلك الحصص التي خطط لها سواء لبالين ودوالين وبومبور وبيفو وبوفور ودوري ونوري وأوري وأوين وجلوين أو لبيلبو مع هذا فواحد على أربعة عشر من الذهب والفضة مشغول وغير المشغول أعطيت لبارد فقد قال داين "سنتشرف بتنفيذ اتفاق من مات وقد حصل الآن على الحجر الأركيني في حفظه."

حتى واحد على أربعة عشر من هذا الكنز كانت ثروة مهولة أكبر مما يملك الكثير من الملوك الفانين ومن هذا الكنز أرسل بارد الكثير من الذهب لزعيم مدينة البحيرة وكافأ أتباعه وأصدقائه بسخاء وملك الجن منحه زمرد جيروين الجواهر الأحب لقلبه التي أعادها داين له. ولبيلبو قال "هذا الكنز لك بمقدار ما هو لي رغم أن الأتفاقيه القديمة لم تعد سارية لأن الكثيرين جدا ساعدوا في الفوز به وحمايته ورغم أنك أردت التخلي عن كل مطالبك أتمنى لو أن كلمات ثورين التي ندم عليها يجب ألا تكون حقيقية عن أننا سنعطيك القليل سأكافئك أكثر من أي شخص آخر."

قال بيلبو "هذه طيبة كبيرة منك لكن الأمر حقا مريح لي. إذ كيف على هذه الأرض سيمكثني نقل كل هذا الكنز طوال الطريق دون حروب ودماء؟ لا أعرف وأيضا لا أعرف ما سأفعله به في وطني أنا واثق أنه أفضل في يديك."

في النهاية أخذ فقط صندوقين صغيرين أحدهما مملوء بالفضة والآخر بالذهب. ما يمكن لفرس قوي أن يحمله وقال "هذا سيكون أقصى ما أستطيع تدبير أمره."

أخيرا أتى الوقت ليقول وداعا لأصدقائه "وداعا بالين وداعا دوالين وداعا دوري نوري أوري وأوين جلوين بيفور وبوفور وبومبور! عل لحاكم لا تنتمو ضعيفة ابدا!" ثم تحول نحو الجبل وأضاف "وداعا ثورين أوكينشبلد وفيلي وكيلى! عل ذكراكم لا تغيب أبدا!"

ثم انحنى الأقزام لأسفل أمام بوابتهم لكن الكلمات التصقت بحناجرهم وقال بالين أخيرا: "الوداع وحظا طيبا أينما حللت! إذا زرتنا مرة أخرى حين يعود لقاعاتنا رونقها فالاحتفال سيكون عظيما حقا!"

قال بيلبو "إذا مررتم بي أبدا فتفضلوا دون استئذان! أقدم الشاي في الرابعة لكنكم مرحب بكم في أي وقت!"

ثم انطلق مبتعدا.

كان جيش الجن يسير ورغم ما بدا عليهم من حزن فقد كان الكثير سعداء فالشمال سيستمع بالسعادة زمنا طويلا فالتنين مات والغيلان هزمت وقلوبهم تتوق لما وراء الشتاء من ربيع واحتفال وركب جاندلف وبيلبو خلف ملك الجن وجوارهم يمشي بيورن في شكله البشري مرة أخرى وكان يغني ويضحك بصوت عال طوال الطريق. وهكذا استمروا حتى اقتربوا من حدود ميركوود في الشمال لمكان حيث يجري نهر الغابة.

ثم توقفوا لأن الساحر وبيلبو لم يرغبوا في دخول الغابة حتى مع إلحاح الملك للبقاء في قاعاته فترة فقد نوى المضي على حافة الغابة فيدوران حولها من الشمال في المكان الذي تلتقي فيه بالجبال الرمادية كان طريقا طويلا كئيبا لكن بعد سحق الغيلان بدا لهما أكثر أمنا من الطريق المفرع تحت أشجار الغابة بالإضافة لأن بيورن كان سيمضي في هذا الطريق معهما.

قال جاندلف "وداعا يا ملك الجن! فلنبارك الغابة بينما العالم مازال فتيا! وليبارك كل قومك."

قال الملك "وداعا يا جاندلف علك دوما تظهر حين تشتد لك الحاجة وتقل توقعات من ينتظرونك! وكلما ازداد ترددك على إيواني ستزداد سعادتني!"

وقف بيلبو متلعثما على قدم واحدة وقال "التمس منك أن تقبل مني يا سيدي هذه الهدية!"





و أظهرَ قلادة فضّة و مرصعة باللؤلؤ كان قد مَحَّها داين له حين افتراقهم  
"وبم استحققت هذا أيها الهوبيت؟" قال الملك.

"حسنا، إرر، أنا فَكَّرْتُ، ألا تُعرِفُ،" قال بيلبو مرتبكا "هذا إرر بعض ما يجب رده إليك مقابل  
إمهم حسن ضيافتك أعني أنه حتى الصعلوك له مشاعره فقد أكلت الكثير من خبزك وشربت  
الكثير من شرابك."

" سأخذُ هديتك، يا بيلبو الرائع!" قال الملك بجدية. "و أسميكَ صديق الجن وبوركت. عل ذلك لا  
ينمو أقل من ذلك (وإلا فالسرقة ستكون أسهل من اللازم!) وداعا!"  
ثم استدار الجن نحو الغابة، و بدأ بيلبو طريق عودته الطويل.

كان عنده العديد من المتاعب والمغامرات قبل عودته فمازالت البراري براري  
وهناك العديد من الأشياء الأخرى في تلك الأيام علاوة على الغيلان لكنه كان موجّها ومحميا جيدا  
جيدا كان الساحر معه، وبيورن لمسافة طويلة ولم يعد في خطر عظيم أبدا بعد ذلك. على أي حال  
عند منتصف الشتاء وصل جاندلف وبيلبو عبرا كل طريق العودة عبر حواف الغابة إلى أبواب  
بيت بيورن؛ وهناك لمُدّة هما معا توقفا. فترة عيد الميلاد كانت دافئة وسعيدة هناك وأتى رجال  
من مسافة بعيدة للاحتفال كما طلب منهم بيورن. كانت غيلان الجبال الضبابية الآن قليلة  
ومفروعة، واختفت في أعماق الجحور التي استطاعت العثور عليها؛ والوارجات اختفت من  
الغابات لذا سافر الرجال بعيدا دون خوف. بيورن حقا أصبح زعيما عظيما بعد ذلك في تلك  
المناطق وحكم أرضا عريضة بين الغابة والجبال وقيل أنه لأجيال عديدة فإن نسله امتلك القدرة  
على اتخاذ شكل الدببة وبعضهم كانوا قساة أشرار لكن معظمهم امتلكوا قلبا مثل قلبه وإن كانوا  
أقل قوة وحجما وفي عهدهم تم اصطياد آخر غول من الجبال الضبابية ليعم سلام جديد على حافة  
البراري. جاء الربيع، وكان ربيعا جميلا بطقس معتدل وشمس ساطعة، وقبل أن يغادر بيلبو  
وجاندلف أخيرا من عند بيورن ورغم توفقه للعودة للبيت. أحس بيلبو بالندم، لأن الأزهار كانت  
في حدائق بيورن في فصل الربيع ليست أقل من مذهلة كما كانت في الصيف الماضي.

أخيرا أتوا للطريق الطويل، وبلغوا الطريق الذي عنده تحديدا أسرتهم الغيلان. لكنهم وصلوا إلى  
تلك النقطة العالية صباحا، وبالنظر خلفهم شاهدوا شمسا بيضاء لامعة فوق الأراضي الممتدة.  
هناك في الخلف تقبع ميركوود زرقاء لبعدها وخضراء داكنة عند حوافها التي تلامس مدى  
الأنظار حتى في الربيع. هناك بعيدا كان الجبل الوحيد فوق حافة البصر. على قمته الشامخة  
مازال تلجه لم يذب ويتألق بخفوت.

"وهكذا يأتي الثلج بعد النار، وحتى التئينات تلاقي نهايتها!" قال بيلبو، وأدار ظهره لمغامرته.  
كان الجزء التووكي متعب جدا، وكان الجزء الباجينزي يقوى كل يوم  
وقال. "أثوق الآن فقط إلى أن أكون في كرسيي ذو المساند!"





## الفصل (١٩) المرحلة الأخيرة

كَانَ مايو حين بدأ رجوع الاثنان أخيراً إلى حافة وادي رافينديل، حيث يوجد آخر (بالنسبة للعودة أول) منزل بيتي وبالمثل كما كانوا أثناء رحلة الذهاب وصلوا عند الغروب وقد تعبت أفراسهما، لا سيّما الفرس الذي يحمل الأمتعة؛ وأحسوا جميعاً بالحاجة للراحة. وبينما يركبون عبر الطريق المنحدر سمع بيلبو الجن يغنون بين الأشجار، كما لو أنهم لم يتوقفوا منذ أن غادرهم؛ وحالما دَخَلَ ركبهم الصدع نازلاً للغابة شرع الجن في أغنية تشبه ما كانوا يغنونه في المرة الأولى وهذا ما يشبهها:

" ذبل التّينين،  
تُفَنَّتْ عظامه الآن؛  
يَرْتَعِشُ درعه،  
تُفَهِّرُ روعته!  
ولو أن سيّف صدأ،  
والعرش والتاج هلك  
بقوّة أولئك الرجال الموثوقون  
ومعها الثروة التي يجلوونها،  
هنا العُشب مازال يَنُمُو ،  
وما زالت تتأرجح الأوراق ،  
الماء الأبيض يجري،  
وما زال الجن يغني  
إنت، إيت! ترا لا لا للي !  
إرجع إلى الوادي!  
النجوم أسطع بمراحل  
من الجواهر! لا مقياس،  
القمر أكثر بياضاً بكثير  
من الفضة في الثروة:  
تلمع النار أكثر  
على الموقد في الغسق  
من الذهب الفائز بنار التّعدين،  
لذا لماذا يذهب يتجول؟  
أو ترا لا لا للي  
إرجع إلى الوادي.  
أو أين تذهب،  
متأخّر جداً في العودة؟  
يَبْدَقُ النهر،  
تَسْتَعِلُ النجوم كلها!  
أو الجو ممتلي،  
جداً حزين و جداً موحش؟  
هنا جني وجنية  
يرحبون الآن بالمتعبيين  
بترالا لا للي  
إرجع إلى الوادي،  
ترالا لا للي





فا لا لا لاللي

فا-لا!"

ثم خَرَجَ جن الوادي ورَحَّبَ بهما وقادوهما عَبْرَ الماءِ إلى بيتِ إِرُونْدِ. كان هناك ترحيب دافئ  
اعد لهما ومعه العديد من الأذان المُثَلِّهَة ذلك المساء لتسمَع حكاية مُغامراتهما. جاندف كان الذي  
تكلّم، لأن بيلبو جلس هادئاً خاملاً.

أكثر الحكاية كان يعرفه لأنه كان فيه وأجبر نفسه على قول معظمها للساحر في طريق العودة  
لبيت بيورن لكن كل حين وآخر حين يأتي لجزء لا يعرفه من الحكاية يفتح عيناً واحدة وينصت  
وهكذا علم أين كان جاندف حين سمع مصادفة كلمات الساحر إلى إِرُونْدِ. ظهر أن جاندف ذهب  
إلى مجلس السحرة البيض العظيم، سادة التراث والسحر الطيب؛ وأنهم أخيراً أجلوا النيكرومانسر  
محضر الأرواح عن حصونه المظلمة جنوب ميركوود.

قال جاندف "قبل مرور وقت طويل بعد الآن، ستصبح الغابة أكثر نفعاً قليلاً. سيحرر الشمال من  
ذلك الرعب للعديد من السنوات الطويلة، كما أمل. ومع ذلك أتمنى لو أنه أبعد عن العالم!"  
قال إِرُونْدِ "سيكون هذا جميلاً حقاً لكن أخشى أنه لن يحدث في هذا العهد من العالم، أو للعديد  
بعده."

عندما حكوا حكاية رحلاتهم كانت هناك حكايات أخرى، ومع ذلك حكايات أكثر، حكايات منذ  
عهد بعيد وحكايات لأشياء جديدة، وحكايات للا وقت على الإطلاق حتى سقطت رأس بيلبو على  
صدره وشخر بارتياح في الزاوية.

استيقظ ليجد نفسه في فراش أبيض، والقمر يلمع خلال نافذة مفتوحة. تحته العديد من الجن كانت

تُعني بصوت عالي واضح على ضفاف المجرى.

"هل يُعني الكلّ ياه بابتهاج، الآن يُعني الكلّ معاً؟

الريح في القمة الحرة، الريح في سهول الخنج؛

النجوم في زهرة الشجرة المثمرة، القمر في الزهرة،

و بشكل ساطع نوافذ الليل في برجها.

أرقص ياه كلّ بابتهاج، الآن ترقص كلنا معاً!

لئن هو العشب، ودعوا القدم تكون كالريش!

النهر فضي، الظلال زائلة؛

مرح وقت مايو، ومرح لقائنا.

نعني نحن الآن بنعومة، ونترك الأحلام تنسجه!

هو في الرقاد وهناك دعونا نتركه!

النائم المتجول. الآن ناعمة وسادته!

لولابيبي! لولابيبي! شجر الحور وشجر الصفصاف!

لا يرى المزيد من الصنوبر، حتى رياح الضحى!

قمر ساقط! ظلمة الأرض!

هش! هش! بلوط، رماد، و شوكة!

اسكت كل الماء، حتى يبدأ الفجر!"

"شعوب مرحة، طيبة!" قال بيلبو متأملاً فيهم. "في أي وقت بواسطة القمر هذا؟ قد توقظ

لولابايبيكم غولاً سكراناً! ومع ذلك أنا شاكر لكم."

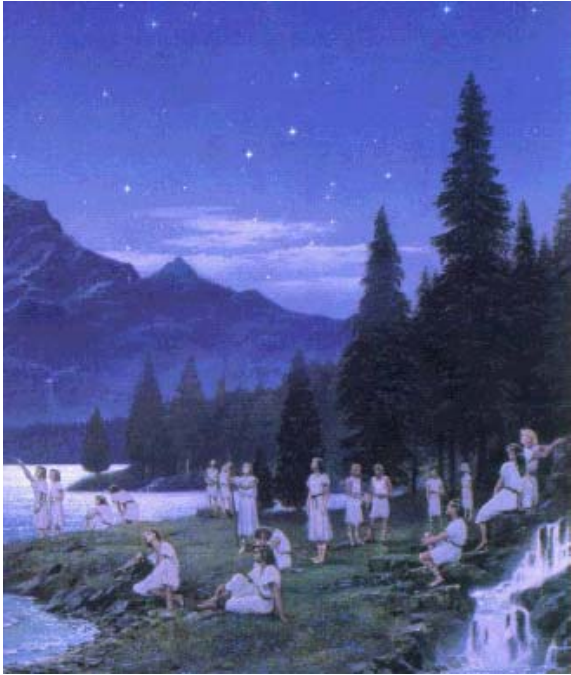
"و قد يُوقظُ شخيركم تئين حجري - ومع ذلك نحن شاكرون لك،" أجابوا ضاحكين "إن القمر

يندفع نحو الفجر، وقد نمت منذ بداية الليل. غداً، ربّما، سنشقى من الإرهاق."

"يؤدي نوم قليل إلى علاج عظيم في بيت إِرُونْدِ، لكن سأخذ كل ما أقدر أن أحصل عليه من

العلاج. مرة ثانية ليلة سعيدة، أيها الأصدقاء الجميلون!"

وبهذا رجّع إلى الفراش و نام حتى الصباح المتأخر.





الإرهاق غادره سريعاً في ذلك البيت، وكان عنده العديد من الدعابات المرحية والرقص، باكراً ومتأخراً، مع جن الوادي. ومع ذلك حتى ذلك المكان لا يُقَدَّرُ أن يعطله طويلاً، وهو يفكر دائماً في بيته الخاص. لذلك بعد أسبوعٍ قَالَ الوداع إلى إرون، وأعطاه مثل هذه الهدايا الصغيرة التي قد يقبلها، ركب بعيداً مع جاندلف. وحتى قبل مغادرة الوادي كانت السماء سودت أمامهم في الغرب وريح ومطر أتى ليقابلهم.

"مرح وقت مايو!" قَالَ بيلبو، بينما المطر يضرب وجهه. "لكن عودتنا إلى الأساطير ونحن نعود للبيت. أفترض أن هذا أول مذاق منه."  
"ما زال هناك طريق طويل"، قَالَ جاندلف.

"لكن إنه هو الطريق الأخير"، قَالَ بيلبو. وصلاً إلى النهر الذي يعلم الحد الفاصل لمنطقة حدود البراري وإلى المَخَاصِة تحت الضفة المنحدرة التي ربّما قد تَنَدَّكَرُها. انتفخ النهر بكلا من الجليد المنصهر مع قدوم الصيف والأمطار التي استمرت طول اليوم لكنهما عبرا ببعض الصعوبة، وحثا الخطي لأن الليل حل على آخر مرحلة من رحلتهم. كَانَ هذا مثلما كان من قبل، باستثناء أن الرفقة أصغر، والصمت أكثر؛ أيضاً هذه المرة لم تُكُنْ هناك عمالقة.

في كل نقطة على الطريق تَدَّكَرَ بيلبو الحوادث والكلمات منذ سنة. بدت له أكثر من عشرة. لذا سريعاً بالطبع ما لاحظ حيث مكان الفرس الذي كان قد سَقَطَ في النهر، وكأثوا قد ذاروا على جانب لمُغَامِرَتهم الكريهة مع توم وبيرت وبل. ليس بعيداً عن الطريق وَجَدُوا ذهب العمالقة، الذي كَأثوا قد دَفَنُوهُ، ما زال مختبئاً لم يمس.

"حصلت على ما يكفيني حتى النهاية"، قال بيلبو، عندما حفروا واستخرجوه "أنت من يجب أن يأخذه يا جاندلف. أجرؤ على القول أنك ستجد له استخداماً."

"حقاً سأجد! لكن حصة وحصة مماثلة! ربّما تكتشف احتياجات أكثر مما تظن."

وهكذا وضعوا الذهب في حقائب وعلقوها على الأفراس التي لم تُكُنْ سعيدة به إطلاقاً وبعد هذا كان سيرهم أبطء لأنهم مشوا معظم الوقت لكن الأرض كانت خضراء وكان هناك الكثير من العشب الذي تنزه فيه الهوبيت راضياً مسح وجهه في منديل حريري أحمر - لا! ليس واحداً مما له فلم ينج منهم شيء كان قد استعاره من إرون.

الآن كان يونيو قد أَحْضَرَ الصيف، و الطقس ساطع وحار ثانية.

وبينما تَنَقَّضِي كل الأشياء إلى النهاية، حتى هذه القصة، أتى يوم أخيراً عندما كَأثوا في مرأى الريف حيث ولد بيلبو وتربى، حيث يعرف اشكال الأرض والأشجار كما يعرف يديه وأصابع قدمه. أتى إلى مرتفع يُقَدَّرُ أن يُشَاهِدَ منه تله الخاص على مسافة، وتوقف فجأة وقال:

"تمضي الطرق دائماً دائماً على،

فوق الصخر وتحت الشجر،

بكهوف لن تطلع عليها أبداً شمس،

بسيول لن تجد طريقها أبداً لبحر؛

فوق الثلج الذي بذره الشتاء

وعبر أزهار يونيو المرحية،

فوق العشب وفوق الصخرة،

وتحت الجبال في القمر.

تمضي الطرق دائماً دائماً على

تحت السحابة وتحت النجمة،

و مع ذلك أقدام ذلك التجوال انتهت

تحولت أخيراً إلى البيت البعيد.

العيون التي رأت النار والسيوف

و رعب في قاعات الحجر

تنظر أخيراً للمروج الخضراء





و أشجار و تلال عرفها منذ بعيد." نظَرَ جانِدف إليه. " بيلبو العزيز!" قَالَ. "شيء ما من الأمر فيك! أنتَ لست الهوبيت الذي كُنْتَ."

وهكذا عَبَرُوا الجسر و تَجَاوَزُوا الطاحونة عند النهر وأتوا مباشرة عائدين إلى باب بيلبو الخاص. "فليرحمني! ماذا يحدث؟" صرخ.

كَانَ هناك اضطرابا عظيما، وأقوام من كلِّ الانواع، مُحْتَرَمٌ وغير مُحْتَرَمٌ متجمهرين حول الباب والكثير منهم يدخل ويخرج دون حتى أن يمسحوا أقدامهم على الحصير، كما لاحظ بيلبو بضيق. إذا كان مندهشا فقد كانت دهشتهم أعظم لقد رجع وسط مزاد علني! كانت هناك لافتة كبيرة بالأحمر والأسود على الباب تقول أنه في يونيو الثاني والعشرين سيقوم السادة جراب وجراب ببيع بالمزاد العلني لممتلكات الفقيد بيلبو باجينز المبجل الكائنة في نهاية باج (Bag-End) أسفل التل في الهوبيتون (Hobbiton) والبيع للجمهور في تمام الساعة العاشرة بينما الآن تقريبا وقت الغداء ومعظم الأشياء قد بيعت بالفعل مقابل أسعار مختلفة بداية من لاشيء إلا الأغاني القديمة (ولم يكن أمرا غير معتاد في تلك المزادات العلنية) أقارب بيلبو عائلة سيكافيللي باجينز كانوا مشغولين في الواقع بقياس حجرة نومه لأجل معرفة إن كانت تناسب أثاثهم! وبالاختصار بيلبو (أفترض ميتا) ولم يكن الجميع يقولون أنهم أسفون لأن الافتراض كان خطأ!

خَلَقَتْ عودة السيد بيلبو باجينز اضطرابا تاما، كلا تحت التلّ وفوق التلّ، وَعَبَرَ الماء كَأَنَّ حدثا عظيما للكثير لتسعة أيام من التعجب. الإزعاج القانوني، حقًا، دام سنوات. مر وقت طويل تماما قبل أن يعترف بأن السيد باجينز فعلا حيا مرة ثانية.

الناس التي حصلت على صفقات مميزة في المزاد أخذوا وقتا طويلا ليفتتحووا ولتوفير الوقت اضطر بيلبو لشراء الكثير من أثاثه الخاص بينما الكثير من ملاعقه الفضية اختفت بطريقة غامضة! ولم تحسب أبدا ضمن الأثاث شخصيا هو ارتاب في عائلة سيكافيللي باجينز الذين من جانبهم لم يعترفوا أبدا أن الباجينز العائد حقيقي ولم يتبادلوا أبدا ألقاب لطيفة مع بيلبو كانوا يريدون العيش في بيته الهوبيتي الجميل بشدة!

حقًا بيلبو المَوْجُود كَانَ قد فَقَدَ أكثر من الملاعق كَانَ قد خَسِرَ سمعته. صحيح أنه للأبد ظل صديقا للجن وحصد تكريم الأقزام والسحرة وكل أولئك الأقوام إذا مروا بطريقه لكنه لم يعتبر أبدا محترما مرة أخرى في الواقع اعتبر من كل جيرانه من الهوبيت "شاذًا" باستثناء ابناء الأخ وبنات الأخ في جانبه التووكي لكن حتى هؤلاء لم يتشجعوا من إخوانهم الأكبر على صداقته وأنا أسف أن أقول أنه لم يَكْتَرِث. كَانَ راضيا تماما؛ وصوت غلايته على موقده منذ ذلك الحين أصبح أكثر موسيقية مما كان في الأيام الخوالي قبل الحفلة المفاجئة. سَيِّفه علقه فوق رف الموقد. رُتَّبَ درعه من الزرد أقامه على حامل في الردهة إلى أن يتبرع به لمتحف.



صُرِفَ ذهبه وفضتة الى حد كبير في الهدايا، المفيد منها والمبذر-الأمر الذي إلى حدّ كبير يرجع إليه تعاطف أولاد أخيه وبنات أخيه! خاتمه السحري حَافِظٌ عليه في سرية عظيمة، لأنه يستخدمه كثيرا حين يأتي ضيف غير مرغوب فيه!. أَحَدٌ في كتابة الشعر وزيارة الجن؛ ورغم أنّ العديدين خبطوا رؤوسهم ولمسوا جبينهم قائلين "بيلبو باجينز المسكين العجوز!" ورغم أن القليلين صدقوا حكاياته ظل سعيدا للغاية حتى نهاية أيامه وتلك كانت بعيدة لدرجة غير طبيعية.

مساء خريف بعد بعض السنوات كَانَ بيلبو يَجْلِسُ في مكتبه يَكْتُبُ مذكراته - فَكَّرَ في تسميتها "هناك والعودة مرة ثانية، رحلة هوبيت" حينما دق جرس الباب كان جانِدف ومعه قزم والقزم كان بالتحديد بالين.







"أَدْخُلْ! أَدْخُلْ!" قَالَ بِيَلْبُو، وسريعاً ما جلسوا في الكراسي بجوار ولاحظ بالين أن بيلبو يرتدي صدرية أوسع (وكان عند أزرار ذهبية حقيقية)، لاحظ بيلبو أيضاً أن لحيّة بالين كانت أطول عدة بوصات وسواره المرصع بالجواهر كان على قدر كبير من الفخامة.

بدأ الحديث عن أوقاتهم معاً طبعاً، وسأل بيلبو كيف تسير الأمور في أراضي الجبل؟ ظهر أنهم كانوا في أحسن حال أعاد بناء مدينة دال وتجمع الناس معه من البحيرة والجنوب والغرب وكل الوادي أصبح مرة أخرى معمراً وغنياً. والأطلال ملئت الآن بالزهور والطيور في الربيع والفواكه والأحتفالات في الخريف ومدينة البحيرة أعيد إنشاؤها وأصبحت أكثر ازدهاراً من أي وقت مضى والكثير من الثروات مضت أعلى وأسفل النهر الجاري وحلت الصداقة في تلك الأرجاء بين البشر والجن والأقزام وانتهى زعيم المدينة القديمة نهاية سيئة فقد منحه بارد الكثير من الذهب لمساعدة أهالي مدينة البحيرة لكن لكونه ممن يلتقطون هذا المرض بسهولة أصيب بداء التنين فأخذ معظم الذهب وهرب به ليموت من الجوع في التيه بعد أن هجره رفاقه.

قال بالين "الزعيم الجديد من نوع أكثر حكمة ومحبوب للغاية لأنه بالطبع المسؤول عن هذا الازدهار ويغنون أغاني جديدة تقول أن في عهده جرى النهر بالذهب."

قال بيلبو "إذا فنبوءة الأغاني القديمة تغيرت لتصبح حقيقة مطورة."

"طبعاً!" قال جاندلف. "ولماذا يجب ألا تثبت صحتها بالتأكيد أنت لا تنكر نبوءات الأغاني القديمة لأنك كان لك يد في تحقيق بعضها بنفسك؟ أنت لا تعتقد حقاً، هل تفعل؟ - أن كل مغامراتك ونجاتك كانت محض حظ فقط لأجل منفعتك الشخصية؟ أنت شخص لطيف للغاية سيد باجينز وأنا مغرم كثيراً بك لكنك في نهاية الأمر مجرد رفيق ضئيل في هذا العالم الواسع!"

"خير شكر!" قال بيلبو ضاحكاً، و سلمه جرة التبغ.



تمت بحمد الله

تأليف جي آر آر تولكين  
ترجمة د/محمد الدواخلي

